# إرواء الظمآن في اختصار مناهل العرفان في علوم القرآن

لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ)

ويليه

## فتح المنان

من التبيان في آداب حملة القرآن

لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)


للأستاذ الدكتور صلاح محمد أبو الحاج

عميد كلية الفقه الحنفي

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

عمان - الأردن





دار الفاروق

عمان - الأردن

**إرواء الظمآن...........**

**فتح المنان ...............**

# إرواء الظمآن

## في اختصار مناهل العرفان في علوم القرآن

## لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت١٣٦٧هـ)

ويليه

# فتح المنان

## من التبيان في آداب حملة القرآن

## لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)

للأستاذ الدكتور صلاح محمد أبو الحاج

عميد كلية الفقه الحنفي

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

عمان، الأردن

مركز أنوار العلماء للدراسات


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله منزل الفرقان وهادي الأنام، والصلاة والسلام علىٰ سيد العالمين، المبلغ لأي الذكر الحكيم، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، حملة هذا القرآن العظيم، ومَن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين في الذَّبِّ عن دين ربِّ العالمين.

وبعد:

فإن إحدىٰ المساقات في برنامج البكالوريوس والدبلوم المتوسط هي علوم القرآن، وقد كثرت التآليفات فيها بين المعاصرين بما لا يمكن حصره، ولكننا أحببنا أن يكون لكليتنا منهاج فيها متوافق مع بقية مناهجها، فلا يخالف في طياته طريق أهل السنة الفكري.

ويجمع في أوراقه زبدة وعصارة ما ينبغي للطالب أن يقف عليه من علوم القرآن معتمدين علىٰ أهل الثقة والعرفان، ومن المعلوم أن أشهر التأليفات عند المتقدمين فيه هي «الاتقان في علوم القرآن» للسيوطي، و«البرهان في علوم القرآن» للزركشي، وأوسعها «الزيادة والإحسان في علوم القرآن» لبعقيلة الحنفي.

ومن أفضل مؤلفات المتأخرين كتاب «مناهل العرفان في علوم القرآن» لمحمد عبد العظيم الزرقاني(ت١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م)، فقد شاع ذكره وانتشر صيته، لكن فيه إطالة وأبحاث يستغني عنها الدارس وتورث الملل.

فرأيت من المناسب أن أعتكف عليه اختصاراً وتهذيباً وترتيباً، فاستخلصت منه مائة وخمسين صحيفة مع أنّ أصله قارب ثمانمئة وخمسين صحيفة، ثم أضفتُ إليه فوائد اقتنصتها من «الاتقان» للسيوطي، و«الزياد والإحسان» لبعقيلة الحنفي، و«علوم القرآن» لنور الدين عتر.

وذلك كان كل ما لم أوثقه فهو مأخوذ من «مناهل العرفان».

**وسميته:**

**«إرواء الغليل في اختصار مناهل العرفان في علوم القرآن»**

ولما لم يتعرض الزَّرقانيّ لآداب حامل القرآن، وكان الكتاب المنظور إليه في هذا الباب كتاب الإمام النووي «التبيان في آداب حامل القرآن»، فقد صرفتُ عنان اهتمامي إليه، في إعادة ترتيبه وتهذيبه وتوثيقه، فاستخرجت منه زبدة نافعة تشمل على عامة ما فيه مما يتعلق بآداب القرآن، ذكرتها في المبحث الأخير من الكتاب.

**وسميته:**

**«فتح المنان من التبيان في آداب حملة القرآن»**

سائلاً المولى أن يتقبلهما كما تقبّل أصلهما، وأن ينفع بهما ويشيع ذكرهما في البلاد وبين العباد.

وكان هذا السفر في ثمانية عشر مبحثاً على النحو الآتي:

المبحث الأول: في معنى علوم القرآن.

والمبحث الثاني: في تدوين علوم القرآن.

والمبحث الثالث: في نزول القرآن.

والمبحث الرابع: في أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن.

والمبحث الخامس: في أسباب النزول.

والمبحث السادس: في نزول القرآن على سبعة أحرف.

والمبحث السابع: في المكي والمدني من القرآن الكريم.

والمبحث الثامن: في جمع القرآن وتاريخه.

والمبحث التاسع: في ترتيب آيات القرآن وسوره.

والمبحث العاشر: في كتابة القرآن ورسمه ومصاحفه.

والمبحث الحادي عشر: في القراءات والقراء.

والمبحث الثاني عشر: في التفسير والمفسرين وما يتعلق بهما.

والمبحث الثالث عشر: في ترجمة القرآن وحكمها تفصيلاً.

والمبحث الرابع عشر: في النسخ.

والمبحث الخامس عشر: في محكم القرآن ومتشابهه.

والمبحث السادس عشر: في أسلوب القرآن الكريم.

والمبحث السابع عشر: في إعجاز القرآن وما يتعلق به.

والمبحث الثامن عشر: في آداب القرآن.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**وكتبه**

**الأستاذ الدكتور صلاح أبو الحاج**

**عميد كلية الفقه الحنفي**

**جامعة العلوم الإسلامية العالمية**

في صويلح، عمان، الأردن

بتاريخ ٩ـ ٦ـ ٢٠١٩م

## تمهيد:

### * أولاً: أنواع علوم القرآن:

ذكر السُّيوطي (ت٩١١هـ) في «الإتقان» ثمانين نوعاً من علوم القرآن، ثم قال[١]: «فهذه ثمانون نوعاً على سبيل الإدماج، ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت عن الثلاثمائة».

واستقصى بعقيلة الحنفي (ت١١٥٠هـ) في «الزيادة والإحسان في علوم القرآن» أنواع علوم القرآن، فأوصلها إلى أربعة وخمسين ومئة، فقال[٢]: «واخترعت كثيراً من الأنواع اللطيفة، والفوائد الشريفة، هذا على سبيل الإدماج والإجمال، ولو فصلتها، لزادت على أربعمائة نوع، وهذه الأنواع عليك تجلى، وعلى مسامعك تتلى:

النوع الأول: علم وحي القرآن وماهو.

الثاني: علم وحي القرآن وحقيقة الوحي.

الثالث: علم أنواع الوحي.

الرابع: علم بدء الوحي.

الخامس: علم صفة حال النبي ﷺ حال ينزل عليه الوحي.

السادس: علم كيفية استعجال النبي ﷺ بحفظ الوحي قبل أن يتممه جبريل عليه السلام، ونهي الله عز وجل له عن ذلك.

السابع: علم نزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.

---

(١) في الإتقان١ : ٢٧.

(٢) في الزيادة والإحسان١ : ٩٠ـ ٩٩.

الثامن: علم معنى نزوله وإنزاله وتنزيله.

التاسع: علم أول ما نزل.

العاشر: علم آخر ما نزل.

الحادي عشر: علم أول من نزل بالقرآن.

الثاني عشر: علم اليوم الذي أنزل فيه القرآن، وسنة النبي ﷺ في ذلك الوقت.

الثالث عشر: علم مقدار فترة الوحي وحكمة الفترة.

الرابع عشر: علم المكي والمدني.

الخامس عشر: علم الآيات المحكمة في السور المدنية، والآيات المدنية في السور المكية.

السادس عشر: علم ما نزل بمكة وحكمه مدني وبالعكس.

السابع عشر: علم الأماكن التي أنزل فيها القرآن.

الثامن عشر: علم الأرضي والسمائي.

التاسع عشر: علم ما نزل نهاراً وما نزل ليلاً.

العشرون: علم الصيفي منه والشتائي.

الحادي والعشرون: علم الحضري والسفري.

الثاني والعشرون: علم الفراشي والنومي.

الثالث والعشرون: علم أسباب النزول.

الرابع والعشرون: علم ما نزل موافقاً لقول قائل.

الخامس والعشرون: علم ما تكرر نزوله.

السادس والعشرون: علم ما تأخر حكمه عن نزوله، وما تأخر نزوله عن حكمه.

السابع والعشرون: علم ما نزل مفرقاً وما نزل مجتمعاً.

الثامن والعشرون: علم ما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً.

التاسع والعشرون: علم ما نزل على بعض الأنبياء وما لم ينزل.

الثلاثون: علم أسماء القرآن.

الحادي والثلاثون: علم أسماء سور القرآن.

الثاني والثلاثون: علم إعراب سور القرآن.

الثالث والثلاثون: علم معرفة إعراب القرآن.

الرابع والثلاثون: علم معاني الأحرف المقطعات التي في أوائل السور.

الخامس والثلاثون: علم الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها ما هي.

السادس والثلاثون: علم الظاهر والباطن والحد والمطلع.

السابع والثلاثون: علم جمع القرآن وترتيبه.

الثامن والثلاثون: علم عدد السور والآيات والكلمات والحروف القرآنية.

التاسع والثلاثون: علم فضائل القرآن مجملاً.

الأربعون: علم فضائل السور مفصلاً.

الحادي والأربعون: علم أفضل القرآن وفاضله.

الثاني والأربعون: علم آداب القرآن وآداب تاليه.

الثالث والأربعون: علم إهداء ثواب القرآن للأنبياء وغيرهم.

الرابع والأربعون: علم الاقتباس من القرآن العظيم.

الخامس والأربعون: علم خواص القرآن.

السادس والأربعون: علم رسم الخط.

السابع والأربعون: علم ما اختلف فيه مصاحف أهل الأمصار بالإثبات والحذف.

الثامن والأربعون: علم ما اتفقت على رسمه مصاحف أهل العراق.

التاسع والأربعون: علم ما اختلفت فيه مصاحف أهل الحجاز والعراق والشام بالزيادة والنقصان.

الخمسون: علم نقط المصحف وشكله، ومن نقطه أولاً من التابعين، ومن كره ذلك، ومن ترخص فيه من العلماء.

الحادي والخمسون: علم أدب كتابة المصحف.

الثاني والخمسون: علم حفاظه ورواته.

الثالث والخمسون: علم القراء المشهورين بقراءة القرآن وأسمائهم.

الرابع والخمسون: علم رواة أئمة القراء.

الخامس والخمسون: علم رجال هؤلاء الأئمة الذين أدوا إليهم القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

السادس والخمسون: علم إسناد القراءة ومعرفة العالي والنازل من أسانيدها.

السابع والخمسون: علم المتواتر.

الثامن والخمسون: علم المشهور وعلم الآحاد.

التاسع والخمسون: علم الشاذ.

الستون: علم المدرج والموضوع.

الحادي والستون: علم المسلسل من القرآن.

الثاني والستون: علم المقبول من القراءة والمردود، وسبب الحصر في قراء معدودين.

الثالث والستون: علم حكمة الاختلاف في القراءة.

الرابع والستون: علم تعريف علم القراءة وموضعه، وفائدته.

الخامس والستون: علم حقيقة الحروف القرآنية وعددها.

السادس والستون: علم مخارج الحروف.

السابع والستون: علم صفات الحروف.

الثامن والستون: علم تراكيب الحروف، ومعرفة النطق بها مع التركيب.

التاسع والستون: علم تجويد القرآن.

السبعون: علم تحسين الصوت بالقراءة، والتغني بالقرآن.

الحادي والسبعون: علم كيفية تحمله.

الثاني والسبعون: علم كيفية الأخذ بالجمع في القراءة.

الثالث والسبعون: علم كيفية الاستعاذة.
الرابع والسبعون: علم البسملة.
الخامس والسبعون: علم التكبير.
السادس والسبعون: علم الوقف.
السابع والسبعون: علم ما يوقف به.
الثامن والسبعون: علم الوقف علم مرسوم المصحف العثماني.
التاسع والسبعون: علم الموصول لفظاً والمفصول معنىً.
الثمانون: علم فواصل الآي.
الحادي والثمانون: علم الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب.
الثاني والثمانون: علم الإمالة والفتح وما بينهما.
الثالث والثمانون: علم المد والقصر.
الرابع والثمانون: علم تخفيف الهمز.
الخامس والثمانون: علم أحكام النون الساكنة والتنوين.
السادس والثمانون: علم هاء الكناية.
السابع والثمانون: علم أحكام الراء في التفخيم والترقيق
الثامن والثمانون: علم أحكام اللامات تفخيماً وترقيقاً.
التاسع والثمانون: علم أحكام ياءات الإضافة.
التسعون: علم ياءات الزوائد.
الحادي والتسعون: علم اختلاف القراء من أوجه القراءة.
الثاني والتسعون: علم توجيه القراءات.
الثالث والتسعون: علم قراءة النبي صلىٰ الله عليه وسلم.
الرابع والتسعون: علم أحكام المصلي إذا أخطأ في القراءة.
الخامس والتسعون: علم آيات الأحكام المائة.
السادس والتسعون: علم محكمه ومتشابهه.

السابع والتسعون: علم خاصه وعامه.

الثامن والتسعون: علم مشتركه ومؤوله.

التاسع والتسعون: علم ظاهره وخفيه.

المائة: علم نصه ومشكله.

الحادي بعد المائة: علم مفسره ومجمله.

الثاني بعد المائة: علم منطوقه ومفهومه.

الثالث بعد المائة: علم مطلقه ومقيده.

الرابع بعد المائة: علم مقدمه ومؤخره.

الخامس بعد المائة: علم ما أوهم التناقض والتعارض.

السادس بعد المائة: علم معرفة وجوهه ونظائره.

السابع بعد المائة: علم وجوه مخاطباته.

الثامن بعد المائة: علم ناسخه ومنسوخه.

التاسع بعد المائة: علم حقيقته ومجازه.

العاشر بعد المائة: علم صريحه وكنايته.

الحادي عشر بعد المائة: علم تشبيه القرآن.

الثالث عشر بعد المائة: علم استعارته.

الثالث عشر بعد المائة: علم أحوال الإسناد والمسند إليه.

الرابع عشر بعد المائة: علم أحوال المسند وأحوال متعلقات الفعل.

الخامس عشر بعد المائة: علم حصره واختصاصه.

السادس عشر بعد المائة: علم خبره وإنشائه.

السابع عشر بعد المائة: علم فصله ووصله.

الثامن عشر بعد المائة: علم إيجازه وإطنابه ومساواته.

التاسع عشر بعد المائة: علم بديعه.

العشرون بعد المائة: علم فواتح السور.

الحادي والعشرون بعد المائة: علم خواتم السور.

الثاني والعشرون بعد المائة: علم مناسبات الآيات والسور.

الثالث والعشرون بعد المائة: علم الآيات والمتشاكلات المتقاربات.

الرابع والعشرون بعد المائة: علم لطائف القرآن وأسراره ونكته وفوائده.

الخامس والعشرون بعد المائة: علم أسرار تكرار قصص القرآن، وبيان الحكمة والسر في ذلك.

السادس والعشرون بعد المائة: علم إعجاز القرآن.

السابع والعشرون بعد المائة: علم مفردات القرآن.

الثامن والعشرون بعد المائة: علم معرفة العلوم المستنبطة من القرآن.

التاسع والعشرون بعد المائة: علم أقسام القرآن.

الثلاثون بعد المائة: علم جدل القرآن.

الحادي والثلاثون بعد المائة: علم مَن ذكر من الأنبياء عليهم السلام في القرآن العظيم صريحاً وبالإشارة.

الثاني والثلاثون بعد المائة: علم تاريخ الأنبياء عليهم السلام المذكورين في القرآن، وبيان المتقدم منهم والمتأخر.

الثالث والثلاثون بعد المائة: علم ما وقع في القرآن العظيم من الأسماء والكنى والألقاب.

الرابع والثلاثون بعد المائة: علم مبهمات القرآن.

الخامس والثلاثون بعد المائة: علم أسماء من نزل فيهم القرآن.

السادس والثلاثون بعد المائة: علم قصص الأنبياء عليهم السلام المذكورين في القرآن.

السابع والثلاثون بعد المائة: علم من ذكر في القرآن العظيم من الأمم والملوك غير الأنبياء عليهم السلام.

الثامن والثلاثون بعد المائة: علم أمثال القرآن.

التاسع والثلاثون بعد المائة: علم مواعظ القرآن.

الأربعون بعد المائة: علم حكم القرآن.

الحادي والأربعون بعد المائة: علم حقائق القرآن.

الثاني والأربعون بعد المائة: علم معرفة تفسيره وتأويله والحاجة إليه.

الثالث والأربعون بعد المائة: علم معرفة شروط المفسر وآدابه.

الرابع والأربعون بعد المائة: علم معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر.

الخامس والأربعون بعد المائة: علم قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها.

السادس والأربعون بعد المائة: علم تفسير القرآن بالأحاديث الصحيحة.

السابع والأربعون بعد المائة: علم تفسير ما ورد عن النبي ﷺ من التفاسير المصرح برفعها إليه.

الثامن والأربعون بعد المائة: علم معرفة غريبه.

التاسع والأربعون بعد المائة: علم الاستشهاد على القرآن بشعر العرب.

الخمسون بعد المائة: علم ما وقع فيه بغير لغة الحجاز.

الحادي والخمسون بعد المائة: علم ما وقع في القرآن العزيز بغير لغة العرب.

الثاني والخمسون بعد المائة: علم غرائب التفسير الغير مقبولة.

الثالث والخمسون بعد المائة: علم طبقات المفسرين.

الرابع والخمسون بعد المائة: علم آداب ختم القرآن».

* * *

## * ثانياً: علوم القرآن اشتملت العلوم التي اعتنت بالقرآن:

القرآن الكريم دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض، أنهى إليه منزله كلّ تشريع، وأودعه كلّ نهضة وناط به كلّ سعادة، وهو حجة الرسول، وآيته الكبرى يقوم في فم الدنيا شاهداً برسالته ناطقاً بنبوته، دليلاً على صدقه وأمانته.

وهو ملاذ الدين الأعلى، يستند الإسلام إليه في عقائده وعباداته وحكمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه وقصصه ومواعظه وعلومه ومعارفه، وهو عماد لغة العرب الأسمى تدين له اللغة العربية في بقائها وسلامتها، وتستمد علومها منه على تنوعها وكثرتها وتفوق سائر اللغات العالمية به في أساليبها ومادتها.

وهو أولاً وآخراً القوة المحولة التي غيرت صورة العالم، ونقلت حدود الممالك وحولت مجرى التاريخ وأنقذت الإنسانية العاثرة، فكأنما خلقت الوجود خلقاً جديداً؛ لذلك كله كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول ﷺ وصحابته ﵃، ومن سلف الأمة وخلفها جميعاً إلى يوم الناس.

هذا وقد اتخذت هذه العناية أشكالاً مختلفة فتارةً ترجع إلى لفظه وأدائه، وأُخرى إلى أسلوبه وإعجازه، وثالثة إلى كتابته ورسمه، ورابعة إلى تفسيره وشرحه إلى غير ذلك.

ولقد أفرد العلماء كلّ ناحية من هذه النواحي بالبحث والتأليف ووضعوا من أجلها العلوم، ودونوا الكتب، وتباروا في هذا الميدان الواسع أشواطاً بعيدة حتى زخرت المكتبة الإسلامية بتراث مجيد من آثار سلفنا الصالح وعلمائنا الأعلام، وكانت هذه الثروة ولا تزال مفخرةً نتحدى بها أمم الأرض، ونفحم بها أهل الملل والنحل في كل عصر ومصر.

وهكذا أصبح بين أيدينا الآن مصنفات متنوعة وموسوعات قيمة فيما نسميه علم القراءات، وعلم التجويد، وعلم النسخ العثماني، وعلم التفسير، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم غريب القرآن، وعلم إعجاز القرآن، وعلم إعراب القرآن، وما شاكل ذلك من العلوم الدينية والعربية، مما يعتبر بحقّ أروع مظهر عرفه التاريخ لحراسة كتاب هو سيد الكتب، وبات هذا المظهر معجزةً جديدةً مصدقةً؛ لقوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:٩].

ولقد أنجبت تلك العلوم الآنفة وليداً جديداً هو مزيج منها جميعاً، وسليل لها جميعا فيه مقاصدها وأغراضها وخصائصها وأسرارها، وقد أسموه «علوم القرآن»، وهو موضوع دراستنا في هذا الكتاب .

وننبه أنّ القرآن الكريم كتابُ هداية وإعجاز، من أجل هذين المطمحين نزل، وفيهما تحدَّث، وعليهما دلّ، فكلُّ علم يتصل بالقرآن من ناحية قرآنيته، أو يتصل به من ناحية هدايته، أو إعجازه، فذلك من علوم القرآن، وهذا ظاهر في العلوم الدينية والعربية.

أما العلوم الكونية وأما المعارف والصنائع وما جد أو يجد في العالم من فنون ومعارف كعلم الهندسة والحساب وعلم الفلك وعلم الاقتصاد والاجتماع وعلم الطبيعة والكيمياء وعلم الحيوان والنبات، فإن شيئاً من ذلك لا يعتبر من علوم القرآن؛ لأنّ القرآن لم ينزل ليدلل على نظرية من نظريات الهندسة مثلاً، ولا ليقرر قانونا من قوانينها، وهكذا القول في سائر العلوم الكونية والصنائع العالمية، وإن كان القرآن قد دعا المسلمين إلى تعلمها وحذقها والتمهر فيها خصوصا عند الحاجة إليها؛ لأن هناك فرقاً كبيراً بين الشيء يحث القرآن على تعلمه في عموماته أو خصوصاته وبين العلم يدل القرآن على مسائله أو يرشد إلى أحكامه أو يكون ذلك العلم خادماً للقرآن بمسائله أو أحكامه أو مفرداته.

وطريقة القرآن في عرضه للهداية والإعجاز على الخلق، قد حاكم الناس إلى عقولهم وفتح عيونهم إلى الكون، وما في الكون من سماء وأرض وبر وبحر وحيوان ونبات وخصائص وظواهر ونواميس وسنن، وكان القرآن في طريقة عرضه هذه موفقاً كلّ التوفيق، بل كان معجزاً أبهر الإعجاز؛ لأن حديثه عن تلك الكونيات كان حديث العليم بأسرارها الخبير بدقائقها المحيط بعلومها ومعارفها.

* * *

# المبحث الأول
# في معنى علوم القرآن

يطلق العلم على المسائل المضبوطة بجهة واحدة.

**ونعرض معنى علوم القرآن في النقاط الآتية:**

## * أولاً: معنى القرآن لغة واصطلاحاً:

**نذكر معنى أشهر أسمائه في اللغة وهي: القرآن، والفرقان، والكتاب، والذِّكر، والمصحف:**

**القرآن**: مصدر قرأ، فقرأت الكتاب قراءةً وقُرآناً، ومنه سُمِّيَ القرآن، قال ابن الأثير: «الأصل في هذه اللفظة: الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته، وسُمِّي القرآن؛ لأَنَّه جمع القَصص، والأمر، والنَّهي، والوعد، والوعيد، والآيات والسُّور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغُفران والكُفران»[1]، وقد ورد لفظ القرآن في آيات عديدة منها: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء:٨٢]، ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

ويُسمّى **الفرقان**، وهو مصدر، تقول: فرق، يفرق، فرقاً، وفرقاناً، وسُمِّيَ القرآن فرقاناً؛ لأنَّ الله فرَّق به بين الحق والباطل، والهدى والضَّلال، والإيمان والكفر، والمؤمن والكافر[2]، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان:١].

---

(١) ينظر: لسان العرب ٥: ٣٥٦٣.

(٢) ينظر: هذا القرآن ص٣١-٣٥.

قال الزَّرقانيّ: «إن هذين الاسمين هما أشهر أسماء النظم الكريم، بل جعلهما بعض المفسرين مرجع جميع أسمائه، كما ترجع صفات الله على كثرتها إلى معنى الجلال والجمال، ويلي هذين الاسمين في الشهرة هذه الأسماء الثلاثة: «الكتاب» و«الذكر» و«التنزيل» ».

ويُسَمَّى **الكتاب**، وهو مصدر بمعنى المكتوب: أي كُلّ ما يكتب، ويطلق على الكتاب المُنَزَّل[1]، وَكَتَبَ بمعنى جمع وضم كما في قرأ، ومن الآيات التي ورد فيها: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:٢]، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران:٧].

قال الخالدي[2]: «أشهر اسمين لكتاب الله هما: القرآن والكتاب، وقد عرفنا إشارة القرآن للجمع اللفظي للقرآن، وإشارة الكتاب للجمع الكتابي له، وهناك حكمة تبدو لنا من تسميته بكل من القرآن والكتاب: أنَّهما يوحيان لنا بوسيلتين لحفظ القرآن، وهما: وسيلة القراءة والحفظ، ووسيلة الكتابة والتَّدوين... ولقد ألهم الله المسلمين هاتين الوسيلتين لحفظ كلامه، حيث كانوا يحفظونه حفظاً متقناً، وكانوا يكتبونه في المصحف..».

ويُسمّى **الذِّكر**، وهو مصدر، تقول: ذكرت، أذكر، ذكراً، ووجه تسمية القرآن ذكراً؛ لما فيه من المواعظ والزَّواجر والموقظات التي تُذَكِّر قارئه، وتوقظ قلبه، وتصله بالله، وتزجره عن المعاصي، ومن الآيات التي ورد فيها: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:٩]، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ [النحل:٤٤].

ويسمّى: **المصحف**، والمصحف حقيقته مجمع الصُّحف، وسمّوا القرآن مصحفاً؛ لأنَّه كان متفرقاً في صحائف أولاً فجمعوه بين الدَّفتين وسمّوه به، ويجوز أن يسمى غيره بهذا الاسم إذا وجد هذا المعنى[3].

---

(١) ينظر: المصباح المنير ص٥٢٥.

(٢) في هذا القرآن ص٢٨-٢٩:

(٣) ينظر: كشف الأسرار للبخاري ١: ٢٢، وفتح الغفار ١: ١٠.

**واصطلاحاً:**

**للقرآن تعاريف عديدة يتحقق المقصود بها، ومنها:**

**١ .المُنزل على رسول الله ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول عن النَّبيّ ﷺ، نقلاً متواتراً بلا شُبهة[١].**

واحترز بقوله: المُنزل؛ عن غير الكتب السَّماوية، وعن الوحي الذي ليس بمتلو؛ لأنَّ المراد من المُنزل ما أنزل نظمه ومعناه، والوحي الذي ليس بمتلو لم ينزل إلا معناه.

وبقوله: على رسول الله ﷺ؛ عما أُنزل على غيره من الأنبياء عليهم السَّلام من التَّوراة والإنجيل والزَّبور أو نحوها.

وبقوله: المكتوب في المصاحف؛ عما نُسِخت تلاوته وبقيت أحكامه: كآية الرَّجم، فعن عمر رضي الله عنه: «لولا أن يقول النَّاس زاد عمر في كتاب الله لكتبت آية الرَّجم بيدي»[٢].

وبقوله: المنقول عنه نقلاً متواتراً؛ عمّا اختصّ بمثل مصحف أُبيّ وغيره مما نقل بطريق الآحاد، نحو قوله: فَعِدَّة من أيام أخر متتابعات[٣].

---

(١) ينظر: أصول البزدوي ١: ٥، والمنار ١: ٢٢.

(٢) في صحيح البخاري ٦: ٢٥٠٣، وذكر أنَّ أية الرَّجم هي: الشَّيخ والشَّيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله، فعن كثير بن الصلت قال: كان بن العاص وزيد بن ثابت يكتبان المصاحف فمروا على هذه الآية، فقال زيد رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الشَّيخ والشَّيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، فقال عمر رضي الله عنه: لما أُنزلت هذه أتيت رسول الله ﷺ فقلت أكتبنيها، قال شعبة: فكأنَّه كره ذلك، فقال: عمر ألا ترى أنَّ الشَّيخ إذا لم يحصن جلد وأنَّ الشَّاب إذا زنى وقد أحصن رجم» في مسند أحمد ٥: ١٨٣، وعلَّق عليه الأرنؤوط بقوله: رجاله ثقات رجال الشَّيخين غير كثير بن الصلت فقد روى له النَّسائي وهو ثقة، قال البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه قال عمر: «لقد خشيت أن يطول بالنَّاس زمان حتى يقول قائل: لا نجد الرَّجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، ألا وإنَّ الرَّجم حقّ على من زنى، وقد أحصن إذا قامت البينة أو كان الحمل أو الاعتراف، قال سفيان: كذا حفظت ألا وقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده».

(٣) فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «نزلت فعدَّة من أيام أخر متتابعات فسقطت متتابعات» في مصنف عبد الرَّزاق ٤: ٢٤١، وسنن الدَّارقطني ١: ١٦٢، وصححه.

وبقوله: بلا شبهة؛ عما اختص بمثل مصحف ابن مسعود ﷺ مما نقل بطريق الشُّهرة، وهذا على قول الجصَّاص ظاهر، فإنَّه جعل المشهور أحد قسمي المتواتر، وعلى قول غيره يكون قوله: نقلاً متواتراً، احترازاً عن المشهور والآحاد، وقوله: بلا شبهة؛ تأكيداً، وهذا الموضع صالح للتأكيد؛ لقوة شبه المشهور بالمتواتر(١).

**٢.ما نقل إلينا بين دفتي المصاحف تواتراً(٢).**

فخرج سائر الكتب والأحاديث الإلهية والنَّبوية والقراءة الشَّاذة(٣).

**٣.النَّظم المُنزل على رسولنا محمد ﷺ المنقول عنه تواتراً(٤).**

والنَّظم: هو الموضوع لمعنى مفرداً كان أو مركباً(٥).

**٤.اللفظ المنزل على النبي ﷺ المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته.**

وخرج بالمنزل على النبي ﷺ ما لم ينزل أصلاً مثل كلامنا، ومثل الحديث النبوي، وما نزل على غير النبي كالتوراة والإنجيل.

وخرج بالمنقول تواتراً جميع ما سوى القرآن من منسوخ التلاوة والقراءات غير المتواترة.

## * ثانياً: القرآن كلام الله ﷻ النفسي:

معلومٌ أنّ القرآن كلام الله، وأن كلام الله غيرُ كلام البشر ما في ذلك ريب، ومعلومٌ أيضاً أن الإنسان له كلامٌ قد يُراد به المعنى المصدري: أي التَّكلُّم، وقد يُراد به المعنى الحاصل بالمصدر أي المتكلَّم به، وكلٌّ من هذين المعنيين لفظيٌّ ونفسيٌّ،

---

(١) ينظر: كشف الأسرار للبخاري ١: ٢٢-٢٤، وكشف الأسرار للنَّسفي ١: ١١-١٢، ونور الأنوار ١: ١١-١٣، وفتح الغفار ١: ٩-١١١، وشرح ابن العيني ص٨-٩، وغيرها.

(٢) ينظر: التنقيح ١: ٤٦.

(٣) ينظر: التوضيح ١: ٤٦.

(٤) ينظر: مرقاة الوصول ص٣٣.

(٥) ينظر: مرآة الأصول ص٣٣.

فالكلامُ البشري اللفظي بالمعنى المصدري، هو تحريك الإنسان للسانه وما يُساعده في إخراج الحروف من المخارج.

والكلامُ اللفظيُّ بالمعنى الحاصل بالمصدر هو تلك الكلمات المنطوقة التي هي كيفية في الصَّوت الحسي، وكلا هذين، ظاهرٌ لا يحتاج إلى توضيح.

أمَّا الكلام النفسي بالمعنى المصدري فهو تحضير الإنسان في نفسه بقوته المتكلمة الباطنة للكلمات التي لم تبرز إلى الجوارح، فيتكلَّم بكلمات متخيّلة يُرتبُها في الذِّهن، بحيث إذا تلفظ بها بصوتٍ حسيٍّ كانت طبق كلماته اللفظية.

والكلامُ النَّفسيُّ بالمعنى الحاصل بالمصدر هو تلك الكلمات النَّفسية والألفاظ الذَّهنية المترتبة ترتباً ذهنياً منطبقاً عليه الترتب الخارجي.

ومن الكلام البشري النفسي بنوعيه قوله تعالى: ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ ﴾ [يوسف:٧٧].

فعن أم سلمة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ وقد سأله رجل فقال: «إني لأحدث نفسي بالشيء لو تكلَّمت به لأحبطت أجري، فقال ﷺ: لا يلقى ذلك الكلام إلا مؤمن»[1]، فأنت ترى أن النبي سمَّى ذلك الشَّيء الذي تحدَّثت به النَّفس كلاماً مع أنه كلمات ذهنية لم يَنطق بها الرَّجل مخافة أن يَحبط بها أَجره، وهذا الإطلاق من النبي ﷺ يحمل على الحقيقة؛ لأنها الأصل، ولا صارف عنها.

كذلكم القرآن كلامُ الله، ولله المثل الأعلى، قد يُطلق ويُراد به الكلام النفسي، وقد يُطلق ويراد به الكلام اللفظي، والذين يطلقونه إطلاق الكلام النَّفسي هم المتكلمون فحسب؛ لأنهم المتحدثون عن صفات الله تعالى النَّفسية من ناحية، والمقررون لحقيقة أن القرآن كلام الله غير مخلوق من ناحية أخرى.

(١) في المعجم الأوسط٣: ٣٧١.

أمّا الذين يطلقونه إطلاق الكلام اللفظي، فالأصوليون والفقهاء وعلماء العربية وإن شاركهم فيه المتكلمون أيضاً.

وإنما عني الأصوليون والفقهاء بإطلاق القرآن على الكلام اللفظي؛ لأنّ غرضهم الاستدلال على الأحكام، وهو لا يكون إلا بالألفاظ.

وكذلك علماء العربية يعنيهم أمر الإعجاز فلا جرم كانت وجهتهم الألفاظ، والمتكلمون يعنون أيضاً بتقرير وجوب الإيمان بكتب الله المنزلة، ومنها القرآن وبإثبات نبوة الرسول بمعجزة القرآن، وبدهي أن ذلك كله مناطه الألفاظ.

ثمّ إن المتكلمين حين يطلقونه على الكلام النفسي يلاحظون أمرين:

١. أن القرآن علمٌ: أي كلام ممتاز عن كلّ ما عداه من الكلام الإلهي.

٢. أنه كلامُ الله، وكلامُ الله قديمٌ غيرُ مخلوق، فيجب تنزهه عن الحوادث، وأعراض الحوادث، وقد علمت أن الكلام النفسي البشري يطلق بإطلاقين أحدهما على المعنى المصدري، وثانيهما على المعنى الحاصل بالمصدر، فكذلك كلام الله النفسي يطلق بإطلاقين أحدهما على نظير المعنى المصدري للبشر، وثانيهما على نظير المعنى الحاصل بالمصدر للبشر، وإنّما قلنا على نظير لما هو مقرَّر من وجوب تنزه الكلام الإلهي النفسي عن الخلق، وأشباه الخلق، فعرفوه بالمعنى الأول الشبيه بالمعنى المصدري البشري.

وقالوا: **إنه الصفة القديمة المتعلقة بالكلمات الحكمية، من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس**، وهذه الكلمات أزلية مجردة عن الحروف اللفظية والذهنية والروحية، وهي مترتبةٌ غيرُ متعاقبة كالصورة تنطبع في المرآة مترتبة غير متعاقبة.

ومعنى «حكمية» أنها ليست ألفاظا حقيقية مصورة بصورة الحروف والأصوات

ومعنى «أزلية» أنها قديمة.

ومعنى «مجردة» أي عن الحروف اللفظية والذهنية والروحية؛ لينفوا عنها أنها مخلوقة.

ومعنى «غير متعاقبة»؛ لأنَّ التعاقب يستلزم الزمان، والزمان حادث، وأثبتوا لها الترتب ضرورة أنّ القرآن حقيقة مترتبة، بل ممتازة بكمال ترتبها وانسجامها.

قال بعقيلة الحنفيّ[1]: «القرآن باعتبار الوجود الذهني محفوظ في الصدور، وباعتبار الوجود اللساني مقروء بالألسنة، وباعتبار الوجود الكتابي مكتوب في المصاحف، وباعتبار الوجود الخارجي وهو المعنى القائم بالذات المقدسة، ليس بالصدور، ولا بالألسنة، ولا في المصاحف».

## * ثالثاً: معنى علوم القرآن كفن مدون وموضوعه وفائدته:

**١. تعريف علوم القرآن:**

مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه ونحو ذلك.

**٢. موضوعه:**

هو مجموع موضوعات تلك العلوم المنضوية تحت لوائه وموضوع كل واحد منها هو القرآن الكريم من ناحية واحدة من تلك النواحي، فعلم القراءات مثلاً موضوعه القرآن الكريم من ناحية لفظه وأدائه وعلم التفسير موضوعه القرآن الكريم من ناحية شرحه ومعناه وهلم جرا.

**٣. فائدته:**

ترجع إلى الثقافة العالية العامة في القرآن الكريم، وإلى التسلح بالمعارف القيمة فيه استعداداً لحسن الدفاع عن حمى الكتاب العزيز، ثم إلى سهولة خوض غمار تفسير القرآن الكريم به: كمفتاح للمفسرين.

---

(١) في الزيادة والإحسان١: ١٠٣.

## المبحث الثاني
## تدوين علوم القرآن

**ونعرضه في النقاط الآتية:**

### * أولاً: علوم القرآن قبل التدوين:

كان الرسول وأصحابه يعرفون عن القرآن وعلومه ما عرف العلماء وفوق ما عرف العلماء من بعد، ولكن معارفهم لم توضع على ذلك العهد كفنون مدونة ولم تجمع في كتب مؤلفة؛ لأنهم لم تكن لهم حاجة إلى التدوين والتأليف.

أمّا الرسول ﷺ فلأنه كان يتلقى الوحي عن الله وحده، والله تعالى كتب على نفسه الرحمة ليجمعنه له في صدره، وليطلقن لسانه بقراءته وترتيله، وليميطن له اللثام عن معانيه وأسراره، قال ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة:١٦-١٩].

والصحابة رضي الله عنهم علمهم النبي ﷺ وكانوا عرباً خلصاً متمتعين بجميع خصائص العروبة، ومزاياها الكاملة من قوة في الحافظة، وذكاء في القريحة وتذوق للبيان، وتقدير للأساليب، ووزن لما يسمعون بأدق المعايير، حتى أدركوا من علوم القرآن، ومن إعجازه بسليقتهم وصفاء فطرتهم ما لا نستطيع نحن أن ندركه مع رحمة العلوم وكثرة الفنون.

وكانوا مضرب الأمثال في نشر الإسلام وتعاليمه والقرآن وعلومه والسنة وتحريرها تلقينا لا تدوينا ومشافهة لا كتابة .

وفي خلافة عثمان ﷺ، وقد اتسعت رقعة الإسلام واختلط العرب الفاتحون بالأمم التي لا تعرف العربية، وخيف أن تذوب خصائص العروبة من العرب من جراء هذا الفتح والاختلاف، بل خيف على القرآن نفسه أن يختلف المسلمون فيه إن لم يجتمعوا على مصحف إمام، فتكون فتنة في الأرض وفساد كبير؛ لهذا أمر ﷺ أن يجمع القرآن في مصحف إمام، وأن تنسخ منه مصاحف يبعث بها إلى أقطار الإسلام، وأن يحرق النّاس كلّ ما عداها، ولا يعتمدوا سواها.

وبهذا العمل وضع عثمان ﷺ الأساس لما نسميه علم رسم القرآن، أو علم الرسم العثماني، ثم جاء علي ﷺ فلاحظ العجمة تحيف على اللغة العربية وسمع ما أوجس منه خيفة على لسان العرب، فأمر أبا الأسود الدؤلي أن يضع بعض قواعد لحماية لغة القرآن من هذا العبث والخلل، وخطّ له الخطط وشرع له المنهج، وبذلك يُمكننا أن نعتبر أنّ علياً ﷺ قد وضع الأساس لما نسميه علم النحو، ويتبعه علم إعراب القرآن على الخلاف في هذه الرواية.

ثمّ انقضى عهد الخلافة الرشيدة، وجاء عهد بني أمية، وهمة مشاهير الصحابة والتابعين متجهة إلى نشر علوم القرآن بالرواية والتلقين لا بالكتابة والتدوين، ولكن هذه الهمة في هذا النشر يصحُّ أن نعتبرها تمهيداً لتدوينها، كالخلفاء الأربعة وابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير ومجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة والحسن البصري وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم.

وهؤلاء جميعاً يعتبرون أنهم واضعو الأساس لما يُسمّى علم التفسير، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم غريب القرآن، ونحو ذلك.

## * ثانياً: عهد التدوين لعلوم القرآن:

ثم جاء عصر التدوين فألفت كتب في أنواع علوم القرآن، واتجهت الهمم قبل كلّ شيء إلى التفسير باعتباره أم العلوم القرآنية؛ لما فيه من التَّعرُّض لها في كثير من

المناسبات عند شرح الكتاب العزيز، ومن أوائل الكاتبين في التفسير شعبة بن الحجاج وسفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وتفاسيرهم جامعة لأقوال الصحابة والتابعين، وهم من علماء القرن الثاني، ثم تلاهم ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، وكتابه أجل التفاسير وأعظمها؛ لأنه أول مَن عرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، كما عرض للإعراب والاستنباط، وبقيت العناية بالتفسير قائمة إلى عصرنا هذا حتى وجدت منه مجموعة رائعة فيها المعجب والمطرب والموجز والمطول والمتوسط، ومنها التفسير بالمعقول والتفسير بالمأثور، ومنها تفسير القرآن كله وتفسير جزء وتفسير سورة وتفسير آية وتفسير آيات الأحكام إلى غير ذلك.

أما علوم القرآن الأخرى ففي مقدمة المؤلفين فيها علي بن المديني شيخ البخاري؛ إذ ألف في أسباب النزول، وأبو عبيد القاسم بن سلام؛ إذ كتب في الناسخ والمنسوخ وكلاهما من علماء القرن الثالث، وفي مقدمة من ألف في غريب القرآن أبو بكر السجستاني، وهو من علماء القرن الرابع، وفي طليعة من صنف في إعراب القرآن علي بن سعيد الحوفي، وهو من علماء القرن الخامس، ومن أوائل من كتب في مبهمات القرآن أبو القاسم عبد الرحمن المعروف بالسبيلي، وهو من علماء القرن السادس، كذلك تصدر للتأليف في مجاز القرآن ابن عبد السلام، وفي القراءات علم الدين السخاوي، وهما من علماء القرن السابع.

وهكذا قويت العزائم وتبارت الهمم ونشأت علوم جديدة للقرآن، وظهرت مؤلفات في كلِّ نوع منها سواء في ذلك أقسام القرآن وأمثال القرآن وحجج القرآن وبدائع القرآن ورسم القرآن وما أشبهها مما يروعك تصوره.

**المؤلفات في علوم القرآن:**

ولا ريب أن تلك المجهودات الجبارة لا يتهيأ لإنسان أن يحيط بها ولو أفنى عمره، واستنفد وسعه؛ لهذا اشرأبت أعناق العلماء أن يعتصروا من تلك العلوم علماً جديداً يكون كالفهرس لها، والدليل عليها، والمتحدث عنها، فكان هذا العلم هو ما نسميه علوم القرآن بالمعنى المدون.

ولا نعلم أنّ أحداً قبل المائة الرابعة للهجرة أَلَّف أو حاول أن يؤلف في علوم القرآن بالمعنىٰ المدون؛ لأنّ الدواعي لم تكن موفورة لديهم نحو هذا النوع من التأليف، وإن كنا نعلم أنها كانت مجموعة في صدور المبرزين من العلماء علىٰ الرغم من أنهم لم يدونوها في كتاب ولم يفردوها باسم.

١. «فنون الأفنان في علوم القرآن» لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ).

٢. «المجتبىٰ في علوم تتعلق بالقرآن» لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)

٣. «جمال القراء» لعلم الدين السخاوي (ت٦٤١هـ).

٤. «المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز» لأبي شامة (ت٦٦٥هـ).

٥. «البرهان في مشكلات االقرآن» لأبي المعالي عزيز بن عبدالملك المعروف بشيذلة.

قال السُّيوطيُّ[1] في وصف هذا الكتب: «وكلها بالنسبة إلىٰ نوع من هذا الكتاب ـ أي الإتقان ـ، كحبة رمل في جنب رمل عالج، ونقطة قطر في حيال بحر زاخر»

٦. «البرهان في علوم القرآن» لبدر الدِّين الزَّركشيّ (ت ٧٩٤هـ).

٧. «علوم التفسير» لمحمد بن سليمان الكافيجي (ت٨٧٣هـ)، قال الكافيجي: لم أسبق إليه، لكن قال السيوطي[2]: «كتبته عنه، فإذا هو صغير الحجم جداً، حاصل ما فيه بابان: الأول: في ذكر معنىٰ التفسير والتأويل والقرآن والسورة والآية، والثاني: في شروط القول فيه بالرأي، وبعدهما خاتمة في آداب العالم والمتعلم، فلم يشف لي ذلك غليلاً، ولم يهدني إلىٰ المقصود سبيلاً»[3].

(١) في الإتقان١: ٢٢.

(٢) في الإتقان١: ١٦.

(٣) ينظر: الزيادة والإحسان١: ٨٤.

٨.«مواقع العلوم من مواقع النجوم» لجلال الدين البلقيني، قال السُّيوطي[١]: «رأيته تأليفاً لطيفاً، ومجموعاً ظريفاً، ذا ترتيب وتقرير، وتنويع وتحرير».

٩.«التحبير في علوم التفسير» للسيوطي (ت٩١١هـ)، قال السُّيوطي[٢]: «ضمنته ما ذكر البُلقيني من الأنواع مع زيادة مثلها، وأضفت إليها فوائد سمحت القريحة بنقلها».

١٠.«الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (ت٩١١هـ)، وهو عمدة الباحثين والكاتبين في هذا الفنّ.

قال السيوطي[٣]: «ورتبت أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب البرهان، وأدمجت بعض الأنواع في بعض، وفصلت ما حقّه أن يُبان، وزدت على ما فيه من الفوائد والفرائد، والقواعد والشوارد، ما يشنف الآذان»، وذكر أنواع العلوم فيه، ثم قال: «فهذه ثمانون نوعاً على سبيل الإدماج، ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت عن الثلاثمائة، وغالب هذه الأنواع فيها تصانيف مفردة، وقفت على كثير منها». ويعدّ من أفضل مَن ألف في علوم القرآن.

وقال بعقيلة الحنفي[٤]: «وأحسنها كتاب الإتقان... ولما رأيت كتابه، وما اشتمل عليه من العلوم، ونفائس الفهوم، الذي لو لم يكن له إلا هذا الكتاب لكفاه شرفاً وفخراً، يعلو به مرتبةً وقدراً لفهوم، حداني ذلك إلى أن أحذو على منواله، وأنسج كتاباً على مثاله»

١١.«الزيادة والإحسان في علوم القرآن» لمحمد بن أحمد بن سعيد المكي الحنفي،

---

(١) في الإتقان١: ١٧.

(٢) في الإتقان١: ١٨.

(٣) في الإتقان١: ٢٧.

(٤) في الزيادة والإحسان١: ٨٣ـ ٩٠.

المعروف بعقيلة، (ت١١٥٠هـ)، قال بعقيلة الحنفي[١]: «أودعت فيه جل مافي «الإتقان»، وزدت عليه قريباً من ضعفه من المسائل الحسان، واخترعت كثيراً من الأنواع اللطيفة، والفوائد الشريفة، هذا على سبيل الإدماج والإجمال، ولو فصلتها، لزادت على أربعمائة نوع».

١٢. «التبيان في علوم القرآن» لطاهر الجزائري، فرغ منه (١٣٣٥هـ).

* * *

---

(١) في الزيادة والإحسان١: ٩٠.

# المبحث الثالث
# في نزول القرآن

**ونعرضه في النقاط التالية:**

## * أولاً: الفرق بين القرآن والحديث القدسي:

صفوة القول في هذا المقام أن القرآن أوحيت ألفاظه من الله اتفاقاً، وأن الحديث القدسي أوحيت ألفاظه من الله على المشهور، والحديث النبوي أوحيت معانيه في غير ما اجتهد فيه النبي ﷺ، والألفاظ من النبي ﷺ.

بيد أن القرآن له خصائصه من الإعجاز والتعبد به ووجوب المحافظة على أدائه بلفظه ونحو ذلك، وليس للحديث القدسي والنبوي شيء من هذه الخصائص، والحكمة في هذا التفريق أن الإعجاز منوط بألفاظ القرآن.

**وَيُفَرَّق بين القرآن والحديث القدسي بما يلي:**

١ . إنَّ القرآن نزل به جبريل عليه السلام إلى النَّبي ﷺ لفظاً ومعنى، أما الحديث القدسي فقد نزل روح القدس ـ وهو جبريل عليه السلام ـ إلى النَّبي ﷺ بمعناه؛ ولهذا سُمِّي قدسياً، وصياغة ألفاظه عن الله تعالى من رسول الله ﷺ؛ لذا سُمِّي حديثاً[1].

---

(١) هنالك رأي آخر: أنَّ لفظه ومعناه من الله تعالى بواسطة المَلك يقذفه في روع النَّبي ﷺ مثل: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ...» في صحيح مسلم ٤: ١٩٩٤، فقد ثبت عنه ﷺ أنَّه قال: «إنَّ روح القدس نفث في رُوْعي: إنَّ نفساً لم تمت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب» في مسند الشَّافعي ص٢٣٣.

٢. إنَّه نُقل القرآن تواتراً، وأما الحديث القدسي فليس متواتراً.
٣. إنَّه تصحّ الصَّلاة بالقرآن، ولا تصح بالحديث القدسي.
٤. إنَّ القرآن مُعجز، بخلاف الحديث القدسي.
٥. إنَّه لا يجوز ترجمة القرآن نصاً، وفي الحديث القدسي يجوز.
٦. إنَّ القرآن لا يمس إلا على طهارة[1]، بخلاف القدسي.
٧. إنَّ القرآن يتعبّد بتلاوته، ولا يتعبّد بألفاظ الحديث القدسي.
٨. إنَّ جاحد القرآن كافر، بخلاف جحود القدسي.
٩. إنَّه لا يجوز رواية القرآن بالمعنى، وفي القدسي يجوز على الرَّاجح.
١٠. إنَّ القرآن مُقَسَّم إلى سور وآيات وأجزاء وأحزاب، ولا توجد هذه الأمور في القدسي[2].

## * ثانياً: الحكم والأسرار في تنجيم القرآن:

١. تثبيت فؤاد النبي ﷺ، وتقوية قلبه، وذلك من وجوه؛ لأن في تجدد الوحي وتكرار نزول الملك به من جانب الحق إلى رسوله سروراً يملأ قلب الرسول غبطة تشرح صدره، ولأن في التنجيم تيسيراً عليه من الله في حفظه وفهمه ومعرفة أحكامه، قال ﷻ: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ [الفرقان:٣٢].

(١) إنَّ مسألة عدم جواز مسّ المصحف إلا لَمن معه وضوء يغفل عنها كثيرون رغم صراحة القرآن فيها، في قوله: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩]، وقول النَّبي ﷺ لحكيم بن حزام رضي الله عنه: «لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر» في المستدرك ٣: ٥٥٢، وصححه، وإجماع الفقهاء على ذلك نَقله ابن عبد البرّ المالكي في الاستذكار ٢: ٤٧٢، وابن قدامة المقدسي الحنبلي في المغني ١: ١٦٨، وابن تيمية الحنبلي في الفتاوى الكبرى ١: ٢٨٢، والنَّووي الشَّافعي في المجموع ٢: ٨٦، وتمام الأدلة في المشكاة ص١٠٠-١٠٢.
(٢) المدخل لدراسة الفقه وأصوله ص٤٧.

٢.التدرج في تربية هذه الأمة الناشئة، علماً وعملاً؛ لتيسير حفظ القرآن على الأمة العربية، وتسهيل فهمه عليهم، وتمهيد لكمال تخليهم عن عقائدهم الباطلة وعباداتهم الفاسدة وعاداتهم المرذولة، وكشف حال أعداء الله المنافقين، وهتك أستارهم.

٣.الإرشاد إلى مصدر القرآن، وأنه كلام الله وحده وأنه لا يمكن أن يكون كلام محمد، ولا كلام مخلوق سواه.

قال أبو شامة(١): «هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ٣٢﴾ [الفرقان:٣٢]، فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ [الفرقان:٣٢] ، لنقوي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كلّ حادثة كان أقوى للقلب، وأشدّ عناية بالمرسل إليه، ويستلزم من ذلك كثرة نزول الملائكة إليه، وتجدد العهد به، وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدث له من السُّرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان، لكثرة لقائه جبريل».

## * ثالثاً: حقيقة الوحي:

الوحي: أن يعلم الله تعالى مَن اصطفاه من عباده كلّ ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر.

قال بعقيلة الحنفي(٢): «والتحقيق في ذلك أن يكون تلقي جبريل الوحي عن الله ﷻ بنوع من التَّجلي، وهو أن يتجلى الحقّ ﷻ له بصفة الكلام، فيسمع ما أوحى الله ﷻ إليه من غير صوت ولا جهة ولا حرف في أيسر وقت، جميع القرآن المنزل على محمد ﷺ لفظاً ومعنى، ثمّ هو يلقيه على النبي ﷺ بتلك الكيفية، والنبي ﷺ يلقيه على الصحابة ﭫ بمثل ما أوحي إليه، بلفظه ومعناه.

---

(١) في المرشد الوجيز١: ٣٨.

(٢) في الزيادة الإحسان١: ١١١ـ١١٣.

وإنّما لا يمكن لبشر سماعه مثل ما سمعه النبي ﷺ؛ لعدم كمال استعدادهم للتلقي الروحاني، وبقائهم على البشرية، بخلافه هو ﷺ، فإنه هو في حال الوحي يصير روحاً نورانياً، فيسمع من جميع أجزاء جسده، كما هو شأن الأرواح، ولهذا السر شقّ عن صدره مراراً، وأخرجت منه العلقة البشرية، فصارت له القدرة على التلقي عن الحق ﷻ، فضلاً عن ذلك.

والحروف والأصوات إنما ظهرت لأجل كثافة العالم الجسماني، وعدم القدرة على التعبير بالعبارة الروحانية، فظهرت الحروف الكامنة، فإنها في العالم الروحاني معان كالمعاني في هذا العالم، ليس لها ظهور ولا تجسد.

فظهر من هذا التحقيق أن الوحي عبارة عن تجلي الحقّ لجبريل عليه السلام أو للنبي ﷺ بصفة الكلام النفسي، وهو عبارة عن هذا اللفظ والمعنى، غير أنّ اللفظ في ذلك التّجلي ليس متجسداً، بل هو معنى عبر عنه في هذا العالم لضيقه عن التعبير بتلك العبارة، كما يعبر عن رؤية اللبن في المنام بالعلم.

وبما ذكر علم أن صفة الكلام متعقلّة، وأنها عبارة عن تجلي الله ﷻ على جبريل عليه السلام أو على النبي ﷺ بصفة الكلام، فيحصل له إدراك اللفظ والمعنى من ذلك التّجلي، والصفة القديمة والكلام الإلهي في ذلك التجلي منزه عن الصوت والحرف».

## * رابعاً: أنواع الوحي وكيفياته:

١ . ما يكون مكالمة بين العبد وربه، كما كلم الله موسى تكليما.

٢ . ما يكون إلهاماً يقذفه الله في قلب مصطفاه على وجه من العلم الضروري لا يستطيع له دفعاً، ولا يجد فيه شكاً.

٣.ما يكون مناماً صادقاً يجيء في تحققه ووقوعه، كما يجيء فلق الصبح في تبلجه وسطوعه.

٤.ما يكون بوساطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، وهو ملك كريم، وهو أشهر الأنواع وأكثرها، ووحي القرآن كله من هذا القبيل، وهو المصطلح عليه بالوحي الجلي قال ﷻ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [**الشعراء:١٩٣-١٩٥**]، وملك الوحي يهبط على أساليب شتى:

أ. يظهر للنبي ﷺ في صورته الحقيقية الملكية.

ب. يظهر في صورة إنسان يراه الحاضرون، ويستمعون إليه.

ج. يهبط على النبي ﷺ خفية فلا يرى، ولكن يظهر أثر التغير والانفعال على صاحب الرسالة، فيغط غطيط النائم، ويغيب غيبة كأنها غشية أو إغماء، استغراقاً في لقاء الملك الروحاني وانخلاع عن حالته البشرية العادية، فيؤثر ذلك على الجسم فيغط ويثقل ثقلا شديدا قد يتصبب منه الجبين عرقاً في اليوم الشديد البرد

ويكون وقع الوحي على الرسول كوقع الجرس إذا صلصل في أذن سامعه وذلك أشد أنواعه، وربما سمع الحاضرون صوتاً عند وجه النبي ﷺ كأنه دوي النحل، فعن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي، فقال ﷺ: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشدّه علي فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً»[١].

* * *

---

(١) في صحيح البخاري ٢: ٢٨٣.

# المبحث الرابع
# في أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن

مدار هذا المبحث علىٰ النقل والتوقيف، ولا مجال للعقل فيه إلا بالترجيح بين الأدلة أو الجمع بينها فيما ظاهره التعارض منها.

**ونعرض هذا المبحث في النقاط الآتية:**

## * أولاً: في أول ما نزل من القرآن:

وأصح الأقوال أن أول ما نزل صدر سورة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)﴾ [**العلق:١**] إلىٰ قوله سبحانه: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ [العلق:٥]، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلىٰ أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلىٰ خديجة، فيتزود لمثلها حتىٰ جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: قرأ، قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتىٰ بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتىٰ بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣)﴾ [العلق:١-٣]»[١].

## * ثانياً: في آخر ما نزل من القرآن:

آخر ما نزل علىٰ الإطلاق فيه عشرة أقوال، وأولاها قول الله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا

---

(١) في صحيح البخاري ١: ٧.

تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة:٢٨١]؛ لما تحمله هذه الآية في طياتها من الإشارة إلى ختام الوحي والدين.

ولماذا لا تكون آية المائدة آخر ما نزل من القرآن وهي قوله سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة:٣]، مع أنها صريحة في أنها إعلام بإكمال الله لدينه في ذلك اليوم المشهود الذي نزلت فيه، وهو يوم عرفة في حجة الوداع بالسنة العاشرة من الهجرة، والظاهر أن إكمال دينه لا يكون إلا بإكمال نزول القرآن، وإتمام جميع الفرائض والأحكام؛ لأن هناك قرآناً نزل بعد هذه الآية حتى بأكثر من شهرين، والأقرب أن يكون معنى إكمال الدين فيها يومئذ هو إنجاحه وإقراره وإظهاره على الدين كله، ولو كره الكافرون، ولا ريب أن الإسلام في حجة الوداع كان قد ظهرت شوكته وعلت كلمته.

قال بعقيلة الحنفي(١): «واعلم أن كثيراً ما يذكر في الحديث: وهذه الآية آخر ما نزلت، ويراد به لم ينسخها شيء، لا أنه لم ينزل بعدها شيء من القرآن».

## * ثالثاً: الأوائل والأواخر النسبية(٢):

عني العلماء في بحوثهم بالأوليات المقيدة أي النسبية في موضوع معين، أو ناحية معينة، وبالآخر المقيد النسبي كذلك، وهو مأثور في أصله عن الصحابة والتابعين، ومن أمثلة أوّل ما نزل من القرآن مقيداً:

١. أوّل سورة نزلت بتمامها سورة الفاتحة.

٢. أول ما نزل في تشريع الجهاد، قال ﷻ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج:٣٩] نزلت في السنة الثانية للهجرة.

(١) في الزيادة والإحسان١: ١٨٢.
(٢) ينظر: علوم القرآن لنور الدين عتر ص٣٧ـ ٣٨، بتصرف.

٣. أول ما نزل في تحريم الخمر، قال ﷻ: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾[البقرة:٢١٩].

ومن أمثلة آخر ما نزل من القرآن مقيداً:

١. آخر ما نزل يذكر النساء خاصة، قال ﷻ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾[**آل عمران:١٩٥**].

٢. آخر ما نزل في المواريث آية الكلالة، قال ﷻ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ﴾[**النساء:١٧٦**].

٣. آخر سورة نزلت بتمامها من القرآن، قال ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ①﴾[**النصر:١**].

* * *

# المبحث الخامس
# في أسباب النزول

## تمهيد:

**القرآن الكريم قسمان:**

١.قسم نزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة، إنما هو لمحض هداية الخلق إلى الحق، وهو كثيرٌ ظاهر لا يحتاج إلى بحث، ولا بيان.

٢.قسم نزل مرتبطاً بسبب من الأسباب الخاصة، وهو موضوع بحثنا الآن، غير أنا لا نريد أن نستعرض جميع الآيات التي جاءت على أسباب فذلك شأو بعيد، وقد انتدب له جماعة أفردوه بالتأليف منهم علي بن المديني والواحدي والجعبري وابن حجر والسيوطي الذي وضع فيه كتاباً حافلاً محرراً سمّاه «لباب النقول في أسباب النزول».

وإنما غرضنا في هذا المبحث أن يحيطك علماً بأسباب النزول من أطرافه الأحد عشر، وهي معنى سبب النزول، وفوائد معرفة أسباب النزول، وطريق هذه المعرفة، والتعبيرات عن سبب النزول، وحكم تعدد الأسباب، والنازل واحد، وتعدد النازل، والسبب واحد في **النقاط التالية:**

### * أولاً: معنى سبب النزول:

هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه، مبينةً لحكمه أيام وقوعه: كالخلاف الذي شجر بين جماعة من الأوس وجماعة من الخزرج بدسيسة من أعداء الله اليهود

حتىٰ تنادوا السلاح السلاح ونزل بسببه تلك الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آل عمران: ١٠٠].

## * ثانياً: فوائد معرفة أسباب النزول:

أ. معرفة حكمة الله تعالىٰ علىٰ التعيين فيما شرعه بالتنزيل.

ب. الاستعانة علىٰ فهم الآية ودفع الإشكال عنها، فعن عروة قال لعائشة رضي الله عنها: «أرأيت قول الله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾ [البقرة:١٥٨]، فوالله ما علىٰ أحد جناح ألا يطوف بالصفا والمروة، قالت: بئسما قلت يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه ألا يطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان مَن أهل يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله عن ذلك، قالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة:١٥٨] الآية قالت عائشة: وقد سَنَّ رسول الله الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما»[١].

ج. دفع توهم الحصر عما يفيد بظاهره الحصر، نحو قوله ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام:١٤٥].

د. تخصيص الحكم بالسبب عند من يرىٰ أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

(١) في صحيح البخاري ٢: ١٨٧.

## * ثالثاً: طريق معرفة سبب النزول:

هي النقل الصحيح، فلا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها.

وعلى هذا فإن روي سبب النزول عن صحابي فهو مقبول؛ لأن قول الصحابي فيما لا مجال للاجتهاد فيه حكمه حكم المرفوع إلى النبي ﷺ.

وإن قاله التابعي فحكمه أنه لا يقبل إلا إذا صح واعتضد بمرسل آخر، وكان الراوي له من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة ﷺ كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير.

## * رابعاً: التعبير عن سبب النزول:

تختلف عبارات القوم في التَّعبير عن سبب النزول:

١ . يُصرَّح فيها بلفظ السبب، فيقال: سبب نزول الآية كذا، وهذه العبارة نصٌّ في السببية لا تحتمل غيرها.

٢ .لا يُصرَّح بلفظ السبب، ولكن يؤتى بفاء داخلة على مادة نزول الآية عقب سرد حادثة، وهذه العبارة مثل تلك في الدلالة على السببية أيضاً، ومثاله: رواية جابر الآتية قريباً.

٣ .يسأل النبي ﷺ، فيوحى إليه، ويجيب بما نزل عليه، ولا يكون تعبير بلفظ سبب النزول، ولا تعبير بتلك الفاء، ولكن السببية تُفهم قطعاً من المقام كرواية ابن مسعود رضي الله عنه الآتية عندما سئل النبي عن الروح، وحكم هذه أيضاً حكم ما هو نصٌّ في السببية.

٤ .لا يصرح بلفظ السبب، ولا يؤتى بتلك الفاء، ولا بذلك الجواب المبني على السؤال، بل يقال: نزلت هذه الآية في كذا مثلاً، وهذه العبارة ليست نصاً في السببية، بل

تحتملها وتحتمل أمراً آخر هو بيان ما تضمنته الآية من الأحكام، والقرائن وحدها هي التي تعين أحد هذين الاحتمالين أو ترجحه.

## * خامساً: تعدد الأسباب والنازل واحد:

إذا جاءت روايتان في نازل واحد من القرآن، وذكرت كلٌّ من الروايتين سبباً صريحاً غير ما تذكره الأخرى، وله أربعة صور، وهي:

١ .**أن تكون إحداهما صحيحة، والأخرى غير صحيحة، فحكمها الاعتماد على الصحيحة**، مثاله عن جندب قال: «اشتكى النّبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ١-٣]»[(١)].

وعن حفص بن ميسرة عن أمّه عن أمّها وكانت خادم رسول الله ﷺ أن جروا دخل بيت النبي ﷺ، فدخل تحت السرير، فمات فمكث النَّبيُّ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة ما حدث في بيت رسول الله ﷺ جبريل لا يأتيني فقلت في نفسي: لو هيأت البيت وكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو فجاء النبي ﷺ ترعد لحيته، وكان إذا نزل عليه أخذته الرعدة، فأنزل الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ إلى قوله ﴿فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾»[(٢)].

فنحن بين هاتين الروايتين نقدم الرواية الأولى في بيان السبب لصحّتها دون الثانية؛ لأن في إسنادها من لا يعرف، قال ابن حجر: «قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورةٌ، لكن كونها سبب نزول الآية غريب، وفي إسناده مَن لا يعرف، فالمعتمد ما في الصحيح».

---

(١) في صحيح البخاري٦: ١٨٢.

(٢) في المعجم الكبير٢٤: ٢٤٩.

**٢. أن تكون كلتاهما صحيحة ولكن لإحداهما مرجح دون الأخرى، فحكمها أن نأخذ في بيان السبب بالراجحة دون المرجوحة**، والمرجح أن تكون إحداهما أصحّ من الأخرىٰ أو أن يكون راوي إحداهما مشاهداً للقصّة دون راوي الأخرىٰ، مثاله:

فعن ابن مسعود ﵁ قال: «كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة، وهو يتوكأ علىٰ عسيب، فمرّ بنفر من اليهود، فقال بعضهم: لو سألتموه، فقالوا: حدثنا عن الروح فقام ساعة ورفع رأسه، فعرفت أنه يوحىٰ إليه حتىٰ صعد الوحي، ثم قال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء:٨٥]»[١].

وعن ابن عبَّاس ﵄ قال: قالت قريش لليهود: «أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل، فقالوا: اسألوه عن الروح، فسألوه فأنزل الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء:٨٥]»[٢].

فهذا الخبر الثاني يدلّ علىٰ أنها بمكة، وأن سبب نزولها سؤال قريش إياه، أما الأول فصريحٌ في أنها نزلت بالمدينة بسبب سؤال اليهود إياه، وهو أرجح من وجهين: أحدهما أنه رواية البخاري، وثانيهما أن راوي الخبر الأول، وهو ابن مسعود ﵁، كان مشاهداً للقصة من أولها إلىٰ آخرها، كما تدل علىٰ ذلك الرواية الأولىٰ بخلاف الخبر الثاني، فإن رواية ابن عباس ﵄ لا تدل الرواية علىٰ أنّه كان حاضراً القصة ولا ريب أن للمشاهدة قوة في التحمل وفي الأداء وفي الاستيثاق ليست لغير المشاهدة، ومن هنا أعملنا الرواية الأولىٰ وأهملنا الثانية.

**٣. أن تكون كلتاهما صحيحة ولا مرجح لإحداهما على الأخرى، ولكن يمكن الأخذ بهما معاً، فحكم هذه الصورة أن نحمل الأمر على تعدُّد السبب**؛ لأنّه الظّاهر، ولا مانع يمنعه، قال ابن حجر: «لا مانع من تعدد الأسباب»، مثاله:

---

(١) في صحيح البخاري١: ٣٧، وسنن الترمذي٥: ٣٠٤، وسنن النسائي الكبرىٰ١٠: ١٥٦.
(٢) في سنن الترمذي٥: ٣٠٤، وسنن النسائي الكبرىٰ١٠: ١٦٧.

فعن ابن عبّاس ﷺ أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي بشريك بن سحماء فقال النبي ﷺ: «البينة أو حد في ظهرك، فقال يا رسول الله: إذا وَجد أحدنا مع امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة، فنزل جبريل ؑ، وأنزل عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ﴾ [النور:٦]»[١].

وعن سهل بن سعد أن عويمراً أتىٰ عاصم بن عدي، وكان سيد بني عجلان فقال: «كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه، أم كيف يصنع سل لي رسول الله عن ذلك، فأتىٰ عاصم النبي ﷺ فقال يا رسول الله، فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها، فقال عويمر: والله لا أنتهي حتىٰ أسأل رسول الله عن ذلك، فجاءه عويمر، فقال يا رسول الله: رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع فقال رسول الله: قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك، فأمرهما رسول الله بالملاعنة بما سمىٰ الله في كتابه فلاعنها»[٢].

فهاتان الروايتان صحيحتان، ولا مرجح لإحداهما علىٰ الأخرىٰ، ومن السَّهل أن نأخذ بكلتيهما؛ لقرب زمانيهما علىٰ اعتبار أن أول مَن سأل هو هلال بن أمية، ثم قفاه عويمر قبل إجابته فسأل بواسطة عاصم مرّة وبنفسه مرة أُخرىٰ فأنزل الله الآية إجابة للحادثين معاً، ولا ريب أن إعمال الروايتين بهذا الجمع أولىٰ من إعمال إحداهما وإهمال الأخرىٰ؛ إذ لا مانع يمنع الأخذ بهما علىٰ ذلك الوجه.

**٤ .أن تكون كلتاهما صحيحة ولا مرجح، ولا يمكن الأخذ بهما معاً؛ لبعد الزمان بين الأسباب، فحكمها أن تحمل الأمر على تكرار نزول الآية بعدد أسباب النزول** التي تحدثت عنها هاتان الروايتان أو تلك الروايات؛ لأنه إعمال لكلِّ رواية ولا مانع منه، قال الزركشي: «وقد ينزل الشيء تعظيماً لشأنه وتذكيراً عند حدوث سببه خوف نسيانه». ومثاله:

---

(١) في صحيح البخاري٣: ١٧٨.

(٢) في صحيح البخاري٦: ٩٩.

فعن أبي هريرة ﷺ: «أنّ النبي ﷺ وقف على حمزة حين استشهد وقد مثل به فقال: لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل ﷺ والنبي ﷺ واقف بخواتيم سورة النحل: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ﴾ [النحل:١٢٦]»(١).

وعن أبي بن كعب ﷺ قال: «لما كان يوم أحد أُصيب من الأنصار أربعة وستون، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، فمثلوا به فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنربين: أي لنزيدن عليهم، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ﴾ [النحل:١٢٦] الآية»(٢).

فالرواية الأولى تفيد أنّ الآية نزلت في غزوة أحد، والثانية تفيد أنها نزلت يوم فتح مكة، على حين أن بين غزوة أحد وغزوة الفتح الأعظم بضع سنين، فبعد أن يكون نزول الآية كان مرة عقيبهما معاً، وإذن لا مناص لنا من القول بتعدّد نزولها مرّة في أحد، ومرة يوم الفتح.

وهناك حكمة عالية في هذا التكرار، وهي تنبيه الله لعباده، ولفت نظرهم إلى ما في طي تلك الآيات المكررة من الوصايا النافعة، والفوائد الجمة التي هم في أشد الحاجة إليها.

## * سادساً: تعدُّد النازل والسبب واحد:

قد يكون أمراً واحداً سبباً لنزول آيتين أو آيات متعدّدة على عكس ما سبق، ولا مانع من ذلك؛ لأنه لا يُنافي الحكمة في إقناع الناس وهداية الخلق، وبيان الحقّ عند الحاجة، بل إنه قد يكون أبلغ في الإقناع، وأظهر في البيان، مثاله:

فعن ابن عباس ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل شجرة، فقال: إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا جاء فلا تكلموه، فلم يلبثوا أن طلع

---

(١) في شرح معاني الآثار٣: ١٨٣، والمستدرك٣: ٢١٨، والمعجم الكبير٣: ١٤٣.
(٢) في سنن الترمذي٥: ٢٩٩، وحسنه، وسنن النسائي الكبرى١٠: ١٤٥.

رجل أزرق العينين، فدعاه رسول الله ﷺ، فقال: علام تشتمني أنت وأصحابك، فانطلق الرجل، فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما قالوا: حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة: ٧٤]»(١).

وفي رواية بهذا اللفظ، وفيها: «فأنزل الله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٨-١٩]»(٢).

* * *

(١) في مسند أحمد٤: ٢٣١، والأحاديث المختارة١٠: ١٨١.

(٢) في المعجم الكبير١٢: ٧، ومسند أحمد٥: ٣١٦.

# المبحث السادس
# في نزول القرآن على سبعة أحرف

هذا مبحث طريف وشائق غير أنه مخيف وشائك، أما طرافته وشوقه فلأنه يرينا مظهراً من مظاهر رحمة الله وتخفيفه على عباده وتيسيره لكتابه على كافة القبائل العربية، بل على جميع شعوب الأمة الإسلامية من كل جيل وقبيل، حتى ينطقوا به لينة ألسنتهم سهلة لهجاتهم برغم ما بينهم من اختلاف في اللغات، وتنوع في الخصائص والميزات، وأما مخافة هذا المبحث وشوكه فلأنه كثر فيه القيل والقال إلى حد كاد يطمس أنوار الحقيقة حتى استعصى فهمه على بعض العلماء؛ **لذلك نعرضه في النقاط الآتية:**

## * أولاً: أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف:

لا سبيل إلى الاستدلال على هذا إلا بما صح عن رسول الله، ولقد جاء هذا النقل الصحيح من طرق مختلفة كثيرة، وروي حديث نزول القرآن على سبعة أحرف عن جمع كبير من الصحابة رضي الله عنهم، منهم عمر وعثمان وابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة وأبو بكر وأبو جهم وأبو سعيد الخدري وأبو طلحة الأنصاري وأبي بن كعب وزيد بن أرقم وسمرة بن جندب وسلمان بن صرد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن أبي سلمة وعمرو بن العاص ومعاذ بن جبل وهشام بن حكيم وأنس وحذيفة وأم أيوب امرأة أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهم.

فهؤلاء أحد وعشرون صحابياً ما منهم، إلا رواه وحكاه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله: «أقرأني جبريل على حروف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى

انتهى إلى سبعة أحرف»[١].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ يقول: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروفٍ كثيرةٍ لم يقرئنيها رسول الله، فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرته حتى سلم ثم لببته بردائه أو بردائي، فقلت: مَن أقرأك هذه السورة قال: أقرأنيها رسول الله، قلت له: كذبت فوالله إن رسول الله أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها، فانطلقت أقوده إلى رسول الله، فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان، فقال رسول الله: أرسله يا عمر اقرأ يا هشام، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرؤها، قال رسول الله: هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه»[٢].

قال ابن الجزري: «سبب وروده على سبعة أحرف، فللتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفاً لها، وتوسعة ورحمة، وخصوصية؛ لفضلها».

وتنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضرب من ضروب البلاغة يبتدئ من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز.

وتنوع القراءات من البراهين الساطعة والأدلة القاطعة على أن القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به، وهو رسول الله، فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كلُّه على تنوع قراءاته يُصدِّق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم، وذلك من غير شك يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف.

---

(١) في صحيح البخاري٤: ١١٣، وصحيح مسلم١: ٥٦١.

(٢) في صحيح البخاري٦: ١٨٤، وصحيح مسلم١: ٥٦٠.

## * ثانياً: معنى نزول القرآن على سبعة أحرف:

أن الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف:

١. اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث، مثل: قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٣٢﴾ [المعارج:٣٢]، قرئ هكذا لأماناتهم جمعاً، وقرئ لأمانتهم بالإفراد.

٢. اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر، مثل: قوله ﷻ: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ [سبأ:١٩]، قُرئ هكذا بنصب لفظ ربنا على أنه منادى، وبلفظ: باعد فعل أمر، وبعبارة أنسب بالمقام فعل دعاء، وقرئ هكذا ربنا بعد برفع ربّ على أنه مبتدأ، وبلفظ بعد فعلاً ماضياً مضعّف العين جملته خبر.

٣. اختلاف وجوه الإعراب، مثل:قوله ﷻ: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ ٢٨٢﴾ [البقرة:٢٨٢]، قرئ بفتح الراء وضمها، فالفتح على أن لا ناهية، فالفعل مجزوم بعدها، والفتحة الملحوظة في الراء هي فتحة إدغام المثلين، أمّا الضم فعلى أن لا نافية، فالفعل مرفوع بعدها.

٤. الاختلاف بالنقص والزيادة، مثل: قوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣﴾ [الليل:٣]، قرئ بهذا اللفظ، وقرئ أيضاً: «والذكر والأنثى» بنقص كلمة ما خلق.

٥. الاختلاف بالتقديم والتأخير، مثل: قوله ﷻ: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [ق:١٩]، وقرئ: «وجاءت سكرة الحق بالموت».

٦. الاختلاف بالإبدال، مثل: قوله ﷻ: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة:٢٥٩]، بالزاي وقرئ ننشرها بالراء.

٧. اختلاف اللغات يريد اللهجات كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإظهار والإدغام ونحو ذلك، مثل قوله ﷻ: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ٩﴾ [طه:٩] تقرأ بالفتح، والإمالة في أتى ولفظ موسى فلا فرق في هذا الوجه أيضا بين

الاسم والفعل والحرف مثلهما نحو: ﴿بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ﴾ [القيامة:٤] قرئ بالفتح والإمالة في لفظ بلىٰ.

ورجح هذا المعنىٰ للحروف السبع؛ لأنه يعتمد علىٰ الاستقراء التام لاختلاف القراءات، وما ترجع إليه من الوجوه السبعة، بخلاف غيره، فإن استقراءه ناقص أو في حكم الناقص، فكلمة أف التي أوصلها الرماني إلىٰ سبع وثلاثين لغة يُمكن رد لغاتها جميعا إلىٰ هذه الوجوه السبعة، ولا تخرج عنها.

وكذلك الاختلاف في اللهجات وهو اختلاف شكلي يُردُّ إليها، ولا يخرج عنها، بخلاف الآراء الأخرىٰ، فإنه يتعذر أو يتعسر الرجوع بالقراءات كلها إليها، وليس من صواب الرأي أن يحصر النبي الأحرف التي نزل عليها القرآن في سبعة، ثم نترك نحن طرقاً في القراءات المروية عنه دون أن نردها إلىٰ السبعة؛ لأنّ ذلك يلزمه أحد خطرين، فإما أن تكون تلك الطرق المقروء بها غير نازلة، وإما أن يكون هنا حرف نازل وراء السبعة أحرف التي نزل عليها القرآن، ويكون الحصر في كلام الرسول غير صحيح، وكلا هذين خطأ عظيم، وإثم كبير.

## * ثالثاً: بقاء الأحرف السبعة في المصاحف:

ذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلىٰ أن جميع هذه الأحرف موجودة بالمصاحف العثمانية، واحتجوا بأنه لا يجوز للأمة أن تهمل نقل شيء منها، وأن الصحابة أجمعوا علىٰ نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر ﷺ، وأجمعوا علىٰ ترك ما سوىٰ ذلك، ومعنىٰ هذا أنّ الصحف التي كانت عند أبي بكر ﷺ جمعت الأحرف السبعة، ونقلت منها المصاحف العثمانية بالأحرف السبعة كذلك.

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلىٰ أنّ المصاحف العثمانية مشتملة علىٰ ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ علىٰ جبريل عليه السلام متضمنة لها.

ذهب ابن جرير الطبري ومَن لف لفه إلى أن المصاحف العثمانية لم تشتمل إلا على حرف واحد من الحروف السبعة، وتأثروا في هذا الرأي بمذهبهم في معنى الحروف السبعة وما التزموه فيه من أن هذه السبعة كانت في صدر الإسلام أيام الرسول ﷺ وخلافة أبي بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان رضي الله عنه، ثم رأت الأمة بقيادة عثمان رضي الله عنه أن تقتصر على حرف واحد من السبعة جمعاً لكلمة المسلمين، فأخذت به وأهملت كلّ ما عداه من الأحرف الستة، ونسخ عثمان المصاحف بهذا الحرف الذي استبقته الأمة وحده.

وإذا رجعنا بهذه الأوجه السبعة إلى المصاحف العثمانية وما هو مخطوط بها في الواقع ونفس الأمر نخرج بهذه الحقيقة التي لا تقبل النقض، ونصل إلى فصل الخطاب في هذا الباب، وهو أن المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلّها، ولكن على معنى أنّ كلّ واحدٍ من هذه المصاحف اشتمل على ما يوافق رسمه من هذه الأحرف كلاً أو بعضاً بحيث لم تخل المصاحف في مجموعها عن حرف منها رأساً.

* * *

# المبحث السابع
# في المكي والمدني من القرآن الكريم

ليس من غرضنا في هذا المبحث أن نستقصي بالتفصيل والتدليل آيات القرآن الكريم وسوره، وأن نحقق ما كان منها مكياً وما كان مدنياً، فتلك محاولةٌ كبيرة جديرة أن تفرد بالتأليف، وقد أفردها فعلاً بالتأليف جماعة منهم مكي والعز الدريني، ولكن حسبنا هنا أن نتكلَّم علىٰ الاصطلاحات في معنىٰ المكي والمدني، وعلىٰ فائدة العلم بالمكي والمدني، وعلىٰ الضوابط التي يعرف بها، وعلىٰ السور المكية والمدنية والمختلف فيها وأنواع السور المكية والمدنية في **النقاط الآتية**:

## * أولاً: للعلماء في معنى المكي والمدني ثلاثة اصطلاحات:

**١ .أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة**، ويدخل في مكّة ضواحيها كالمنزل علىٰ النَّبي ﷺ بمنىٰ وعرفات والحديبية، ويدخل في المدينة ضواحيها أيضاً: كالمنزل عليه في بدر وأحد، وهذا التقسيم لوحظ فيه مكان النزول.

ويرد عليه أنه غير ضابط ولا حاصر؛ لأنه لا يشمل ما نزل بغير مكة والمدينة وضواحيهما: كقوله سبحانه في سورة التوبة: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ﴾ [التوبة:٤٢]، فإنها نزلت بتبوك.

**٢ .أنّ المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة**، وعليه يحمل قول مَن قال: إن ما صدر في القرآن بلفظ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، فهو مكي، وما صدر فيه بلفظ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، فهو مدني؛ لأن الكفر كان غالباً علىٰ أهل

مكة، فخوطبوا بـ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم، ولأن الإيمان كان غالباً على أهل المدينة، فخوطبوا بـ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم أيضاً، وألحق بعضهم صيغة يا بني آدم بصيغة يأيها الناس.

ويرد عليه أنه غير ضابط ولا حاصر، فإن في القرآن ما نزل غير مصدر بأحدهما نحو قوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب:١]، وأن هذا التقسيم غير مطرد في جميع موارد الصيغتين المذكورتين بل إن هناك آيات مدنية صدرت بصيغة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النساء:١]، كما في سورة النساء فإنها مدنية، وهناك آيات مكية صدرت بصيغة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ [الحج:٧٧] كما في سورة الحج فإنها مكية، فإن أريد أن الغالب كذلك فصحيح، ولكن صحة الكلام في ذاته لا تسوغ صحة التقسيم، فإن من شأن التقسيم السليم أن يكون ضابطاً حاصراً، وأن يكون مطرداً.

**٣.أن المكي ما نزل قبل هجرته إلى المدينة، وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد هذه الهجرة وإن كان نزوله بمكة**، وهذا التقسيم لوحظ فيه زمن النزول، وهو تقسيم صحيح سليم؛ لأنه ضابطٌ حاصرٌ ومطردٌ لا يختلف بخلاف سابقيه؛ لذلك اعتمده العلماء واشتهر بينهم.

وعليه فآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] مدنية مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع.

## * ثانياً: من فوائد العلم بالمكي والمدني:

١. تمييز الناسخ من المنسوخ فيما إذا وردت آيتان أو آيات من القرآن الكريم في موضوع واحد، وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين أو الآيات مخالفاً للحكم في غيرها، ثم عرف أن بعضها مكي وبعضها مدني، فإننا نحكم بأن المدني منها ناسخٌ للمكي نظراً إلى تأخر المدني عن المكي.

٢.معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام، وذلك يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد.

٣.الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالماً من التغيير والتحريف، ويدل على ذلك اهتمام المسلمين به كلّ هذا الاهتمام حتى ليعرفوا ويتناقلوا ما نزل منه قبل الهجرة، وما نزل بعدها، وما نزل بالحضر وما نزل بالسفر.

ولا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين ﷺ في ذلك؛ لأنه لم يرد عن النبي ﷺ بيان للمكي والمدني؛ وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان كيف، وهم يشاهدون الوحي والتنزيل ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عياناً، وليس بعد العيان بيان، قال ابن مسعود ﷺ: «والذي لا إله إلا هو ما في كتاب الله سورة إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا فيه آية إلا وأنا أعلم فيما أنزلت»[1].

## * ثالثاً: من الضوابط التي يعرف بها المكي والمدني:

١.كلُّ سورة فيها لفظ: «كلا» فهي مكية، وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرّة في خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القرآن.

وحكمة ذلك: أن نصف القرآن الأخير نزل أكثره بمكة وأكثرها جبابرة، فتكررت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم، والإنكار عليهم، بخلاف النصف الأول وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلتهم وضعفهم.

٢.كلُّ سورة فيها سجدة، فهي مكية لا مدنية.

٣.كلُّ سورةٍ في أولها حروف التَّهجي فهي مكية سوى سورة البقرة وآل عمران، فإنهما مدنيتان بالإجماع، وفي الرعد خلاف.

---

(١) في المعجم الكبير٩: ٧٣.

٤.كلُّ سورةٍ فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة فهي مكية سوىٰ البقرة.

٥.كلُّ سورةٍ فيها قصّة آدم وإبليس فهي مكية سوىٰ البقرة أيضاً.

٦.كلُّ سورةٍ فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾،وليس فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾فهي مكية، ولكنه ورد علىٰ هذا ما تقدم بين يديك من سورة الحجّ.

٧.كلُّ سورةٍ من المفصل فهي مكية، فعن ابن مسعود قال: «نزل المفصل بمكّة، فمكثنا حججاً نقرؤه، ولا ينزل غيره»(١)، لكن يرد علىٰ هذا أن بعض سور المفصل مدني نزل بعد الهجرة اتفاقاً كسورة النَّصر، فإنّها كانت من أواخر ما نزل بعد الهجرة، فالأولىٰ أن يحمل كلام ابن مسعود رضي الله عنه هذا علىٰ الكثرة الغالبة من سور المفصل لا علىٰ جميع سور المفصل.

والمفصل هي السورة الأخيرة من القرآن الكريم مبتدأة من سورة الحجرات علىٰ الأصحّ، وسميت بذلك لكثرة الفصل فيها بين السور بعضها.

٨.كلُّ سورةٍ فيها الحدود والفرائض فهي مدنية.

٩.كلُّ سورةٍ فيها إذن بالجهاد وبيان لأحكام الجهاد فهي مدنية.

١٠. كلُّ سورةٍ فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ما عدا سورة العنكبوت، والتحقيق أن سورة العنكبوت مكية ما عدا الآيات الإحدىٰ عشرة الأولىٰ منها، فإنها مدنية.

## * رابعاً: السور المكية والمدنية والمختلف فيها:

المدني باتفاق عشرون سورة، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة، وما عدا ذلك مكيّ باتفاق.

فالسور العشرين المدنية هي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة

(١) في المعجم الأوسط٦: ٢٥٨.

والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والجمعة والمنافقون والطلاق والتحريم والنصر.

والسور الاثنتي عشرة المختلف فيها: الفاتحة والرعد والرحمن والصف والتغابن والمطففين والقدر ولم يكن وإذا زلزلت والإخلاص والمعوذتين.

والسور المكية ما عدا ذلك، وهي اثنتان وثمانون سورة.

وقد تكون السورة كلها مكية، مثل: سورة المدثر، فإنها كلها مكية.

وقد تكون كلها مدنية، مثل: سورة آل عمران، فإنّها كلّها مدنية.

وقد تكون السورة مكية ما عدا آيات منها، مثل: سورة الأعراف، فإنها مكية ما عدا آية: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف:١٦٣].

وقد تكون مدنية ما عدا آيات منها، مثل: سورة الحج، فإنها مدنية ما عدا أربع آيات منها تبتدئ بقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ [الحج:٥٢].

قال بعقيلة الحنفي[1]: «والحاصل: أن الذي استقرت عليه الروايات أن المكي خمس وثمانون، كما قال الزركشي، والمدني تسع وعشرون، فهذه مائة وأربعة عشر سورة».

واعلم أن وصف السورة بأنّها مكية أو مدنية يكون تبعاً لما يغلب فيها أو تبعاً لفاتحتها، فقد ورد أنه إذا نزلت فاتحة سورة بمكة مثلاً كتبت مكية، ثم يزيد الله فيها ما يشاء، ولعل الأنسب بالاصطلاح المشهور في معنى المكي والمدني أن يقال: إذا نزلت فاتحة سورة قبل الهجرة كتبت مكية، وإذا نزلت فاتحة سورة بعد الهجرة كتبت مدنية، ثم يذكر المستثنى من تلك السور إن كان هناك استثناء فيقال: سورة كذا مكية إلا آية كذا، فإنها مدنية أو سورة كذا مدنية، إلا آية كذا فإنها مكية أو نحو ذلك.

---

(١) في الزيادة والإحسان١: ٢٠٧.

وبذل العلماء همة جبارة في استقصاء حال ما نزل من السور والآيات حتىٰ لقد قال أبو القاسم النيسابوري في «التنبيه علىٰ فضل علوم القرآن» ما نصه: «من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس....».

والخلاصة أنّ القرآن كله قام علىٰ رعاية حال المخاطبين، فتارة يشتدّ، وتارة يلين تبعاً لما يقتضيه حالهم سواء منهم مكيهم ومدنيهم بدليل أنك تجد بين ثنايا السور المكية والمدنية ما هو وعد ووعيد وتسامح وتشديد، وأخذ ورد وجذب وشدّ .

وإذا لوحظ أن أهل مكة كثر خطابهم بالشدة والعنف، فذلك لما مردوا عليه من أذىٰ الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ والكيد لهم حتىٰ أخرجوهم من أوطانهم، ولم يكتفوا بذلك، بل أرسلوا إليهم الأذىٰ في مهاجرهم، وكان القرآن في حملته عليهم وعلىٰ أمثالهم بالقول بعيداً عن كل معاني السباب والإقذاع متذرعاً بالحكمة والأدب الكامل في الإرشاد والإقناع حاثاً علىٰ الصبر والعفو والإحسان.

* * *

# المبحث الثامن
# في جمع القرآن وتاريخه

**تمهيد:**

كلمة جمع القرآن تطلق تارةً ويُراد منها حفظه واستظهاره في الصدور، وتطلق تارة أخرىٰ ويراد منها كتابته كله حروفا وكلمات وآيات وسوراً، وهذا جمع في الصحائف والسطور وذاك جمع في القلوب والصدور.

وجمعه بمعنىٰ كتابته حدث في الصدر الأول ثلاث مرات الأولىٰ في عهد النبي ﷺ، والثانية في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، والثالثة علىٰ عهد عثمان رضي الله عنه، وفي هذه المرة الأخيرة وحدها نسخت المصاحف وأرسلت إلىٰ الآفاق.

**ونعرض ما يتعلق بجمع القرآن في النقاط الآتية:**

## * أولاً: جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور :

نزل القرآن علىٰ النبي ﷺ فكانت همته باديء ذي بدء منصرفة إلىٰ أن يحفظه ويستظهره، ثم يقرأه علىٰ الناس علىٰ مكث ليحفظوه ويستظهروه ضرورة أنه نبي أمي بعثه الله في الأميين، ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة:٢].

ومن شأن الأمي أن يعول علىٰ حافظته فيما يهمه أمره ويعنيه استحضاره وجمعه، خصوصاً إذا أوتي من قوة الحفظ والاستظهار ما ييسر له هذا الجمع والاستحضار، وكذلك كانت الأمة العربية علىٰ عهد نزول القرآن وهي متمتعة بخصائص العروبة

الكاملة التي منها سرعة الحفظ وسيلان الأذهان حتى كانت قلوبهم أناجيلهم وعقولهم سجلات أنسابهم وأيامهم وحوافظهم دواوين أشعارهم ومفاخرهم، ثم جاء القرآن فبهرهم بقوة بيانه وأخذ عليهم مشاعرهم بسطوة سلطانه واستأثر بكريم مواهبهم في لفظه ومعناه، فخلعوا عليه حياتهم حين علموا أنه روح الحياة.

أما النبي ﷺ فبلغ من حرصه على استظهار القرآن وحفظه أنه كان يحرك لسانه فيه في أشدّ حالات حرجه وشدّته وهو يعاني ما يعانيه من الوحي وسطوته وجبريل في هبوطه عليه بقوته يفعل الرسول ﷺ كل ذلك استعجالاً لحفظه وجمعه في قلبه مخافة أن تفوته كلمة أو يفلت منه حرف، وما زال كذلك حتى طمأنه ربُّه بأن وعده أن يجمعه له في صدره وأن يسهل له قراءة لفظه وفهم معناه فقال له ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة:١٦-١٩]، وقال له: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه:١١٤].

قال بعقيلة الحنفي[1]: «والحاصل: أنّ النبي ﷺ لشدة رغبته في حفظ القرآن، وحرصه على أن لا يضيع شيء منه، كان إذا نزل عليه جبريل عليه السلام بالقرآن، يكرر ويردد ما يلقيه إليه قبل تمامه وكماله، خشية نسيان شيء منه، فأمره الله ﷻ بأن يستمع لما يلقيه، وينصت له، ولا يشتغل بالحفظ والتكرار، ويكفل له بأن لا يضيع ولا يذهب شيء منه، وأنه إذا فرغ جبريل عليه السلام من الإلقاء يجمع له في صدره، وينطق به لسانه على أحسن وجه وأتمه، ولا ينسيه منه شيئاً إلا ما شاء أن ينسيه إياه».

ومن هنا كان جامع القرآن في قلبه الشريف، وكان يقرؤه على الناس على مكث كما أمره مولاه، وكان يحيي به الليل ويزين الصلاة ، وكان جبريل يعارضه إياه في كلّ عام مرّةً، وعارضه إياه في العام الأخير مرتين، قالت عائشة وفاطمة رضي الله عنهما:

---

(١) في الزيادة والإحسان١: ١٤٧.

سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «إن جبريل كان يعارضني القرآن في كل سنة مرّةً، وإنه عارضني العام مرّتين، ولا أراه إلا حضر أجلي»[١].

وأمَّا الصَّحابة ﷺ فقد كان كتاب الله ﷻ في المحل الأول من عنايتهم يتنافسون في استظهاره، وحفظه ويتسابقون إلى مدارسته وتفهمه، فبلغ حفاظ القرآن في حياة الرسول جماً غفيراً منهم الأربعة الخلفاء وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة وسالم مولى أبي حذيفة وأبو هريرة وابن عمر وابن عباس وعمرو بن العاص وابنه عبد الله ومعاوية وابن الزبير وعبد الله ابن السائب وعائشة وحفصة وأم سلمة، وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو الدرداء ومجمع بن حارثة وأنس بن مالك وأبو زيد ﷺ.

فالذين حفظوا القرآن من الصحابة كانوا كثيرين حتى كان عدد القتلى منهم ببئر معونة ويوم اليمامة أربعين ومائة، قال القرطبي: «قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء، وقتل في عهد رسول الله ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد».

قال ابن الجزري[٢]: «إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على خطّ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة».

ولا يشكلن في هذا المقام ما روي عن أنس ﷺ أنه قال: «مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد».

فهذا حصر نسبيٌّ وليس حصراً حقيقياً حتى ينفي أن يكون غير هؤلاء الأربعة، أو الجمع بالكتابة لا الحفظ، أو الجمع بوجوه القراءات كلها أو تلقياً ومشافهة عن الرسول ﷺ؛ لمعارضة هذه الرواية للعديد من الروايات، ومنها:

عن أنس ﷺ وقد سأله قتادة عمن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) في صحيح البخاري ٤: ٢٠٣.

(٢) في النشر في القراءات العشر ١: ٦.

«أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد»(١)، ففي هذه الرواية ذكر من الأربعة أبي بن كعب بدلاً من أبي الدرداء في الرواية السابقة، وهو صادق في كلتا الروايتين؛ لأنه ليس بمعقول أن يكذب نفسه، فتعين أنه يريد من الحصر الذي أورده الحصر النسبي.

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي يقول: «خذوا القرآن عن أربعة عن عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب»(٢)، فذكر فيه غير ما ذكر في حديث أنس رضي الله عنه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «جمعت القرآن فقرأت به كلّ ليلة، فبلغ النبي ﷺ فقال له: اقرأه في شهر...»(٣).

## * ثانياً: جمع القرآن بمعنى كتابته في عهد رسول الله ﷺ:

حظي بأوفى نصيب من عناية النبي وأصحابه فلم تصرفهم عنايتهم بحفظه واستظهاره عن عنايتهم بكتابته ونقشه، ولكن بمقدار ما سمحت به وسائل الكتابة وأدواتها في عصرهم، فها هو ذا رسول الله ﷺ قد اتخذ كتابا للوحي كلما نزل شيء من القرآن أمرهم بكتابته مبالغة في تسجيله وتقييده، وزيادة في التوثق والضبط والاحتياط في كتاب الله تعالى حتى تظاهر الكتابة الحفظ ويعاضد النقش اللفظ.

وكان هؤلاء الكتاب من خيرة الصحابة فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية وأبان بن سعيد وخالد بن الوليد وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وثابت بن قيس وغيرهم.

وكان يدلهم ﷺ موضع المكتوب من سورته، ويكتبونه فيما يسهل عليهم من

---

(١) في صحيح البخاري٥: ٣٧.

(٢) في صحيح البخاري٦: ١٨٦، ومسند أحمد١١: ٧٦.

(٣) في سنن النسائي الكبرى٧: ٢٧٦، وصحيح ابن حبان٣: ٣٣.

العسب واللخاف والرقاع وقطع الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع، ثم يوضع المكتوب في بيت رسول الله ﷺ.

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع»[1]، وكان هذا التأليف عبارة عن ترتيب الآيات حسب إرشاد النبي ﷺ، وكان هذا الترتيب بتوقيف من جبريل عليه السلام.

وصفوة المقال أن القرآن كان مكتوباً كلّه على عهد النبي ﷺ، وكانت كتابته ملحوظاً فيها أن تشمل الأحرف السبعة التي نزل عليها غير أن بعض الصحابة رضي الله عنهم كان قد كتب بعض منسوخ التلاوة، وبعض ما هو ثابت بخبر الواحد، ورُبّما كتبه غير مرتب، ولم يكن القرآن على ذلك العهد مجموعاً في صحف ولا مصاحف عامة.

لم يجمع القرآن في صحف ولا مصاحف لاعتبارات كثيرة:

١ .أنه لم يوجد من دواعي كتابته في صحف أو مصاحف مثل ما وجد على عهد أبي بكر رضي الله عنه حتى كتبه في صحف، ولا مثل ما وجد على عهد عثمان رضي الله عنه حتى نسخه في مصاحف، فالمسلمون وقتئذٍ بخير، والقراء كثيرون والإسلام لم يستبحر عمرانه بعد والفتنة مأمونة، والتعويل لا يزال على الحفظ أكثر من الكتابة.

٢ .أن النبي ﷺ كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء الله من آية أو آيات.

٣ .أن القرآن لم ينزل مرّةً واحدة بل نزل منجماً في مدى عشرين سنة أو أكثر.

٤ .أن ترتيب آياته وسوره ليس على ترتيب نزوله؛ لأن نزوله كان على حسب الأسباب، أما ترتيبه فكان لغير ذلك من الاعتبارات.

فلما استقر الأمر بختام التنزيل ووفاة الرسول ﷺ، وأمن النسخ وتقرر الترتيب ووجد من الدواعي ما يقتضي نسخه في صحف أو مصاحف وفّق الله الخلفاء الراشدين، فقاموا بهذا الواجب حفظا للقرآن.

---

(١) في سنن الترمذي ٥: ٧٣٤، وصحيح ابن حبان ١: ٣٢٠.

## * ثالثاً: جمع القرآن على عهد أبي بكر ﷺ:

دارت رحى الحرب بين المسلمين وأهل الردة من أتباع مسيلمة الكذاب، وكانت معركة حامية الوطيس استشهد فيها كثير من قراء الصحابة وحفظتهم للقرآن، وينتهي عددهم إلى السبعين في اليمامة، وأنهاه بعضهم إلى خمسمائة من أجلهم سالم مولى أبي حذيفة.

ولقد هال ذلك المسلمين وعز الأمر على عمر ﷺ فدخل على أبي بكر ﷺ وأخبره الخبر، واقترح عليه أن يجمع القرآن خشية الضياع بموت الحفاظ وقتل القراء، فتردد أبو بكر أول الأمر؛ لأنه كان وقّافاً عند حدود ما كان عليه الرسول ﷺ يخاف أن يجره التجديد إلى التبديل أو يسوقه الإنشاء والاختراع إلى الوقوع في مهاوي الخروج والابتداع، ولكنه بعد مفاوضة بينه وبين عمر ﷺ تجلى له وجه المصلحة، فاقتنع بصواب الفكرة، وشرح الله لها صدره، وعلم أن ذلك الجمع الذي يشير به عمر ﷺ ما هو إلا وسيلة من أعظم الوسائل النافعة إلى حفظ الكتاب الشريف والمحافظة عليه من الضياع والتحريف، وأنه ليس من محدثات الأمور الخارجة، ولا من البدع والإضافات الفاسقة.

وعرض أبو بكر ﷺ على زيد ﷺ الفكرة ورغب إليه أن يقوم بتنفيذها، فتردد زيد ﷺ أول الأمر، ولكن أبا بكر ﷺ ما زال به يعالج شكوكه، ويبين له وجه المصلحة حتى اطمأن، واقتنع بصواب ما ندب إليه، وشرع يجمع وأبو بكر وعمر وكبار الصحابة ﷺ يشرفون عليه، ويعاونونه في هذا المشروع الجلل حتى تم لهم ما أرادوا.

فعن زيد ﷺ قال: «أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة: أي عقب استشهاد القراء السبعين في واقعة اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر ﷺ: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد أستحر: أي اشتد يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثيرٌ من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع

القرآن، قلت لعمر: كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله، قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتىٰ شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأىٰ عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله، فتتبع القرآن فأجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله، قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتىٰ شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتىٰ وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحدٍ غيره ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ [التوبة:١٢٨]، حتىٰ خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتىٰ توفاه الله، ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر»[١].

وبلغ الصحابة رضي الله عنهم في الحيطة والحذر أنهم لم يقبلوا شيئاً من المكتوب حتىٰ يشهد شاهدان عدلان أنه كتب بين يدي رسول الله ﷺ ، حيث قدم عمر رضي الله عنه فقال: «من كان تلقىٰ من رسول الله شيئاً من القرآن، فليأت به وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يُقبل من أحدٍ شيئاً حتىٰ يشهد شاهدان»[٢].

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال لعمر ولزيد: «اقعدا علىٰ باب المسجد، فمَن جاءكما بشاهدين علىٰ شيء من كتاب الله فاكتباه»[٣].

قال ابن حجر: المراد بالشاهدين الحفظ والكتابة، وقال السخاوي[٤]: «من جاءكم بشاهدين علىٰ شيء من كتاب الله الذي كتب بين يدي رسول الله ﷺ، وإلّا فقد كان زيد جامعاً للقرآن».

---

(١) في صحيح البخاري٦: ٧١.
(٢) في تاريخ المدينة لابن شبة٢: ٧٠٥.
(٣) في المصاحب لابن أبي داود١: ٥١.
(٤) في جمال القراء١: ٣٠٢.

ولم يعتمد زيد على الحفظ وحده، ولذلك قال في الحديث: « حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره»[١] مع أن زيداً كان يحفظها، وكان كثير من الصحابة ﷺ يحفظونها، ولكنه أراد أن يجمع بين الحفظ والكتابة، زيادة في التوثق ومبالغة في الاحتياط.

وتم جمع القرآن بإشراف أبي بكر وعمر وأكابر الصحابة وإجماع الأمة عليه دون نكير، وكان ذلك منقبة خالدة لا يزال التاريخ يذكرها بالجميل لأبي بكر رضي الله عنه في الإشراف ولعمر رضي الله عنه في الاقتراح ولزيد رضي الله عنه في التنفيذ وللصحابة رضي الله عنهم في المعاونة والإقرار، فعن علي رضي الله عنه قال: «أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، فإنه أوَّل مَن جمع بين اللوحين»[٢].

## * رابعاً: جمع القرآن على عهد عثمان رضي الله عنه:

اتسعت الفتوحات في زمن عثمان، واستبحر العمران، وتفرق المسلمون في الأمصار والأقطار، ونبتت ناشئة جديدة كانت بحاجة إلى دراسة القرآن، وطال عهد الناس بالرسول ﷺ والوحي والتنزيل، وكان أهل كلّ إقليم من أقاليم الإسلام يأخذون بقراءة مَن اشتهر بينهم من الصحابة رضي الله عنهم، فأهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب، وأهل الكوفة يقرؤون بقراءة ابن مسعود، وغيرهم يقرأ بقراءة أبي موسى الأشعري.

فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء، ووجوه القراءة بطريقة فتحت باب الشقاق والنزاع في قراءة القرآن أشبه بما كان بين الصحابة قبل أن يعلموا أن القرآن نزل على سبعة أحرف، بل كان هذا الشقاق أشدّ لبعد عهد هؤلاء بالنبوة وعدم وجود الرسول ﷺ بينهم يطمئنون إلى حكمه، ويصدرون جميعا عن رأيه، واستفحل الداء حتى

---

(١) في صحيح البخاري٦: ١٨٢.

(٢) في المصاحف لابن أبي داود١: ٤٩، قال السيوطي في الاتقان١: ٢٠٤: سنده حسن.

كفر بعضهم بعضاً، وكادت تكون فتنة في الأرض وفساد كبير.

فعن أبي قلابة: «لما كانت خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، حتى كفر بعضهم بعضاً، فبلغ ذلك عثمان فخطب، فقال: أنتم عندي تختلفون، فمَن نأى عني من الأمصار أشدّ اختلافاً»(١).

والأحرف السبعة التي نزل بها القرآن لم تكن معروفة لأهل تلك الأمصار، ولم يكن من السهل عليهم أن يعرفوها كلها، حتى يتحاكموا إليها فيما يختلفون، إنما كان كل صحابي رضي الله عنه في إقليم يقرئهم بما يعرف فقط من الحروف التي نزل عليها القرآن، ولم يكن بين أيديهم مصحف جامع يرجعون إليه فيما شجر بينهم من هذا الخلاف والشقاق البعيد.

لهذه الأسباب والأحداث رأى عثمان بثاقب رأيه وصادق نظره أن يتدارك الخرق قبل أن يتسع على الراقع وأن يستأصل الداء قبل أن يعز الدواء، فجمع أعلام الصحابة وذوي البصر منهم وأجال الرأي بينه وبينهم في علاج هذه الفتنة، ووضع حدّ لذلك الاختلاف، وحسم مادة هذا النزاع.

فأجمعوا أمرهم على استنساخ مصاحف يرسل منها إلى الأمصار، وأن يؤمر الناس بإحراق كل ما عداها وألا يعتمدوا سواها، وبذلك يرأب الصدع ويجبر الكسر وتعتبر تلك المصاحف العثمانية الرسمية نورهم الهادي في ظلام هذا الاختلاف.

وشرع عثمان رضي الله عنه في تنفيذ هذا القرار الحكيم حول أواخر سنة أربع وعشرين، وأوائل سنة خمس وعشرين من الهجرة، فعهد في نسخ المصاحف إلى أربعة من خيرة الصحابة وثقات الحفاظ وهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وهؤلاء الثلاثة الأخيرون من قريش، وأرسل

---

(١) في المصاحف ١: ٩٥.

عثمان إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما، فبعثت إليه بالصحف التي عندها، وهي الصّحف التي جمع القرآن فيها على عهد أبي بكر ﷺ.

ومما تواضع عليه هؤلاء الصحابة ﷺ أنهم كانوا لا يكتبون في هذه المصاحف إلا ما تحققوا أنه قرآن وعلموا أنه قد استقرّ في العرضة الأخيرة، وما أيقنوا صحّته عن النبي مما لم ينسخ، وتركوا ما سوى ذلك نحو قراءة: فامضوا إلى ذكر الله بدل كلمة: «فاسعوا»، ونحو: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا بزيادة كلمة صالحة إلى غير ذلك.

وإنما كتبوا مصاحف متعددة؛ لأن عثمان ﷺ قصد إرسال ما وقع الإجماع عليه إلى أقطار بلاد المسلمين، وهي الأخرى متعددة وكتبوها متفاوتة في إثبات وحذف وبدل وغيرها؛ لأنه قصد اشتمالها على الأحرف السبعة، وجعلوها خالية من النقط والشكل تحقيقاً لهذا الاحتمال أيضاً، فكانت بعض الكلمات يقرأ رسمها بأكثر من وجه عند تجردها من النقط والشكل، نحو: فتبينوا من قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:٦]، فإنها تصلح أن تقرأ: «فتثبتوا» عند خلوها من النقط والشكل، وهي قراءة أخرى، وكذلك كلمة: «ننشرها» من قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة:٢٥٩]، فإن تجردها من النقط والشكل كما ترى يجعلها صالحة عندهم أن يقرؤوها «ننشزها» بالزاي وهي قراءة واردة أيضاً.

أما الكلمات التي لا تدل على أكثر من قراءة عند خلوها من النَّقط والشَّكل مع أنها واردةٌ بقراءة أُخرى أيضاً، فإنهم كانوا يرسمونها في بعض المصاحف برسم يدلُّ على قراءة، وفي بعض آخر برسم آخر يدل على القراءة الثانية كقراءة: «وصى» بالتضعيف، و«أوصى» بالهمز، وهما قراءتان في قوله سبحانه: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ﴾ [البقرة:١٣٢].

والذي دعا الصحابة ﷺ إلى انتهاج هذه الخطة في رسم المصاحف وكتابتها أنهم تلقوا القرآن عن رسول الله ﷺ بجميع وجوه قراءاته، وبكافة حروفه التي نزل عليها، فكانت هذه الطريقة أدنى إلى الإحاطة بالقرآن على وجوهه كلّها حتى لا يقال: إنهم أسقطوا شيئاً من قراءاته أو منعوا أحداً من القراءة بأي حرفٍ شاء على حين أنها كلها منقولة نقلاً متواتراً عن النبي ﷺ.

فعن أنس ﷺ: «أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كلِّ صحيفة أو مصحف أن يحرق»[1].

واستجاب الصحابة لعثمان ﷺ فحرقوا مصاحفهم واجتمعوا جميعا على المصاحف العثمانية، حتى ابن مسعود الذي نقل عنه أنه أنكر أولاً مصاحف عثمان، وأنه أبى أن يحرق مصحفه رجع وعاد إلى حظيرة الجماعة حين ظهر له مزايا تلك المصاحف العثمانية، واجتماع الأمة عليها، وتوحيد الكلمة بها، وبعدئذ طهر الجو من أوبئة الشقاق والنزاع، وأصبح مصحف ابن مسعود ومصحف أبي بن كعب ومصحف عائشة ومصحف علي ومصحف سالم مولى أبي حذيفة غير معتبرة.

(١) في صحيح البخاري٦: ١٨٣.

قال علي رضي الله عنه: «يا معشر الناس اتقوا الله وإياكم والغلو في عثمان، وقولكم حراق مصاحف، فوالله ما حرقها إلا عن ملأ منا أصحاب رسول الله رضي الله عنهم»[1].

* * *

(١) في تاريخ المدينة لابن شبة ٢: ٩٩٥.

# المبحث التاسع
# في ترتيب آيات القرآن وسوره

**نعرضه في النقاط التالية:**

## * أولاً: معنى الآية لغة واصطلاحاً:

**الآية لغة:**

أ.**المعجزة**، ومنه قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة:٢١١]: أي معجزة واضحة.

ب.**العلامة**، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن﴾[البقرة:٢٤٨]: أي علامة ملكه.

ج.**العبرة**، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ [البقرة:٢٤٨]: أي عبرة لمن يعتبر.

د.**الأمر العجيب**، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾[المؤمنون:٥٠].

هـ.**الجماعة**، ومنه قولهم: خرج القوم بآيتهم: أي بجماعتهم، والمعنى أنهم لم يدعوا وراءهم شيئا.

و.**البرهان والدليل**، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم:٢٢]، والمعنى أن من براهين وجود الله واقتداره واتصافه بالكمال خلق عوالم السموات والأرض واختلاف الألسنة والألوان.

**واصطلاحاً: طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن.**

والمناسبة بين هذا المعنىٰ الاصطلاحي والمعاني اللغوية أن الآية القرآنية معجزة، وهي علامة علىٰ صدق من جاء بها، وفيها عبرة وذكرىٰ لمن أراد أن يتذكر، وهي من الأمور العجيبة لمكانها من السمو والإعجاز، وفيها معنىٰ الجماعة؛ لأنها مؤلفة من جملة كلمات وحروف، وفيها معنىٰ البرهان والدليل علىٰ ما تضمنته من هداية وعلم وقدرة الله ﷻ.

ولا سبيل إلىٰ معرفة آيات القرآن إلا بتوقيف من الشارع؛ لأنه ليس للقياس والرأي مجال فيها، إنما هو محضُ تعليم وإرشاد بدليل أن العلماء عدوا ﴿الٓمٓصٓ ﴾ [الأعراف:١]آية، ولم يعدوا نظيرها، وهو ﴿الٓمٓر ﴾ [الرعد:١]آية، وعدوا ﴿يسٓ ﴾ [يس:١]آية، ولم يعدوا نظيرها، وهو ﴿طسٓ ﴾ [النمل:١]آية وعدوا ﴿حمٓ  عٓسٓقٓ ﴾ [الشورىٰ:١-٢]آيتين، ولم يعدوا نظيرها، وهو ﴿كٓهيعٓصٓ ﴾ [مريم:١] آيتين بل آية واحدة، فلو كان الأمر مبنياً علىٰ القياس لكان حكم المثلين واحداً فيما ذكر، ولم يجيء هكذا مختلفاً ذلك مذهب الكوفيين؛ لأنهم عدوا كلّ فاتحة من فواتح السور التي فيها شيء من حروف الهجاء آية سوىٰ حم عسق، فإنهم عدوها آيتين وسوىٰ طس،

ولم يعدوا من الآيات ما فيه «ر»، وهو «الر» و«المر»، وما كان مفرداً، وهو «ق» «ص» «ن»: أي لم يعدوا شيئاً منها آية، وغير الكوفيين لا يعتبرون شيئاً من الفواتح آية إطلاقاً.

وحيث قلنا: إن المسألة توقيفية فلا يشتبهن عليك هذا الخلاف؛ لأنّ كلاً وقف عند حدود ما بلغه أو علمه.

واعلم أنه قد تطلق الآية القرآنية ويراد بعضها أو أكثر، ولكن علىٰ ضرب من المجاز والتوسع فلا تتوقفن فيه، مثال إطلاق الآية علىٰ بعضها قول ابن عباس ﵄:

«أرجىٰ آية في القرآن: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد:٦]»، فإن هذه الجملة الكريمة بعض آية باتفاق.

ومثال إطلاق الآية علىٰ أكثر منها قول ابن مسعود ﷺ: «أحكم آية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة:٧-٨]، فإنهما آيتان باتفاق».

## * ثانياً: عدد آيات القرآن:

عدد آي القرآن فقد اتفق العادون علىٰ أنه ستة آلاف ومائتا آية وكسر، إلا أن هذا الكسر يختلف مبلغه باختلاف أعدادهم، ففي عدد المدني الأول سبع عشرة، وبه قال نافع، وفي عدد المدني الأخير أربع عشرة عند شيبة، وعشر عند أبي جعفر، وفي عدد المكي عشرون، وفي عدد الكوفي ست وثلاثون، وهو مروي عن حمزة الزيات، وفي عدد البصري خمس، وهو مروي عن عاصم الجحدري، وفي رواية عنه أربع، وبه قال أيوب بن المتوكل البصري، وفي رواية عن البصريين أنهم قالوا: تسع عشرة، وروي ذلك عن قتادة، وفي عدد الشامي: ست وعشرون، وهو مروي عن يحيىٰ بن الحارث الذماري.

وسبب هذا الاختلاف أن النبي كان يقف علىٰ رؤوس الآي تعليماً لأصحابه أنها رؤوس آي، حتىٰ إذا علموا ذلك وصل الآية بما بعدها طلباً لتمام المعنىٰ، فيَظنُّ بعضُ النَّاس أنّ ما وقف عليه النبيُّ ليس فاصلةً فيصلها بما بعدها معتبراً أن الجميعَ آية واحدة، والبعض يعتبرها آية مستقلة، فلا يصلها بما بعدها، والخطب في ذلك سهل؛ لأنه لا يترتب عليه في القرآن زيادة، ولا نقص.

وآيات القرآن مختلفة في الطول والقصر، فأطول آية هي الدين في سورة البقرة التي هي أطول سورة، وأقصر آية كلمة: ﴿يسٓ ۝١﴾ [يس:١]الواقعة في صدر سورة يس.

## * ثالثاً: فوائد معرفة الآيات:

١.العلم بأن كلّ ثلاث آيات، قصار معجزة للنبيّ، وفي حكمها الآية الطويلة التي تعدل بطولها تلك الثلاث القصار، ووجه ذلك: أنّ الله تعالىٰ أعلن التحدي بالسورة الواحدة فقال سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة:٢٣]، والسورةُ تصدق بأقصر سورة كما تصدق بأطول سورة، وأقصر سورة في القرآن، هي سورة الكوثر وهي ثلاث آيات قصار، فثبت أن كلَّ ثلاث آيات قصار معجزة، وفي قوتها الآية الواحدة الطَّويلة التي تكافئها.

٢.حسن الوقف علىٰ رؤوس الآي عند مَن يرىٰ أن الوقف علىٰ الفواصل سنة، فعن أم سلمة رضي الله عنها: «قراءة رسول الله ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:١-٤] يقطع قراءته آية آية»[1].

٣.اعتبار الآيات في الصلاة ، فيجب قراءة ثلاثة آيات في الركعة الأولىٰ والثانية من الفرائض، وجميع ركعات النفل والوتر.

## * رابعاً: ترتيب آيات القرآن:

انعقد إجماع الأمة علىٰ أن ترتيب آيات القرآن الكريم علىٰ هذا النمط الذي نراه اليوم بالمصاحف، وكان بتوقيف من النبي ﷺ عن الله تعالىٰ، وأنه لا مجال للرأي والاجتهاد فيه، بل كان جبريل عليه السلام ينزل بالآيات علىٰ الرسول ﷺ ويرشده إلىٰ موضع كل آية من سورتها، ثم يقرؤها النَّبيُّ علىٰ أصحابه ويأمر كتاب الوحي بكتابتها معيناً لهم السورة التي تكون فيها الآية، وموضع الآية من هذه السُّورة، وكان يتلوه عليهم مراراً وتكراراً في صلاته وعظاته وفي حكمه وأحكامه، وكان يعارض به جبريل عليه السلام كل عام مرّة، وعارضه به في العام الأخير مرّتين، كل ذلك كان علىٰ الترتيب المعروف في المصاحف.

---

(١) في سنن أبي داود٤: ٣٧، ومسند أحمد٤٤: ٢٠٦، والمستدرك٢: ٢٥٣، وصححه.

قال بعقيلة الحنفي[١]: «والحاصل: أن ترتيب آي القرآن وسوره توقيفي».

وكان كل من حفظ القرآن أو شيئاً منه من الصحابة ﷺ حفظه مرتب الآيات على هذا النمط، وشاع ذلك وذاع وملأ البقاع والأسماع يتدارسونه فيما بينهم ويقرؤونه في صلاتهم، ويأخذه بعضهم عن بعض، ويسمعه بعضهم من بعض بالترتيب القائم الآن، فليس لواحد من الصحابة والخلفاء الراشدين يدٌ ولا تصرفٌ في ترتيب شيء من آيات القرآن الكريم، بل الجمع الذي كان على عهد أبي بكر لم يتجاوز نقل القرآن من العسب واللخاف وغيرها في صحف، والجمع الذي كان على عهد عثمان لم يتجاوز نقله من الصحف في مصاحف، وكلا هذين كان وفق الترتيب المحفوظ المستفيض عن النبي عن الله تعالى، أجل انعقد الإجماع على ذلك تاما لا ريب فيه.

فعن عثمان بن أبي العاص قال: «كنت جالساً عند رسول الله؛ إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة، ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[النحل:٩٠]»[٢].

وذكر بعضهم أنّ كلمات القرآن (٧٧٩٣٤) أربع وثلاثون وتسعمائة وسبعة وسبعون ألف كلمة، وذكر بعضُهم غير ذلك.

قال السخاوي: «لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة؛ لأن ذلك إن أفاد فإنما يفيد في كتاب يُمكن فيه الزيادة والنقصان، والقرآن لا يمكن فيه ذلك».

فعن ابن مسعود ﷺ: «مَن قرأ حرفاً من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البقرة:١]حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[٣].

---

(١) في الزيادة والإحسان٢: ١٧.
(٢) في مسند أحمد ٢٩: ٤٤١.
(٣) في سنن الترمذي٥: ١٧٥، وصححه.

## * خامساً: معنى السور لغة واصطلاحاً:

السورة لغة تطلق على معانٍ: «المنزلة من البناء ومنه سورة القرآن؛ لأنها منزلة بعد منزلة مقطوطة عن الأخرى، والشرف، وما طال من البناء وحسن، والعلامة»(١).

واصطلاحاً: طائفةٌ مستقلةٌ من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع.

وهي مأخوذة من سور المدينة، وذلك إمّا لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة، وآية بجانب آية كالسور توضع كلّ لبنة فيه بجانب لبنة، ويقام كلّ صف منه على صف، وإما لما في السورة من معنى العلو والرّفعة المعنوية الشبيهة بعلو السور ورفعته الحسية.

وسور القرآن مختلفة طولاً وقصراً، فأقصر سورة فيه سورة الكوثر، وهي ثلاث آيات قصار، وأطول سورة فيه سورة البقرة، وهي خمس وثمانون أو ست وثمانون ومائتا آية، وأكثر آياتها من الآيات الطوال، بل فيها آية الدين التي هي أطول آية في القرآن كما سبق.

وبين سورة البقرة وسورة الكوثر سور كثيرة تختلف طولاً وتوسطاً وقصراً، ومرجع الطول والقصر والتوسط وتحديد المطلع والمقطع إلى الله وحده؛ لحكم سامية علمها مَن علمها وجَهلها مَن جهلها.

## * سادساً: فوائد وحكم تجزئة القرآن إلى سور:

١. التيسير على الناس وتشويقهم إلى مدارسة القرآن وتحفظه؛ لأنه لو كان سبيكة واحدة لا حلقات بها؛ لصعب عليهم حفظه وفهمه، وأعياهم أن يخوضوا فيه.

٢. الدلالة على موضوع الحديث، ومحور الكلام، فإن في كلِّ سورةٍ موضوعاً بارزاً تتحدث عنه كسورة البقرة، وسورة يوسف، وسورة النمل، وسورة الجن.

---

(١) ينظر: القاموس ١: ١٨٦.

٣.الإشارة إلى أن طول السورة ليس شرطاً في إعجازها، بل هي معجزة وإن بلغت الغاية في القصر كسورة الكوثر.

٤.أنّ القارئ إذا أتمّ سورةً أو باباً من الكتاب، ثم أخذ في آخر كان أنشط له، وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله.

٥.أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها، فيعظم عنده ما حفظه.

## * سابعاً: أقسام السور:

١.**الطوال**: سبع سور البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف فهذه ستة، واختلفوا في السابعة أهي الأنفال وبراءة معاً؛ لعدم الفصل بينهما بالبسملة، أم هي سورة يونس.

٢.**المئون**: هي السُّور التي تزيد آياتها على مائة أو تقاربها.

٣.**المثاني**: هي التي تلي المئين في عدد الآيات، قال الفراء: هي السور التي آيها أقل من مائة آية؛ لأنها تثنى أي تكرر أكثر مما تثنى الطوال والمئون.

٤.**المفصل**: هو أواخر القرآن، واختلفوا في تعيين أوله، والصحيح أن أوله الحجرات، وسمي بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة، وقيل: لقلة المنسوخ منه ولهذا يُسمى المحكم، فعن سعيد بن جبير قال: «إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم»[(١)].

**والمفصل ثلاثة أقسام:**

أ.**طوال**: من أول الحجرات إلى سورة البروج.

ب.**أواسط**: من سورة الطارق إلى سورة لم يكن.

---

(١) في صحيح البخاري٦: ١٣٣.

ج. **قصار**: من سورة إذا زلزلت إلى آخر القرآن.

## * ثامناً: ترتيب السور في القرآن اختلف فيه على ثلاثة أقوال:

١. أن ترتيب السور على ما هو عليه الآن لم يكن بتوقيف من النبي ﷺ، إنما كان باجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم، وينسب هذا القول إلى مالك والقاضي أبي بكر؛ لأن مصاحف الصحابة رضي الله عنهم كانت مختلفة في ترتيب السور قبل أن يجمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه، فلو كان هذا الترتيب توقيفياً منقولاً عن النبي ﷺ ما ساغ لهم أن يهملوه ويتجاوزوه، ويختلفوا فيه ذلك الاختلاف الذي تصوره الروايات، فهذا مصحف أبي بن كعب روي أنه كان مبدوءاً بالفاتحة ثم البقرة ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام، وهذا مصحفُ ابن مسعود رضي الله عنه كان مبدوءاً بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران... الخ على اختلاف شديد، وهذا مصحف عليّ رضي الله عنه كان مرتباً على النزول، فأوله اقرأ ثم المدثر ثم ق ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير وهكذا إلى آخر المكي والمدني.

٢. أن ترتيب السُّور كلِّها توقيفيٌ بتعليم الرسول ﷺ كترتيب الآيات، وأنه لم توضع سورة في مكانها إلا بأمر منه؛ لأن الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كتب في عهد عثمان، ولم يخالف منهم أحد، وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف؛ لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسَّك أصحاب المصاحف المخالفة بمخالفتهم، لكنهم لم يتمسكوا بها، بل عدلوا عنها وعن ترتيبهم، وعدلوا عن مصاحفهم وأحرقوها ورجعوا إلى مصحف عثمان وترتيبه جميعاً.

٣. أن ترتيبَ بعض السُّور كان بتوقيفٍ من النَّبي ﷺ وترتيب بعضها الآخر كان باجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنه وردت أحاديث تفيد ترتيب البعض، وخلا البعض الآخر مما يفيد التوقيف، بل وردت آثار تصرّح بأن التَّرتيب في البعض كان عن اجتهاد.

وذكر أن الخلاف بين الفريقين أي القائلين بأن الترتيب عن اجتهاد والقائلين بأنه عن توقيف لفظي؛ لأن القائل بالثاني يقول: إنه رمز إليهم ذلك؛ لعلمهم بأسباب نزوله

ومواقع كلماته، ولهذا قال مالك: إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ مع قوله: بأن ترتيب السور كان باجتهاد منهم، فآل الخلاف إلى أنه هل هو بتوقيف قولي أو بمجرد إسناد فعليّ بحيث يبقى لهم فيه مجال للنظر.

وعلى كلٍّ ينبغي احترام هذا الترتيب سواء أكان ترتيب السور توقيفياً أم اجتهاديا؛ لأنه عن إجماع الصحابة ﷺ، والإجماع حجة، ولأنّ خلافه يجر إلى الفتنة، ودرء الفتنة وسد ذرائع الفساد واجب، أما ترتيب السور في التلاوة، فليس بواجب إنما هو مندوب.

* * *

# المبحث العاشر
# في كتابة القرآن ورسمه ومصاحفه

## تمهيد:

معروف أنّ الأمة العربية كانت موسومةً بالأمية مشهورةً بها لا تدري ما الكتابة ولا الخطّ، وجاء القرآن يتحدَّث عن أُميتها هذه فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة:٢].

ولم يشذّ عن هذه القاعدة إلا أفراد قلائل في قريش تعلموا الخطّ ودرسوه قبيل الإسلام، وكأنّ ذلك كان إرهاصاً من الله ﷻ وتمهيداً لمبعث النَّبيِّ وتقرير دين الإسلام وتسجيل الوحي المنزل عليه بالقرآن؛ لأنّ الكتابةَ أدعىٰ إلىٰ حفظ التَّنزيل وضبطه وأبعد عن ضياعه ونسيانه.

وكادت تتفق كلمة المؤرخين علىٰ أن قريشاً في مكة لم تأخذ الخط إلا عن طريق حرب بن أمية بن عبد شمس، لكنهم اختلفوا فيمن أخذ عنه حرب، فرواية أبي عمرو الداني تذكر أنه تعلم الخط من: عبد الله بن جدعان، وفيها يقول زياد بن أنعم قلت لابن عباس رضي الله عنهما معاشر قريش هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي تجمعون فيه ما اجتمع وتفرقون فيه ما افترق هجاء بالألف واللام والميم والشكل والقطع وما يكتب به اليوم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: نعم، قلت: فمَن علمكم الكتابة، قال حرب بن أمية، قلت: فمَن عَلَّم حرب بن أمية، قال: عبد الله بن جدعان، قلت: فمَن علم عبد الله بن جدعان، قال أهل الأنبار: قلت فمَن عَلَّم أهل الأنبار قال طارئ طرأ عليهم من

أهل اليمن من كندة، قلت فمَن علَّم ذلك الطارئ، قال: الخلجان بن الموهم كان كاتب هود نبي الله عليه السلام.

أما رواية الكلبيّ فتقص علينا أن حرباً تعلم الكتابة من بشر بن عبد الملك، وفيها يقول عوانة: أول مَن كتب بخطنا هذا، وهو الجزم مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة، وكذا عامر بن جدرة، وهم من عرب طيئ، تعلموه من كاتب الوحي لسيدنا هود عليه السلام، ثم علموه أهل الأنبار، ومنهم انتشرت الكتابة في العراق والحيرة وغيرهما، فتعلمها بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل، وكان له صحبة بحرب بن أمية؛ لتجارته عندهم في بلاد العراق، فتعلّم حرب منه الكتابة، ثم سافر معه بشر إلى مكة، فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان، فتعلَّم منه جماعة من أهل مكة.

ومن هنا وجد عدد يحذق الخطّ والكتابة قُبيل الإسلام، ولكنهم نزرٌ يسيرٌ بجانب تلك الكثرة الغامرة من الأميين.

وأما أهل المدينة فكان بينهم أهل الكتاب من اليهود، وقد دخل النَّبيُّ ﷺ المدينة وفيها يهوديّ يُعلِّم الصِّبيان الكتابة، وكان فيها بضعةَ عشرَ رجلاً يحذقون الكتابة منهم المنذر بن عمرو وأبي بن وهب وعمرو بن سعيد وزيد بن ثابت الذي تعلَّم كتابة اليهود بأمر من النبي ﷺ.

**ونعرض ما يتعلق بكتابة المصحف في النقاط الآتية:**

## * أولاً: شأن الكتابة في الإسلام:

جاء الإسلام فحارب فيما حارب أمية العرب، وعمل على محوها، وطفق يرفع من شأن الكتابة، ويُعلي من مقامها، قال ﷻ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ② ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ③ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ④ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ⑤﴾ [العلق:١-٥]، وحلف

العلي الأعلىٰ بالقلم وما يسطرون إذ يقول: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢﴾ [القلم:١-٢].

وهذا من أروع ألوان التنبيه إلىٰ جلال الخط والكتابة ومزاياهما، وهذا رسول الله ﷺ يدفع أصحابه دفعاً إلىٰ أن يتعلموا الخطّ ويحذقوا الكتابة، ويهيىء لهم السُّبل بكلِّ ما يستطيع من وسيلة مشروعة، حتىٰ لقد ورد أنّ المسلمين في غزوة بدر أسروا ستين مشركاً فكان مما يَقبل الرسول في فداء الواحد منهم أن يعلم عشرة من أصحابه الكتابة والخطّ.

فعن ابن عباس ﭫ، قال: «كان ناس من الأسارىٰ يوم بدر ليس لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم، أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة»(١).

وعن الشَّعبي: «كان فداء أسارىٰ يوم بدر أربعين أوقية، فمَن لم يكن عنده أمره أن يعلم عشرة من المسلمين الكتابة»(٢).

وأن أمية الرّسول في أوّل أمره إنما كانت حالاً وقتية اقتضاها إقامة الدليل والإعجاز علىٰ صدق محمد ﷺ في نبوته ورسالته، وأنه مبعوث الحقّ إلىٰ خليقته، ولو كان وقتئذٍ كاتباً قارئاً، وهم أميون لراجت شبهتهم في أن ما جاء به نتيجة اطلاع ودرس، وفي هذا المعنىٰ يقول ﷻ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٩﴾ [العنكبوت:٤٨-٤٩].

واختلف في أنه ﷺ أكان بعد النبوة يقرأ ويكتب أم لا، فقيل إنه ﷺ لم يكن يحسن الكتابة، وقيل: أنه ﷺ صار يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها وعدم معرفتها بسبب المعجزة لهذه الآية، فلما نزل القرآن واشتهر الإسلام وظهر أمر الارتياب تعرف الكتابة حينئذٍ.

---

(١) في مسند أحمد٤: ٩٢، والمستدرك٢: ١٥٢، وصححه.

(٢) في الأموال لابن زنجويه١: ٣١٠.

فعن عون بن عبد الله عن أبيه قال: «ما مات رسول الله ﷺ حتىٰ كتب وقرأ»، فذكر ذلك للشعبي فقال: قد صدق قد سمعت من أصحابنا يذكرون ذلك[1].

وإذا استعرضنا حجج هؤلاء وهؤلاء نلاحظ أنّ أدلة أميته قطعية يقينية، وأنّ أدلة كونه كتب وخط بيمينه ظنية غير يقينية، ولم يدع أحد أنها قطعية يقينية، ثم إن التعارض ظاهر فيما بين هذه وتلك، غير أنه تعارض ظاهريّ يُمكن دفعه بأن نحمل أدلة الأمية علىٰ أولىٰ حالاته، وأن نحمل أدلة كتابته علىٰ أُخريات حالاته، وذلك جمعا بين الأدلة، ولا ريب أنّ الجمعَ بينها أهدىٰ سبيلاً من إعمال البعض وإهمال البعض ما دام في كل منها قوة الاستدلال، وما دام الجمع ممكنا علىٰ أية حال، أما لو لم يمكن الجمع فلا مشاحة حينئذٍ في قبول القطعي ورد الظني؛ لأن الأول أقوىٰ من الثاني .

واعتنىٰ النبي ﷺ وأصحابه ﷺ بكتابة القرآن عناية فائقة، يدلك علىٰ هذه العناية أنّ النبي ﷺ كان له كتّاب يكتبون الوحي منهم الأربعة الخلفاء ومعاوية وأبان بن سعيد وخالد بن الوليد وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وثابت بن قيس وأرقم بن أبي وحنظلة بن الربيع وغيرهم، فكان إذا أنزل عليه شيءٌ يدعو أحد كتابه هؤلاء ويأمره بكتابة ما نزل عليه.

فعن البراء ﷺ، قال: «لما نزلت: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء:٩٥]، قال رسول الله ﷺ: «ادع لي زيداً ويجيء معه باللوح والدواة، أو بالكتف والدواة، ثم قال: اكتب: لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله، قال: وخلف ظهر النبي ﷺ عمرو بن أم مكتوم الأعمىٰ، قال: يا رسول الله، فما تأمرني، فإني رجل ضرير البصر؟ قال البراء: فأنزلت مكانها: ﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥]»[2].

---

(١) في مصنف ابن أبي شيبة١: ١٠٢، وسنن البيهقي الكبير٧: ٦٨، وقال: فهذا حديث منقطع وفي رواته جماعة من الضعفاء والمجهولين.

(٢) في صحيح ابن حبان١: ٢٢٨.

## * ثانياً: رسم المصحف:

رسم المصحف يراد به الوضع الذي ارتضاه عثمان ﷺ في كتابة كلمات القرآن وحروفه، والأصل في المكتوب أن يكون موافقاً تمام الموافقة للمنطوق من غير زيادة، ولا نقص، ولا تبديل، ولا تغيير، لكن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفاً لأداء النطق؛ وذلك لأغراض شريفة ظهرت وتظهر لك فيما بعد ، وقد عني العلماء بالكلام على رسم القرآن وحصر تلك الكلمات التي جاء خطها على غير مقياس لفظها، وقد أفرده بعضهم بالتأليف منهم أبو عمرو الداني؛ إذ ألف فيه كتابه المسمى «المقنع»، وأبو عباس المراكشي إذ ألف كتاباً أسماه: «الدليل في رسوم خط التنزيل»، ومحمد بن أحمد الشهير بالمتولي؛ إذ نظم أرجوزة سماها «اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة من المرسوم»، وشرحها محمد خلف الحسيني، وذيل الشرح بكتاب سماه «مرشد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن».

## * ثالثاً: قواعد رسم المصحف:

للمصحف العثماني قواعد في خطه ورسمه حصرها علماء الفن في ست قواعد،وهي الحذف والزيادة والهمز والبدل والفصل والوصل، وما فيه قراءتان فقرئ على إحداهما، وبيان ذلك ليتضح الفرق بينه وبين قواعد الإملاء المعاصرة:

### ١ .قاعدة الحذف:

خلاصتها أنّ الألف تحذف من «ياء النداء»، نحو ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ومن «ها التنبيه» نحو: ﴿هَـٰٓأَنتُمۡ﴾، ومن كلمة: «نا» إذا وليها ضمير نحو: ﴿أَنجَيۡنَـٰكُم﴾، ومن لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾، ومن كلمة: ﴿إِلَـٰهَ﴾، ومن لفظي: ﴿ٱلرَّحۡمَـٰنِ﴾ و﴿سُبۡحَـٰنَ﴾، وبعد «اللام» نحو كلمة: ﴿خَلَـٰٓئِفَ﴾، وبين «اللامين» في نحو ﴿ٱلۡكَلَـٰلَةِ﴾، ومن كلّ مثنى نحو ﴿رَجُلَانِ﴾، ومن كل جمع تصحيح لمذكر أو لمؤنث نحو ﴿سَمَّـٰعُونَ﴾ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ﴾، ومن كلِّ جمع على وزن مفاعل وشبهه نحو

﴿ٱلۡمَسَٰجِدَ﴾ و﴿ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾، ومن كل عدد نحو ﴿ثَلَٰثَ﴾، ومن البسملة، ومن أول الأمر من سأل وغير ذلك، إلا ما استثني من هذا كلّه.

وتحذف الياء من كلّ منقوص منون رفعاً وجراً نحو ﴿غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ [البقرة:١٧٣]، ومن هذه الكلمات ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء:١٠٨] ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر:١٦] ﴿وَخَافُونِ﴾ [آل عمران:١٧٥] ﴿فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل:٥١] ﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾ [يوسف:٤٥] ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥] إلا ما استثني.

وتحذف الواو إذا وقعت مع واو أخرىٰ في نحو ﴿لَا يَسۡتَوُۥنَ﴾ [التوبة:١٩]، ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ [الكهف:١٦].

وتحذف اللام إذا كانت مدغمة في مثلها نحو ﴿ٱلَّيۡلِ﴾ [طه:١٣٠] و﴿ٱلَّذِى﴾ [الأنبياء:٣٣] إلا ما استثني.

وهناك حذف لا يدخل تحت قاعدة كحذف الألف من كلمة ﴿مَٰلِكِ﴾ [الفاتحة:٤]، وكحذف الياء من ﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة:١٢٤]، وكحذف الواو من هذه الأفعال الأربعة: ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الإسراء:١١] و﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ [الشورىٰ:٢٤] ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر:٦] ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨﴾ [العلق:١٨].

**٢.قاعدة الزيادة:**

خلاصتها أنّ الألف تزاد بعد الواو في آخر كلّ اسم مجموع أو في حكم المجموع نحو ﴿مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة:٤٦] ﴿بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس:٩٠] ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].

وبعد الهمزة المرسومة واواً نحو ﴿تَالله تَفۡتَأُ﴾فإنها ترسم هكذا ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ﴾ [يوسف:٨٥]، وفي كلمات ﴿مِاْئَةِ﴾ [الكهف:٢٥] و﴿مِاْئَتَيۡنِ﴾ [الأنفال:٦٥].

والظنون والرسول والسبيل في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠]، ﴿وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب:٦٦] ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧].

وتزاد الياء في هذه الكلمات: ﴿نَّبَإِيْ﴾[الأنعام:٣٤]، ﴿ءَانَآيِٕ﴾ [طه:١٣٠]، ﴿مِن تِلۡقَآيِٕ﴾[يونس:١٥]، ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ٦﴾ [القلم:٦]، ﴿بِأَيۡدِى﴾ [عبس:١٥] من قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ [الذاريات:٤٧].

وتزاد الواو في نحو: ﴿أَوَلَوۡ﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ ﴿أُوْلَآءِ﴾ ﴿وَأُوْلَٰتُ﴾.

**٣. قاعدة الهمز:**

خلاصتها أنّ الهمزة إذا كانت ساكنة تكتب بحرف حركة ما قبلها نحو: ﴿ٱئۡذَن﴾ [التوبة:٤٩] ﴿ٱؤۡتُمِنَ﴾ [البقرة:٢٨٣] ﴿بِٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ [الأنعام:٤٢] إلا ما استثني.

أما الهمزة المتحركة فإن كانت أول الكلمة واتصل بها حرف زائد كتبت بالألف مطلقاً سواء أكانت مفتوحة أم مكسورة نحو ﴿وَأَيُّوبَ﴾ [الأنعام:٨٤] ﴿أَوَلَوۡ﴾ [الأعراف:٨٨] ﴿سَأَصۡرِفُ﴾[الأعراف:١٤٦] ﴿سَأُنزِلُ﴾ [الأنعام:٩٣] ﴿فَبِأَيِّ﴾ [الأعراف:١٨٥] إلا ما استثني.

وإن كانت الهمزة وسطاً، فإنها تكتب بحرف من جنس حركتها نحو ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج:١] ﴿سُئِلَ﴾ [البقرة:١٠٨] ﴿لِتَقۡرَأَهُۥ﴾ [الإسراء:١٠٦] إلا ما استثني.

وإن كانت متطرفة كتبت بحرف من جنس حركة ما قبلها نحو ﴿لِسَبَإٍ﴾ [سبأ:١٥] ﴿شَٰطِيِٕ﴾ [القصص:٣٠] ﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾ [فاطر:٣٣] إلا ما استثني، وإن سكن ما قبلها حذفت نحو ﴿مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران:٩١] ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ﴾ [النمل:٢٥] إلا ما استثني.

والمستثنيات كثيرة في الكلّ.

**٤. قاعدة البدل:**

خلاصتها أن الألف تكتب واواً للتَّفخيم في مثل الصلاة والزكاة والحياة إلا ما استثني، وترسم ياء إذا كانت منقلبة عن ياء نحو ﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾ [السجدة:١١] ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ [الزمر:٥٦] ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ [يوسف:٨٤].

وكذلك ترسم الألف «ياء» في هذه الكلمات «إلىٰ» «علىٰ» «أنىٰ» بمعنىٰ «كيف» «متىٰ» «بلىٰ» «حتىٰ» «لدىٰ» ما عدا لدىٰ الباب في سورة يوسف، فإنها ترسم ألفاً.

وترسم النون ألفاً في نون التوكيد الخفيفة، وفي كلمة «إذن»، وترسم هاء التأنيث تاء مفتوحة في كلمة ﴿رَحۡمَتَ﴾ بالبقرة والأعراف وهود ومريم والروم والزخرف، وفي كلمة: ﴿نِعۡمَتَ﴾ بالبقرة وآل عمران والمائدة وإبراهيم والنحل ولقمان وفاطر والطور، وفي كلمة لعنة الله، وفي كلمة ﴿وَمَعۡصِيَتِ﴾ بسورة قد سمع، وفي هذه الكلمات ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ [الدخان:٤٣] ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ﴾ [القصص:٩] ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٖ﴾ [الواقعة:٨٩] ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾ [هود:٨٦].

وفي كلمة امرأة أضيفت إلىٰ زوجها نحو ﴿ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾ [آل عمران:٣٥] ﴿ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ﴾ [التحريم:١٠] وفي غير ذلك.

**٥. قاعدة الوصل والفصل:**

خلاصتها أنّ كلمة أن بفتح الهمزة توصل بكلمة لا إذا وقعت بعدها، ويستثنىٰ من ذلك عشرة مواضع، منها ﴿أَن لَّا يَقُولُواْ﴾ [الأعراف:١٦٩] ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود:٢٦].

وكلمة ﴿مِن﴾ توصل بكلمة ﴿مَا﴾ إذا وقعت بعدها، ويستثنىٰ ﴿مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم﴾ في النساء والروم، و﴿مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ في سورة المنافقين.

وكلمة «من» توصل بكلمة من مطلقاً.

وكلمة «عن» توصل بكلمة «ما» إلا قوله سبحانه: ﴿عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأعراف:١٦٦].

وكلمة «إن» بالكسر توصل بكلمة «ما» التي بعدها إلا قوله سبحانه: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ [الرعد:٤٠].

وكلمة «أن» بالفتح توصل بكلمة «ما» مطلقا من غير استثناء.

وكلمة «كل» توصل بكلمة «ما» التي بعدها إلا قوله سبحانه: ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ [النساء:٩١] ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم:٣٤].

وتوصل كلمات ﴿فَنِعِمَّا﴾ [البقرة:٢٧١]، و﴿رُّبَمَا﴾ [الحجر:٢]، و﴿كَأَنَّمَا﴾ و﴿وَيْكَأَنَّ﴾[القصص:٨٢] ونحوها.

**٦.قاعدة ما فيه قراءتان:**

خلاصتها أنّ الكلمة إذا قرئت على وجهين تكتب برسم أحدهما كما رسمت الكلمات الآتية بلا ألف في المصحف، وهي ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤] ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة:٩] ﴿ ﴾ ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ﴾ [الأعراف:١٤٢] ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ [البقرة:٨٥] ونحوها، وكلُّها مقروءةٌ بإثبات الألف وحذفها.

وكذلك رسمت الكلمات الآتية بالتاء المفتوحة، وهي ﴿غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف:١٠] ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾ [الرعد:٧] ﴿ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ [فصلت:٤٧] في فصلت ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧] وذلك؛ لأنها جمعاء مقروءة بالجمع والإفراد، وغير هذا كثيرٌ، وحسبنا ما ذكرناه للتمثيل والتنوير.

## * رابعاً: مزايا الرسم العثماني:

١.الدلالة في القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة بقدر الإمكان، وذلك أن قاعدة الرسم لوحظ فيها أنّ الكلمة إذا كان فيها قراءتان أو أكثر كتبت بصورة تحتمل هاتين القراءتين أو الأكثر.

٢.إفادة المعاني المختلفة بطريقة تكاد تكون ظاهرة، وذلك نحو قطع كلمة أم في قوله تعالىٰ ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ [النساء:١٠٩]، ووصلها في قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك:٢٢]؛ إذ كتبت هكذا أمن بإدغام الميم الأولىٰ في الثانية وكتابتهما ميما واحدة مشددة فقط أم الأولىٰ في الكتابة للدلالة علىٰ أنها أم المنقطعة التي بمعنىٰ بل ووصل أم الثانية للدلالة علىٰ أنها ليست كتلك.

٣.الدلالة علىٰ معنىٰ خفي دقيق كزيادة الياء في كتابة كلمة أيد من قوله تعالىٰ ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات:٤٧] إذ كتبت هكذا بأييد وذلك للإيماء إلىٰ تعظيم قوة الله التي بنىٰ بها السماء، وأنها لا تشبهها قوة علىٰ حد القاعدة المشهورة وهي زيادة المبنىٰ تدل علىٰ زيادة المعنىٰ.

٤.الدلالة علىٰ أصل الحركة مثل كتابة الكسرة ياء في قوله سبحانه: ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل:٩٠]؛ إذ تكتب هكذا وإيتاءىٰ ذي القربىٰ.

٥.إفادة بعض اللغات الفصيحة مثل كتابة هاء التأنيث تاء مفتوحة دلالة علىٰ لغة طيىٰء.

٦.حمل الناس علىٰ أن يتلقوا القرآن من صدور ثقات الرجال ولا يتكلوا علىٰ هذا الرسم العثماني الذي جاء غير مطابق للنطق الصحيح في الجملة.

## * خامساً: الاختلاف في كون رسم المصحف توقيفي على ثلاثة أقوال:

١.أنه توقيفي لا تجوز مخالفته، وذلك مذهب الجمهور، واستدلوا بأن النبي ﷺ كان له كتاب يكتبون الوحي، وقد كتبوا القرآن فعلاً بهذا الرسم، وأقرَّهم الرَّسول علىٰ كتابتهم، ومضىٰ عهده والقرآن علىٰ هذه الكتبة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل، بل ورد أنه كان يضع الدستور لكتاب الوحي في رسم القرآن وكتابته، ومن ذلك قوله ﷺ لمعاوية رضي الله عنه، وهو من كتبة الوحي: «ألق الدواة وحرف القلم وأنصب الباء وفرق السين ولا

تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم»[1].

ثم جاء أبو بكر ﷺ فكتب القرآن بهذا الرسم في صحف ثم حذا حذوه عثمان ﷺ في خلافته فاستنسخ تلك الصحف في مصاحف على تلك الكتبة، وأقر أصحاب النبي ﷺ عمل أبي بكر وعثمان ﷺ وانتهى الأمر بعد ذلك إلى التابعين وتابعي التابعين، فلم يخالف أحد منهم في هذا الرسم.

وسُئل مالكٌ أرأيت مَن استكتب مصحفاً أترى أن يكتب على ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم؟ فقال: لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكتبة الأولى، قال السخاوي: والذي ذهب إليه مالك هو الحق؛ إذ فيه بقاء الحالة الأولى إلى أن تعلمها الطبقة الأخرى، ولا شك أن هذا هو الأحرى بعد الأخرى؛ إذ في خلاف ذلك تجهيل الناس بأولية ما في الطبقة الأولى، وقال أبو عمرو الداني: لا مخالف لمالك من علماء الأمة في ذلك.

٢. أن رسم المصاحف اصطلاحي لا توقيفي، وعليه فتجوز مخالفته، وممن جنح إلى هذا الرأي ابن خلدون أبو بكر الباقلاني.

٣. يجوز بل تجب كتابة المصحف الآن لعامة الناس على الاصطلاحات المعروفة الشائعة عندهم، ولا تجوز كتابته لهم بالرسم العثماني الأول؛ لئلا يوقع في تغيير من الجهال، ولكن يجب في الوقت نفسه المحافظة على الرسم العثماني، ويميل إليه النووي والزركشي والعز ابن عبد السلام، وهذا ما جرى عليه أهل المشرق بناء على كونها أبعد من اللبس، وتحاماه أهل المغرب بناء على قول مالك.

## * سادساً: الصحف والمصاحف:

إن أبا بكر ﷺ جمع القرآن في صحف، وإن عثمان ﷺ جمعه ونسخه في مصاحف، والفرق بين الصحف والمصاحف في الأصل أن الصحف جمع صحيفة، وهي القطعة

---

(١) في فضائل القرآن للمستغفري ١: ٤٣٦.

من الورق أو الجلد يكتب فيها، أما المصحف فهو بزنة اسم المفعول من أصحفه أي جمع فيه الصحف، فكأن المصحف ملحوظ في معناه اللغوي دفتاه، وهما جانباه أو جلداه اللذان يتخذان جامعاً لأوراقه ضابطاً لصحفه حافظاً لها، ولا يلحظ هذا في معنىٰ الصحف وإن كان يصحّ استعمال كلا اللفظين في كلا المعنيين استعمالا متوسعاً فيه، هذا في أصل اللغة.

وفي الاصطلاح: الصحف: الأوراق المجردة التي جمع فيها القرآن في عهد أبي بكر ﵁، وكانت سوراً مرتبة آياتها فقط كلّ سورة علىٰ حدة، لكن لم يترتب بعضها إثر بعض.

المصحف: الأوراق التي جمع فيها القرآن مع ترتيب آياته وسوره جميعاً علىٰ الوجه الذي أجمعت عليه الأمة أيام عثمان ﵁.

وقد أطلق بعضهم لفظ المصحف علىٰ صحف أبي بكر ﵁، وتوجيهه لا يخفىٰ، ولقد بقيت الصحف عند أبي بكر ﵁ حتىٰ حضرته الوفاة فدفعها إلىٰ عمر ﵁؛ لأنه وصىٰ له بالعهد، ولما مات عمر ﵁ انتقلت إلىٰ ابنته أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها بوصية من عمر ﵁ ثم طلبها عثمان ﵁ ونسخ المصاحف منها وردها إليها، وبقيت عندها حتىٰ توفيت رضي الله عنها.

وقد حضر جنازتها مروان والي المدينة وقتئذٍ ورغب إلىٰ أخيها عبد الله بن عمر أن يبعث إليه بالصحف فبعثها إليه، وكان مروان قد طلبها من السيدة حفصة من قبل فأبت رضي الله عنها، أخرج ابن أبي داود في رواية أن مروان أحرق هذه الصحف، وفي رواية أنه غسلها، وفي رواية شققها.

ولا مانع من الجمع بين هذه الروايات الثلاث بأنه غسلها أولاً ثم شققها ثانياً ثم أحرقها أخيراً مبالغةً في التكريم والمحو كما رُوي أنه قال: إنما فعلت هذا؛ لأني خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتابٌ: أي يظنّ أن فيها ما

يخالف المصاحف، فإنها كانت صحفاً منثورةً لا تأخذ شكل المصاحف المجموعة المنظومة.

## * سابعاً: الاختلاف في عدد المصاحف التي استنسخها عثمان ﷺ:

١. ستة مصاحف، فصوَّب ابنُ عاشر أنها ستّة المكي والشامي والبصري والكوفي والمدني العام الذي سيره عثمان ﷺ من محلّ نسخه إلى مقرّه، والمدني الخاصّ به الذي حبسه لنفسه، وهو المسمى بالإمام.

قال صاحب «زاد القراء»: لما جمع عثمان القرآن في مصحف سماه الإمام، ونسخ منه مصاحف فأنفذ منها مصحفاً إلى مكة، ومصحفاً إلى الكوفة، ومصحفاً إلى البصرة، ومصحفاً إلى الشام، وحبس مصحفاً بالمدينة.

٢. ثمانية مصاحف، خمسة متفق عليها، وهي: الكوفي والبصري والشامي والمدني العام والمدني الخاص، وثلاثة مختلف فيها وهي المكي ومصحف البحرين ومصحف اليمن، وقيل: إن عثمان ﷺ أنفذ إلى مصر مصحفاً.

ولعل القول بأن عددها ستّة، هو أولى الأقوال بالقبول، والمفهوم على كلّ حال أن عثمان ﷺ قد استنسخ عدداً من المصاحف يفي بحاجة الأمة، وجمع كلمتها وإطفاء فتنتها، ولا يتعلق بتعين العدد الكبير غرض.

## * ثامناً: كيفية إنفاذ عثمان المصاحف العثمانية:

كان الاعتماد في نقل القرآن ولا يزال على التلقي من صدور الرجال ثقة عن ثقة، وإماماً عن إمام إلى النبي ﷺ؛ لذلك اختار عثمان حفاظاً يثق بهم وأنفذهم إلى الأقطار، واعتبر هذه المصاحف أصولاً ثواني مبالغة في الأمر، وتوثيقاً للقرآن ولجمع كلمة المسلمين.

فكان يرسل إلى كلّ إقليم مصحفه مع مَن يوافق قراءته في الأكثر الأغلب، روي أن عثمان ﷺ أمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدني، وبعث عبد الله بن السائب ﷺ

مع المكي، والمغيرة بن شهاب مع الشامي، وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي، وعامر ابن عبد القيس مع البصري، ثم نقل التابعون عن الصحابة ﷺ فقرأ أهلُ كلّ مصر بما في مصحفهم تلقياً عن الصحابة ﷺ الذين تلقوه من فم النبي ﷺ فقاموا في ذلك مقام الصحابة ﷺ الذين تلقوه من فم النبي ﷺ.

ثم تفرغ قوم للقراءة والأخذ والضبط حتىٰ صاروا في هذا الباب أئمة يرحل إليهم، ويؤخذ عنهم وأجمع أهل بلدهم علىٰ تلقي قراءتهم واعتماد روايتهم، ومن هنا نسبت القراءة إليهم، وأجمعت الأمة، وهي معصومة من الخطأ في إجماعها علىٰ ما في هذه المصاحف، وعلىٰ ترك كلِّ ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال؛ لأنه لم يثبت عندهم ثبوتاً متواتراً أنه من القرآن.

## * تاسعاً: إعجام «نقط» المصحف:

أعجم فلان الكتاب نقطه.

والمعروف أن المصحف العثماني لم يكن منقوطاً، وذلك للمعنىٰ الذي أسلفناه، وهو بقاء الكلمة محتملةً؛ لأن تقرأ بكلِّ ما يُمكن من وجوهٍ القراءات فيها، بيد أن المؤرخين يختلفون:

فمنهم مَن يرىٰ أن الإعجام كان معروفاً قبل الإسلام، ولكن تركوه عمداً في المصاحف للمعنىٰ السابق.

ومنهم مَن يرىٰ أن النقط لم يعرف إلا من بعد علىٰ يد أبي الأسود الدُّؤلي.

وسواء أكان هذا أم ذاك فإن إعجامَ المصاحف لم يحدث علىٰ المشهور إلا في عهد عبد الملك بن مروان؛ إذ رأىٰ أنّ رقعةَ الإسلام قد اتسعت واختلط العرب بالعجم وكادت العجمة تمسّ سلامة اللغة، وبدأ اللبس والإشكال في قراءة المصاحف يلح بالناس، حتىٰ ليشق علىٰ السواد منهم أن يهتدوا إلىٰ التمييز بين حروف المصحف وكلماته، وهي غير معجمة.

هنالك رأىٰ بثاقب نظره أن يتقدم للإنقاذ فأمر الحجاجَ أن يُعنىٰ بهذا الأمر الجلل وندب الحجاج طاعة لأمير المؤمنين رجلين يُعالجان هذا المشكل، هما نصر بن عاصم الليثي ويحيىٰ بن يعمر العدواني، وكلاهما كفءٌ قدير علىٰ ما ندب له إذ جمعا بين العلم والعمل والصلاح والورع والخبرة بأصول اللغة ووجوه قراءة القرآن، وقد اشتركا أيضاً في التلمذة والأخذ عن أبي الأسود الدؤلي.

ويرحم الله هذين الشيخين فقد نجحا في هذه المحاولة وأعجما المصحف الشَّريف لأوَّل مرّة ونقطا جميع حروفه المتشابهة والتزما، ألا تزيد النقط في أي حرف علىٰ ثلاث، وشاع ذلك في الناس بعد، فكان له أثره العظيم في إزالة الإشكال واللبس عن المصحف الشريف.

وقيل: إنّ أوَّل مَن نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي، وإنّ ابن سيرين كان له مصحف منقوط نقطه يحيىٰ بن يعمر.

ويُمكن التوفيق بين هذه الأقوال بأن أبا الأسود أول من نقط المصحف، ولكن بصفة فردية، ثم تبعه ابن سيرين، وأن عبد الملك أوَّل مَن نقط المصحف ولكن بصفة رسمية عامة ذاعت وشاعت بين الناس دفعاً للبس والإشكال عنهم في قراءة القرآن.

## * عاشراً: شكل المصاحف:

شكل الكتاب أعجمه كأشكله كأنه أزال عنه الإشكال.

ثم شاع استعمال الشَّكل في خصوص ما يعرض للحروف من حركة أو سكون، والمناسبة بين المعنيين ظاهرة؛ لأنّ في كلٍّ منهما إزالةً لإشكال الحرف، ودفعاً للبس عنه، واتفق المؤرخون علىٰ أنّ العربَ في عهدهم الأوَّل لم يكونوا يعرفوا شكل الحروف والكلمات، فضلاً عن أن يشكلوها؛ ذلك لأنّ سلامةَ لغتهم وصفاء سليقتهم وذلاقة ألسنتهم، كلُّ أولئك كان يغنيهم عن الشكل.

ولكن حين دخلت الإسلام أمم جديدة منهم العجم الذي لا يعرفون العربية، بدأت العجمة تحيف علىٰ لغة القرآن، بل قيل: إن أبا الأسود الدؤلي سمع قارئا يقرأ

قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:٣]، فقرأها بجر اللام من كلمة: ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾، فأفزع هذا اللحن الشنيع أبا الأسود، وقال عز وجه الله أن يبرأ من رسوله، ثم ذهب إلى زياد والي البصرة، وقال له وقد أجبتك إلى ما سألت، وكان زياد قد سأله أن يجعل للناس علامات يعرفون بها كتاب الله، فتباطأ في الجواب حتى راعه هذا الحادث.

وهنا جد جده وانتهى به اجتهاده إلى أن جعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، وجعل علامة الكسر نقطة أسفله، وجعل علامة الضمة نقطة بين أجزاء الحرف، وجعل علامة السكون نقطتين، طفق الناس ينهجون منهجه ثم امتد الزمان بهم فبدؤوا يزيدون ويبتكرون حتى جعلوا للحرف المشدد علامة كالقوس، ولألف الوصل جرّة فوقها أو تحتها أو وسطها على حسب ما قبلها من فتحة أو كسرة أو ضمة، ودامت الحال على هذا حتى جاء عبدُ الملك بن مروان، فرأى بنافذ بصيرته أن يميز ذوات الحروف من بعضها، وأن يتخذ سبيله إلى ذلك التمييز بالإعجام والنقط .

وهنالك اضطر أن يستبدل بالشكل الأول الذي هو النقط شكلاً جديداً هو ما نعرفه اليوم من علامات الفتحة والكسرة والضمة والسكون، والذي اضطره إلى هذا الاستبدال أنه لو أبقى العلامات الأولى على ما هي عليه نقطاً ثم جاءت هذه الأخرى نقطاً كذلك لتشابها، واشتبه الأمر، فميز بين الطائفتين بهذه الطريقة ونعما فعل

## * الحادي عشر: حكم نقط المصحف وشكله:

كان العلماء في الصدر الأول يرون كراهة نقط المصحف وشكله مبالغاً منهم في المحافظة على أداء القرآن كما رسمه المصحف وخوفاً من أن يؤدي ذلك إلى التّغيير فيه ومن ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «جردوا القرآن، لا تلبسوا به ما ليس منه»[1].

(١) في المعجم الكبير ٩: ٣٥٣، ومصنف عبد الرزاق ٤: ٣٢٢، ومصنف ابن أبي شيبة ٢: ٢٣٩،

وما رُوي عن ابن سيرين: أنه كِره النَّقط والفواتح والخواتم إلى غير ذلك، ولكن الزَّمان تغيَّر كما عَلِمت فاضطرّ المسلمون إلى إعجام المصحف وشكله لنفس ذلك السبب أي للمحافظة على أداء القرآن كما رسمه المصحف، وخوفاً من أن يؤدي تجرده من النقط والشكل إلى التغيير فيه، فمعقول حينئذ أن يزول القول بكراهة ذينك الإعجام والشكل، ويحلُّ محله القول بوجوب أو باستحباب الإعجام والشكل؛ لما هو مقرر من أن الحكم يدور مع علته.

قال العَيْنيُّ[1]: «ولكن هذا كان في زمنهم؛ لأنهم كانوا ينقلونه عن النبي ﷺ كما أنزل، وكانت القراءة سهلة عليهم، لا كذلك في زماننا فيستحسن، والتشاديد والنقط والتعشير لعجز العجم عن التعلم إلا به، وإلى هذا أشار المصنف الرازي بقوله: وقيل: يُباح في زماننا، وعلى هذا لا بأس بكتابة أسماء السور وعدد الآي فهو وإن كان محدثاً فمستحسن، وكم من شيء يختلف باختلاف الزمان والمكان»، واختاره عامة الحنفية[2].

## * الثاني عشر: تجزئة القرآن:

كانت المصاحفُ العثمانيةُ مجردةً من التجزئة التي نذكرها كما كانت مجردة من النقط والشكل، ولما امتدّ الزمان بالناس جعلوا يفتنون في المصاحف وتجزئتها عدة تجزئات مختلفة الاعتبارات:

فمنهم من قسم القرآن ثلاثين قسماً، وأطلقوا على كلِّ قسم منها اسم الجزء، بحيث لا يخطر بالبال عند الإطلاق غيره، حتى إذا قال قائل قرأت جزءاً من القرآن تبادر إلى الذهن أنه قرأ جزءاً من الثلاثين جزءاً التي قسموا المصحف إليها.

ومن النَّاس مَن قسموا الجزء إلى حزبين، ومن قسموا الحزب إلى أربعة أجزاء سموا كلّ واحد منها ربعاً.

ومن الناس مَن وضعوا كلمة خمس عند نهاية كلّ خمس آيات من السورة، وكلمة

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧: ٣٢٨: رجاله رجال الصحيح غير أبي الزعراء وقد وثقه ابن حبان.

(١) في منحة السلوك٣: ٢١٩.

(٢) ينظر: البدائع ٥: ١٢٧، والكنز٦: ٣٠، والتبيين ٦: ٣٠، وغيرها.

عشر عند نهاية كل عشر آيات منها، فإذا انقضت خمس أُخرىٰ بعد العشر أعادوا كلمة خمس فإذا صارت هذه الخمس عشراً أعادوا كلمة عشر، وهكذا دواليك إلىٰ آخر السورة.

وبعضهم يكتب في موضع الأخماس رأس الخاء بدلاً من كلمة خمس، ويكتب في موضع الأعشار رأس العين بدلاً من كلمة عشر.

وبعض الناس يرمز إلىٰ رؤوس الآي برقم عددها من السورة أو من غير رقم.

وبعضهم يكتب فواتح للسور كعنوان ينوه فيه باسم السُّورة، وما فيها من الآيات المكية والمدنية إلىٰ غير ذلك.

## * الثالث عشر: احترام المصحف:

ليس فيما نرىٰ ونسمع كتاب أُحيط بهالة من الإجلال والتقديس كالقرآن الكريم، حتىٰ لقد وصفه الحقّ جل شأنه بأنه﴿ كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الواقعة:٧٨]، وحكم بأنه ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الواقعة:٧٩]، وأقسم علىٰ ذلك إذ يقول: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الواقعة:٧٥-٨٠].

ونهىٰ الرسول ﷺ عن السفر به إلىٰ أرض العدو إذا خيف وقوع المصحف في أيديهم، والحديث مروي في الصحيحين.

وأفتىٰ الفقهاء بكفر من رمىٰ به في قاذورة، وبحرمة من باعه لكافر ولو ذمياً وأجمعوا بوجوب الطهارة لمسه وحمله.

واستحبوا تحسين كتابته وإيضاحها وتحقيق حروفها، قال النووي: ويستحب أن يقوم للمصحف إذا قدم به عليه؛ لأنّ القيام يستحب للعلماء والأخيار، فالمصحف أولىٰ.

# المبحث الحادي عشر
# في القراءات والقراء

## تمهيد:

القراءات جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر سماعي لقرأ.

**واصطلاحاً**: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها.

**وقسم القراء أحوال الإسناد إلى أربعة:**

١. القراءة: إن كان الخلاف لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم واتفقت عليه الروايات والطرق عنه.

٢. الرواية: إن كان الخلاف للراوي عن أحد الأئمة السبعة أو العشرة.

٣. الطريق: إن كان الخلاف لمن بعد الراوي عن الأئمة السبعة أو العشرة.

٤. الوجه: إن كان الخلاف لمن بعد الراوي عن الأئمة السبعة أو العشرة مما هو راجع إلى تخيير القارئ فيه.

والقراءات: علم بكيفيات أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة والمقرئ العالم بها رواها مشافهة، فلو حفظ التيسير مثلاً ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلاً؛ لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة.

**ونعرض ما يتعلق بالقراءات والقراء في النقاط الآتية:**

## * أولاً: نشأة علم القراءات:

إن المعول عليه في القرآن الكريم إنما هو التلقي، والأخذ ثقة عن ثقة، وإماماً عن إمامٍ إلى النبي وإن المصاحف لم تكن ولن تكون هي العمدة في هذا الباب، إنّما هي مرجعٌ جامع للمسلمين على كتاب ربّهم، ولكن في حدود ما تدلّ عليه وتعينه دون ما لا تدلّ عليه ولا تعينه.

ومنشأ علم القراءات واختلافها، وإن كان الاختلاف يرجع في الواقع إلى أمور يسيرة بالنسبة إلى مواضع الاتفاق الكثيرة كما هو معلوم، لكنه على كلّ حال اختلاف في حدود السبعة أحرف التي نزل عليها القرآن كلّها من عند الله لا من عند الرسول ﷺ ولا أحد من القراء أو غيرهم.

ولما كان الاعتماد في نقل القرآن على الحفاظ أرسل عثمان رضي الله عنه مع كل مصحف من يوافق قراءته، وقرأ كلُّ مصر بما في مصحفهم، وتلقوا ما فيه من الصحابة رضي الله عنهم الذين تلقوه عن النَّبيّ ﷺ، ثم تجرد للأخذ عن هؤلاء قومٌ أسهروا ليلهم في ضبطها وأتعبوا نهارهم في نقلها حتى صاروا في ذلك أئمة للاقتداء وأنجماً للاهتداء، وأجمع أهل بلدهم على قبول قراءتهم ولم يختلف عليهم اثنان في صحّة روايتهم ودرايتهم، ولتصديهم للقراءة نُسبت إليهم، وكان المعوَّلُ فيها عليهم.

ثمّ إنّ القراءَ بعد هؤلاء كثروا، وفي البلاد انتشروا، وخلفهم أمم بعد أمم، وعرفت طبقاتهم واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن للتلاوة المشهورة بالرواية والدراية، ومنهم المحصل لوصف واحد ومنهم المحصل لأكثر من واحد، فكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقل منهم الائتلاف فقام عند ذلك جهابذة الأمة وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد بقدر الحاصل وميزوا بين الصحيح والباطل، وجمعوا الحروف

والقراءات وعزوا الأوجه والروايات وبيَّنوا الصَّحيح والشاذّ والكثير والفاذ بأصول أصّلوها وأركان فضلوها.

## * ثانياً: طبقات الحفاظ المقرئين الأوائل:

اشتهر في كلِّ طبقة من طبقات الأمة جماعةٌ بحفظ القرآن وإقرائه، فالمشتهرون من الصحابة بإقراء القرآن هم: عثمان وعليّ وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسىٰ الأشعري وسائر أولئك الذين أرسلهم عثمان بالمصاحف إلىٰ الآفاق الإسلامية.

والمشتهرون من التابعين: ابن المسيب وعروة وسالم وعمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار وأخوه عطاء وزيد بن أسلم ومسلم بن جندب وابن شهاب الزهري وعبد الرحمن بن هرمز ومعاذ بن الحارث، وكل هؤلاء كانوا بالمدينة.

وعطاء ومجاهد وطاوس وعكرمة وابن أبي مليكة وعبيد بن عمير وغيرهم، وهؤلاء كانوا بمكة.

وعامر بن عبد القيس وأبو العالية وأبو رجاء ونصر بن عاصم ويحيىٰ بن يعمر وجابر بن زيد والحسن وابن سيرين وقتادة وغيرهم، وهؤلاء كانوا بالبصرة.

وعلقمة والأسود ومسروق وعبيدة والربيع بن خيثم والحارث بن قيس وعمر ابن شرحبيل وعمرو بن ميمون وأبو عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش وعبيد بن نضلة وأبو زرعة بن عمرو وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي، وهؤلاء كانوا بالكوفة.

والمغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب مصحف عثمان وخليد بن سعيد صاحب أبي الدرداء وغيرهما، وهؤلاء كانوا بالشام.

ثم تفرغ قوم للقراءات يضبطونها ويعنون بها:

فكان بالمدينة أبو جعفر يزيد بن القعقاع ثم شيبة بن نصاح ثم نافع بن أبي نعيم.

وكان بمكة عبد الله بن كثير وحميد بن قيس الأعرج ومحمد بن محيصن.

وكان بالكوفة يحيىٰ بن وثاب وعاصم بن أبي النجود وسليمان الأعمش ثم حمزة ثم الكسائي.

وكان بالبصرة عبد الله بن أبي إسحاق وعيسىٰ بن عمرو وأبو عمرو بن العلاء وعاصم الجحدري ثم يعقوب الحضرمي.

وكان بالشام عبد الله بن عامر وعطية بن قيس الكلابي وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ثم يحيىٰ بن الحارث الذماري ثم شريح بن يزيد الحضرمي.

وقد لمع في سماء هؤلاء القراء نجوم عدة مهروا في القراءة والضبط، حتىٰ صاروا في هذا الباب أئمة يرحل إليهم ويؤخذ عنهم أعداد القراءات، ثم اشتهرت عبارات تحمل أعداد القراءات فقيل: القراءات السبع، والقراءات العشر، والقراءات الأربع عشرة، وحظىٰ الجميع بالشهرة ونباهة الشأن.

فالقراءات السبع، هي القراءات المنسوبة إلىٰ الأئمة السبعة المعروفين، وهم: نافع وعاصم وحمزة وعبد الله بن عامر وعبد الله بن كثير وأبو عمرو بن العلاء وعلي الكسائي.

والقراءات العشر: هي هذه السبع وزيادة قراءات هؤلاء الثلاثة أبي جعفر ويعقوب وخلف.

وكان أوَّل مَن صنَّف في القراءات أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام وأبي حاتم السجستاني وأبي جعفر الطبري وإسماعيل القاضي، وقد ذكروا في القراءات شيئاً كثيراً وعرضوا روايات تربو علىٰ أضعاف قراءة هؤلاء السبعة، ثم اشتهرت قراءات هؤلاء السبعة بعد ذلك علىٰ رأس المائتين في الأمصار.

فكان الناس في البصرة على قراءة أبي عمرو ويعقوب، وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم، وبالشام على قراءة ابن عامر، وبمكة على قراءة ابن كثير، وبالمدينة على قراءة نافع، ومكثت القراءات السبع على هذه الحال دون أن تأخذ مكانها من التدوين حتى خاتمة القرن الثالث؛ إذ نهض ببغداد ابن مجاهد، فجمع قراءات هؤلاء الأئمة السبعة غير أنه أثبت اسم الكسائي وحذف يعقوب، ذلك أنه أخذ على نفسه ألا يروي إلا عمن اشتهر بالضبط والأمان وطول العمر في ملازمة القراءة واتفاق الآراء على الأخذ عنه والتلقي منه، فلم يتم له ما أراده هذا إلا عن هؤلاء السبعة وحدهم.

وليس اقتصار ابن مجاهد على هؤلاء السبعة بحاصر للقراء فيهم، ولا بملزم أحدا أن يقف عند حدود قراءاتهم، بل كل قراءة توافرت فيها الأركان الثلاثة للضابط المشهور وجب قبولها، ومن هنا كانت القراءات العشر بزيادة قراءات يعقوب وأبي جعفر وخلف على قراءات أولئك السبعة.

وكانت القراءات الأربع عشرة بزيادة أربع على قراءات هؤلاء العشرة، وهي قراءات الحسن البصري وابن محيصن ويحيى اليزيدي والشنبوذي.

## * ثالثاً: ضابط قبول القراءات:

لعلماء القراءات ضابطٌ مشهورٌ يزنون به الروايات الواردة في القراءات، فيقول: كلُّ قراءة وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً ووافقت العربية ولو بوجه وصحّ إسنادها ولو كان عمن فوق العشرة من القراء فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها، ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن.

إنما اكتفى القراء في ضابط القراءة المشهورة بصحة الإسناد مع الركنين الآخرين ولم يشترطوا التواتر مع أنه لا بد منه في تحقق القرآنية لأسباب ثلاثة:

١ .أن هذا ضابط لا تعريف، والتواتر قد لوحظ في تعريف القرآن على أنه شطر أو شرط على الأقل ولم يلحظ في الضابط؛ لأنه يغتفر في الضوابط ما لا يغتفر في

التعاريف، فالضوابط ليست لبيان الماهية والحقيقة.

٢.التيسير على الطالب في تمييز القراءات المقبولة من غيرها، فإنه يسهل عليه بمجرد رعايته لهذا الضابط أن يميز القراءات المقبولة من غير المقبولة، أما إذا اشترط التواتر، فإنه يصعب عليه ذلك التمييز؛ لأنه يضطر في تحصيله إلى أن يصل إلى جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب في كل طبقة من طبقات الرواية، وهيهات أن يتيسر له ذلك.

٣.أن هذه الأركان الثلاثة تكاد تكون مساوية للتواتر في إفادة العلم القاطع بالقراءات المقبولة، بيان هذه المساواة أن ما بين دفتي المصحف متواتر، ومجمع عليه من الأمة في أفضل عهودها، وهو عهد الصحابة ﷺ فإذا صحّ سند القراءة ووافقت قواعد اللغة ثم جاءت موافقة لخط هذا المصحف المتواتر كانت هذه الموافقة قرينة على إفادة هذه الرواية للعلم القاطع وإن كانت آحاداً.

والتحقيق الذي يؤيده الدليل هو أنّ القراءات العشر كلّها متواترة، وهو رأي المحققين من الأصوليين والقراء كابن السبكي وابن الجزري والنويري وأبي شامة .

## * رابعاً: القراء العشرة:

١.ابن عامر، وهو عبد الله اليحصبي، أبو نعيم، وهو تابعي جليل لقي وائلة بن الأسقع والنعمان بن بشير، وقد أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي عن عثمان بن عفان عن رسول الله، (ت١١٨هـ) وقد اشتهر برواية قراءته هشام وابن ذكوان.

٢.ابن كثير، وهو عبد الله بن كثير الداري، أبو معبد، كان إمام الناس في القراءة بمكة لقي من الصحابة عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري وأنس بن مالك، وروي عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ، وقرأ على عبد الله بن السائب المخزومي، وقرأ عبد الله هذا على أبي بن كعب وعمر بن الخطاب، وكلاهما

قرأ على رسول الله ﷺ، (ت١٢٠هـ) بمكة المكرمة، وقد اشتهر بالرواية عنه، ولكن بواسطة أصحابه البزي وقنبل.

٣.عاصم، هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي، قرأ على زر بن حبيش على عبد الله بن مسعود على رسول الله ﷺ، وقرأ على أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي معلم الحسن والحسين، وقرأ عبد الرحمن هذا على عليّ ﷺ، وأخذ عليّ ﷺ قراءته عن رسول الله ﷺ، (ت ١٢٧هـ)، روى عنه شعبة وحفص كلاهما بدون واسطة.

٤. أبو عمرو، هو زبان بن العلا عمار البصري، روى عن مجاهد بن جبر وسعيد ابن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ، وأقرأ على جماعة منهم أبو جعفر وزيد بن القعقاع والحسن البصري، وقرأ الحسن على حطان وأبي العالية، وقرأ أبو العالية على عمر بن الخطاب ﷺ، (ت١٥٤هـ)، وممن اشتهر بالرواية عنه الدوري والسوسي ولكن بواسطة اليزيدي.

٥. حمزة، وهو أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي، مولى عكرمة بن ربيع التيمي، قرأ على أبي محمد سليمان بن مهران الأعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعليّ وابن مسعود ﷺ على النبي ﷺ، (ت١٥٦هـ)، وممن اشتهر بالرِّواية عنه خلف وخلاد، لكن بواسطة أبي عيس سليم بن عيسى الحنفي الكوفي، (ت١٨٨هـ).

٦. نافع، هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، أخذ القراءة عن أبي جعفر القاري وعن سبعين من التابعين، وهم أخذوا عن ابن عباس وأبي هريرة عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ، (ت ١٦٩هـ)، وممن اشتهر بالرواية عنه قالون وورش.

٧.الكسائي، وهو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي، لقب بالكسائي لأنه كان في الإحرام لابسا كساء، وكان أعلم الناس بالنحو وأوحدهم بالغريب وكان أوحد الناس بالقرآن فكانوا يكثرون عليه حتى يضطر أن يجلس على الكرسي ويتلو

القرآن من أوله إلىٰ آخره وهم يسمعون منه ويضبطون عنه، (ت ١٨٩هـ)، وقد اشتهر بالرواية عنه أبو الحارث والدوري.

٨.أبو جعفر، وهو يزيد بن القعقاع القاري، أخذ عن ابن عباس وأبي هريرة ﭭ عن أبي بن كعب ﭬ عن رسول الله ﷺ، (ت١٣٠هـ)، واشتهر بالرواية عنه أبو موسىٰ عيسىٰ بن وردان الحذاء وأبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز.

٩. يعقوب، وهو أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قرأ علىٰ أبي المنذر سلام بن سليمان الطويل، وقرأ سلام علىٰ عاصم وعلىٰ أبي عمرو، (ت٢٠٥هـ)، وممن اشتهر بالرواية عنه روح بن عبد المؤمن ومحمد بن المتوكل اللؤلؤي الملقب برويس.

١٠.خلف، وهو أبو محمد خلف بن هشام، قرأ علىٰ سليم عن حمزة وعلىٰ يعقوب بن خليفة الأعشىٰ وعلىٰ أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري وعلىٰ أبان العطار، وهم عن عاصم، (ت٢٢٩هـ)، وممن اشتهر بالرواية عنه أبو يعقوب إسحاق المروزي وإدريس الحداد، (ت٢٩٢هـ).

## * خامساً: كيفية الأخذ بالجمع في القراءات[1]:

إذا أراد الطالب معرفة تحقيق وتدقيق طريق الروايات فلا بد له من حفظ كتاب كامل، فيستحضر اختلاف القراء، ولا بُدّ مع ذلك من معرفة اصطلاح ذلك الكتاب ومعرفة طرقه، ثمّ يفرد القراءات التي يريد معرفتها بقراءة راو راو، وشيخ شيخ، وهكذا إلىٰ نهاية ما يريد معرفته من ذلك.

وقد كان السَّلف لا يجمعون رواية إلىٰ أخرىٰ، وإنما ظهر جمع القراءات في ختمة واحدة في أثناء المئة الخامسة، في عصر الداني، وابن شيطا، واستمر إلىٰ هذه الأزمان، واستقر عليه العمل عند أهل الإتقان لقصد سرعة التلقي، لكنه مشروط بإفراد القراءات، وإتقان الطرق والروايات علىٰ النحو الذي ذكرته.

(١) ينظر: الزيادة والإحسان٣: ٣٣٧.

# المبحث الثاني عشر
# في التفسير والمفسرين وما يتعلق بهما

## تمهيد:

**التفسير لغة**: الإيضاح والتبيين، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان:٣٣].

**واصطلاح**: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

وعلم التفسير: هو علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنده وأدائه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بالألفاظ والمتعلقة بالأحكام.

والمراد بكلمة نزوله: ما يشمل سبب النزول ومكانه وزمانه.

والمراد بكلمه سنده: ما يشمل كونه متواترا وآحادا أو شاذاً.

والمراد بكلمة أدائه: ما يشمل كل طرق الأداء كالمد والإدغام.

والمراد بكلمة ألفاظه: ما يتعلق باللفظ من ناحية كونه حقيقة أو مجازاً أو مشتركاً أو مرادفاً أو صحيحاً أو معتلاً أو معرباً أو مبنياً.

والمراد بمعانيه المتعلقة: بألفاظه ما يشبه الفصل الموصل.

والمراد بمعانيه المتعلقة بأحكامه: ما هو من قبيل العموم والخصوص والإحكام.

والتَّأويلُ مرادف للتَّفسير في أشهر معانيه اللغوية، فأوَّل الكلام تأويلاً وتأوله دبّره وقدره وفسره، ومنه قوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧].

أمَّا التَّأويل في اصطلاح المفسرين فإنه يختلف معناه، فبعضهم يرىٰ أنه مرادف للتفسير، وعلىٰ هذا فالنسبة بينهما التساوي، ويشيع هذا المعنىٰ عند المتقدمين.

وبعضهم يرىٰ أن التفسير يخالف التأويل بالعموم والخصوص فقط ويجعل التفسير أعم مطلقاً، وكأنه يريد من التأويل بيان مدلول اللفظ بغير المتبادر منه لدليل، ويريد من التفسير بيان مدلول اللفظ مطلقاً أعم من أن يكون بالمتبادر أو بغير المتبادر.

وبعضهم يرىٰ أن التفسير مباين للتأويل، فالتفسير هو القطع بأن مراد الله كذا، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع، أو التفسير بيان اللفظ عن طريق الرواية والتأويل بيان اللفظ عن طريق الدراية، أو التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة، وقد اشتهر هذا عند المتأخرين.

**ونعرض ما يتعلق بالتفسير والمفسرين في النقاط الآتية:**

## * أولاً: فضل التفسير والحاجة إليه:

نهضة الأفراد والأمم لا يمكن أن تكون صحيحة عن تجربة، ولا سهلة متيسرة ولا رائعة مدهشة إلا عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن، ونظمه الحكيمة التي روعيت فيها جميع عناصر السعادة للنوع البشري علىٰ ما أحاط به علم خالقه الحكيم.

وبدهي أن العمل بهذه التعاليم لا يكون إلا بعد فهم القرآن وتدبره والوقوف علىٰ ما حوىٰ من نصح ورشد، والإلمام بمبادئه عن طريق تلك القوة الهائلة التي يحملها أسلوبه البارع المعجز، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الكشف والبيان لما تدل عليه ألفاظ القرآن، وهو ما نسميه بعلم التفسير خصوصاً.

فالتفسير هو مفتاح هذه الكنوز والذخائر التي احتواها هذا الكتاب المجيد النازل لإصلاح البشر، وإنقاذ الناس وإعزاز العالم، وبدون التفسير لا يمكن الوصول إلى هذه الكنوز والذخائر مهما بالغ الناس في ترديد ألفاظ القرآن.

ففائدة التفسير هي التذكر والاعتبار ومعرفة هداية الله في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق؛ ليفوز الأفراد والمجاميع بخير العاجلة والآجلة.

## * ثانياً: أقسام التفسير:

ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن التفسير أربعة: حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تفسره العرب بألسنتها، وتفسير تفسره العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله».

**ويقسم التفسير إلى ثلاثة أقسام:**

**الأول: تفسير بالرواية، ويسمى التفسير بالمأثور:**

وهو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة رضي الله عنهم بياناً لمراد الله تعالى من كتابه مثال ما جاء في القرآن قوله سبحانه: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة:١٨٧]، فإن كلمة من الفجر بيان وشرح للمراد من كلمة الخيط الأبيض التي قبلها.

ومثال ما جاء في السنة شرحاً للقرآن أنه فسّر الظلم بالشرك في قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢] وأيد تفسيره هذا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣].

وكلا هذين القسمين لا شك في قبوله أما الأوّل فلأن الله تعالى أعلم بمراد نفسه من غيره، وأصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأمّا الثّاني فلأن خير الهدي هدي سيدنا محمد ﷺ ووظيفته البيان والشرح مع أنا نقطع بعصمته وتوفيقه قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

وتفسير الصحابة قال الحاكم: «إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع» كذلك أطلق الحاكم وقيده بعضهم بما كان في بيان النزول ونحوه مما لا مجال للرأي فيه وإلا فهو من الموقوف

وهذا لأن الصحابة ﷺ قد شاهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا وعاينوا من أسباب النزول ما يكشف لهم النقاب عن معاني الكتاب، ولهم من سلامة فطرتهم وصفاء نفوسهم، وعلو كعبهم في الفصاحة والبيان ما يمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله ﷻ، وما يجعلهم يوقنون بمراده من تنزيله وهداه.

واشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير.

وأكثر الصحابة ﷺ تفسيراً ابنُ عبَّاس ﷺ؛ لأنه ترجمان القرآن، ولتأخر الزمان به حتى اشتدت حاجة الناس إلى الأخذ عنه بعد اتساع الإسلام واستبحار العمران، ولانقطاعه وتفرغه للنشر والدعوة والتعليم دون أن تشغله خلافة أو تصرفه سياسة وتدبير لشؤون الرعية غير أن الرواية عنه مختلفة الدرجات.

وما يُنقل عن التَّابعين ففيه خلاف العلماء منهم مَن اعتبره من المأثور؛ لأنهم تلقوه من الصحابة ﷺ غالباً ومنهم مَن قال: إنه من التفسير بالرأي.

**والتابعون ثلاث طبقات:**

أ. طبقة أهل مكة فقد كانوا أعلم الناس بالتفسير؛ لأنهم أصحاب ابن عباس ﷺ كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس.

ب. طبقة أهل المدينة، منهم زيد بن أسلم وأبو العالية ومحمد بن كعب القرظي.

ج. طبقة أهل العراق، منهم مسروق بن الأجدع وقتادة بن دعامة وأبو سعيد الحسن البصري وعطاء بن أبي مسلم الخراساني ومرة الهمذاني الكوفي.

هؤلاء هم أعلام المفسرين من التابعين استمدوا آراءهم وعلومهم مما تلقوه من الصحابة رضي الله عنهم، وعنهم أخذ تابعو التابعين وهكذا حتى وصل إلينا دين الله وكتابه وعلومه ومعارفه سليمة كاملة عن طريق التلقي والتلقين، جيلاً عن جيل، مصداقاً؛ لقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ [الحجر:٩]، ولقوله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[1].

**ومن كتب التفسير بالمأثور:**

جاء قرن تابعي التابعين وفيه ألفت تفاسير كثيرة جمعت من أقوال الصحابة والتابعين كتفسير سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج ويزيد بن هارون وعبد الرزاق وآدم بن أبي إياس وإسحاق بن راهوية وروح بن عبادة وعبد بن حميد وأبي بكر بن أبي شيبة وعلي بن أبي طلحة والبخاري وآخرين، ومن بعدهم ألف ابن جرير الطبري، ثم ابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه وابن حبان وغيرهم، وليس في تفاسير هؤلاء إلا ما هو مسند إلى الصحابة والتابعين وتابعيهم ما عدا ابن جرير، فإنه تعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض وذكر الإعراب والاستنباط.

أ. «تفسير ابن جرير»؛ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت٣١٠هـ)، كان تفسيره من أجل التفاسير بالمأثور وأصحها وأجمعها لما ورد عن الصحابة والتابعين، عرض فيه لتوجيه الأقوال ورجح بعضها على بعض، وذكر فيه كثيراً من الإعراب واستنباط الأحكام، وقد شهد العارفون بأنه لا نظير له في التفاسير، قال النووي: «لم يصنف أحد مثله»، وهو عمدة لأكثر المفسرين.

ب. «تفسير أبي الليث السمرقندي» (ت٣٧٥هـ)، وهو تفسير بالمأثور يذكر فيه كثيراً من أقوال الصحابة والتابعين غير أنه لا يذكر الأسانيد.

---

(١) في شرح معاني الآثار١٠: ١٧، ومسند الشامين١: ٣٤٤، ومسند البزار١٦: ٢٤٦.

ج.«الدر المنثور في التفسير بالمأثور»؛ لجلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، لخصه من كتب ترجمان القرآن، وهو التفسير المسند إلى رسول الله ﷺ.

د.«تفسير ابن كثير»؛ لعماد الدين إسماعيل القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، وهو من أصح التفاسير بالمأثور نقل فيه عن النبي وكبار الصحابة والتابعين.

هـ.«معالم التنزيل» للحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، وهو كتاب متوسط نقل فيه عن مفسري الصحابة والتابعين، ومن بعدهم[1].

و.«التفسير الكبير» لبقي بن مخلد بن يزيد الأندلسي القرطبي، (ت٢٧٦هـ)، قال ابن حزم: «أقطع أنه لم يؤلف في الإسلام مثل تفسيره لا تفسير ابن جرير ولا غيره»

ز.«أسباب النزول» لعلي بن أحمد الواحدي(ت٤٦٨هـ)، اقتصر في تفسيره على بيان أسباب النزول بالمأثور، وهذا نوع من التفسير لا مجال للتأويل فيه، وهو من أعظم ما ألف في موضوعه على رغم توسط حجمه.

ح.«الناسخ والمنسوخ» لأبي جعفر النحاس، (ت٣٣٨هـ)، هو كتابٌ نفيسٌ تحدَّث فيه مؤلفه عن الناسخ، وذكر أقوال العلماء في ذلك مسندةً، وقد استوعب ما قيل في النسخ ولو لم يكن عنده صحيحا، وهذا نوع لا مجال للرأي فيه أيضاً، بل سبيله الوحيدة هي الرواية وهو معدود هنا من التفسير بالمأثور على ضرب التوسع كما لا يخفى.

**الثاني: وتفسير بالدراية، ويسمى التفسير بالرأي:**

فكل بارع في فن يقتصر غالباً في تفسيره على الفن الذي برع فيه، فالمبرز في العلوم العقلية كالفخر الرازي أغرم باستعراض أقوال الحكماء والفلاسفة وشبههم والرد عليها في تفسيره، والمبرز في الفقه كالقرطبي أولع بتقرير الأدلة للفروع الفقهية والرد

---

(١) ينظر: كشف الظنون٢: ١٧٢٦.

على المخالفين، والمبرز في النحو كالزجاج والواحدي في البسيط وأبي حيان في البحر يهتم أعظم الاهتمام بالإعراب ووجوهه ونقل قواعد النحو وفرعها.

والمراد بالرأي هنا الاجتهاد، فإن كان الاجتهاد موفقاً: أي مستنداً إلى ما يجب الاستناد إليه، بعيداً عن الجهالة والضلالة، فالتفسيرُ به محمودٌ، وإلا فمذموم، والأمور التي يجب استناد الرأي إليها في التفسير أربعة:

١. النقل عن رسول الله مع التحرز عن الضعيف والموضوع.

٢. الأخذ بقول الصحابي رضي الله عنه.

٣. الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلا ما لا يدلّ عليه الكثير من كلام العرب.

٤. الأخذ بما يقتضيه الكلام، ويدل عليه قانون الشرع، وهذا النوع هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما في قوله: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[1]، فمَن فسَّر القرآن برأيه أي باجتهاده ملتزماً الوقوف عند هذه المآخذ، معتمداً عليها فيما يرى من معاني كتاب الله، كان تفسيره سائغاً جائزاً محموداً، ومَن حاد عن هذه الأصول، وفسَّر القرآن غير معتمد عليها كان تفسيره ساقطاً مرذولاً خليقاً بأن يُسمى التَّفسير غير الجائز أو المذموم.

فالتفسير بالرأي الجائز يجب أن يلاحظ فيه الاعتماد على ما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم مما ينير السبيل للمفسر برأيه، وأن يكون صاحبه عارفاً بقوانين اللغة خبيراً بأساليبها، وأن يكون بصيراً بقانون الشريعة حتى ينزل كلام الله على المعروف من تشريعه.

أما الأمور التي يجب البعد عنها في التفسير بالرأي، فمن أهمها التهجم على تبيين مراد الله من كلامه على جهالة بقوانين اللغة أو الشريعة أو حمل كلام الله عز وجل على

(١) في صحيح البخاري١: ٤١، وصحيح ابن حبان١٥: ٥٣١.

المذاهب الفاسدة أو الخوض فيما استأثر الله بعلمه أو القطع بأن مراد الله كذا من غير دليل أو السير مع الهوىٰ.

**والعلوم التي يحتاجها المفسر:**

هي اللغة، والنحو، والصرف، وعلوم البلاغة، وعلم أصول الفقه، وعلم الفقه، وعلم التوحيد، وعلم التزكية «التصوف»، ومعرفة أسباب النزول، والقصص، والناسخ والمنسوخ، والأحاديث المبينة للمجمل والمبهم، وعلم الموهبة: وهو علم يورثه الله تعالىٰ لمن عمل بما علم ولا يناله من في قلبه بدعة أو كبر أو حب دنيا أو ميل إلىٰ المعاصي، قال تعالىٰ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[الأعراف:١٤٦]،وهذه العلوم كلّها إنّما هي لتحقيق أعلىٰ مراتب التفسير.

أمّا المعاني العامة التي يستشعر منها المرء عظمة مولاه، والتي يفهمها الإنسان عند إطلاق اللفظ الكريم، فهي قدر يكاد يكون مشتركاً بين عامة الناس، وهو المأمور به للتدبر والتذكر؛ لأنه سبحانه سهله ويسره، وذلك أدنىٰ مراتب التفسير.

**واستدل على جواز التفسير بالرأي بأدلة عديدة منها:**

١ .أن الله تعالىٰ يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد:٢٤]، ويقول ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص:٢٩] ويقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء:٨٣]، وجه الاستدلال: أنّ الله تعالىٰ حثّ علىٰ تدبر القرآن والاعتبار بآياته والاتعاظ بمواعظه، وهذا يدلّ علىٰ أن أولي الألباب بما لهم من العقل السليم، واللب الصافي، عليهم أن يتأولوا ما لم يستأثر الله بعلمه، إذا التدبر والاتعاظ فرع الفهم والتفقه

في كتاب الله، والآية الكريمة تدل على أن في القرآن ما يستنبطه: أي يستخرجه أولو الألباب والفهم الثاقب.

٢. أنّ الرسول ﷺ قال في دعائه لابن عباس رضي الله عنهما: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، فلو كان التأويل مقصوراً على السَّماع والنقل للفظ التنزيل لما كان هناك فائدة لتخصيصه، فدل على أن التأويل خلاف النقل، وإذن فهو التفسير بالاجتهاد والرأي.

٣.لو كان التفسير بالرأي غير جائز لتعطل كثير من الأحكام، واللازم باطل، ووجه الملازمة: أنّ النَّبي ﷺ لم يذكر تفسير كلّ آية، والمجتهد مأجورٌ وإن أخطأ ما دام أنه قد استفرغ وسعه، ولم يهمل الوسائل الواجبة في الاجتهاد، وكان غرضه الوصول إلى الحقّ والصّواب.

**ومنهج المفسرين بالرأي:**

١ .أن يطلب المعنى من القرآن، فإن لم يجده طلبه من السنة؛ لأنها شارحة للقرآن، فإن أعياه الطلب رجع إلى قول الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم أدرى بالتنزيل وظروفه وأسباب نزوله شاهدوه حين نزل فوق ما امتازوا به من علم وعمل وخير ما فسرته بالوارد.

٢ .إن لم يظفر بالمعنى في الكتاب والسنة ومأثورات الصحابة وجب عليه أن يجتهد وسعه متبعاً ما يأتي:

أ.البدء بما يتعلق بالألفاظ المفردة من اللغة والصرف والاشتقاق ملاحظا المعاني التي كانت مستعملة زمن نزول القرآن الكريم.

ب.إرداف ذلك بالكلام على التراكيب من جهة الإعراب والبلاغة على أن يتذوق ذلك بحاسته البيانية.

ح.تقديم المعنى الحقيقي على المجازي، بحيث لا يصار إلى المجاز، إلا إذا تعذرت الحقيقة.

د. ملاحظة سبب النزول، فإن لسبب النزول مدخلاً كبيراً في بيان المعنى المراد، كما سبق تحقيقه في مبحث أسباب النزول.

هـ.مراعاة التناسب بين السابق واللاحق بين فقرات الآية الواحدة وبين الآيات بعضها وبعض.

و.مراعاة المقصود من سياق الكلام، مطابقة التفسير للمفسر من غير نقص ولا زيادة.

ز. مطابقة التفسير لما هو معروف من علوم الكون وسنن الاجتماع وتاريخ البشر العام وتاريخ العرب الخاص أيام نزول القرآن، ومطابقة التفسير لما كان عليه النبي ﷺ في هديه وسيرته؛ لأنه هو الشارح المعصوم للقرآن بسنته الجامعة لأقواله وأفعاله وشمائله وتقريراته.

ح.ختام الأمر ببيان المعنى والأحكام المستنبطة منه في حدود قوانين اللغة والشريعة والعلوم الكونية.

ط.رعاية قانون الترجيح عند الاحتمال.

**وكيفية الترجيح بين المأثور والرأي:**

ينبغي أن يعلم أن التعارض بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود، معناه التنافي بينهما بأن يدلّ أحدهما على إثبات والآخر على نفي، كأن كلاً من المتنافيين وقف في عرض الطريق فمنع الآخر من السير فيه.

وأما إذا لم يكن هناك تناف فلا تعارض وإن تغايرا كتفسيرهم الصراط المستقيم بالقرآن أو بالسنة أو بطريق العبودية أو طاعة الله ورسوله، فهذه المعاني غير متنافية وإن تغايرت.

إذا تقرر هذا فإن التفسير بالمأثور الثابت بالنص القطعي لا يمكن أن يعارض بالتفسير بالرأي؛ لأن الرأي إما ظني وإما قطعي: أي مستند إلىٰ دليل قطعي من عقل أو نقل، فإن كان قطعياً فلا تعارض بين قطعيين، بل يؤول المأثور؛ ليرجع إلىٰ الرأي المستند إلىٰ القطعي إن أمكن تأويله جمعاً بين الدليلين، وإن لم يمكن تأويله حمل اللفظ الكريم علىٰ ما يقتضيه الرأي والاجتهاد، تقديماً للأرجح علىٰ المرجوح.

أمّا إذا كان الرأي ظنياً بأن خلا من الدليل القاطع واستند إلىٰ الأمارات والقرائن الظاهرة فقط، فإن المأثور القطعي يُقدَّم علىٰ الرأي الظني ضرورة أن اليقين أقوىٰ من الظن، هذا كله فيما إذا كان المأثور قطعياً.

أما إذا كان المأثور غير قطعي في دلالته لكونه ليس نصاً أو لكونه خبر آحاد، ثم عارضه التفسير بالرّأي فلا يخلو الحال، إما أن يكون ما حصل فيه التعارض مما لا مجال للرأي فيه، وحينئذٍ فالمعول عليه المأثور فقط، ولا يقبل الرأي، وإن كان للرأي فيه مجال، فإن أمكن الجمع فبها ونعمت، وإن لم يكن قدم المأثور عن النبي ﷺ أو عن الصحابة ﷺ؛ لأنهم شاهدوا الوحي وبعيد عليهم أن يتكلموا في القرآن بمجرد الهوىٰ والشهوة.

أما المأثورعن التابعين فإذا كان منقولاً عن أهل الكتاب قُدِّم التفسير بالرأي عليه، وأما إذا لم يُنقل عنهم رجعنا به إلىٰ السمع فما أيده السّمع حمل النظم الكريم عليه، فإن لم يترجح أحدهما بسمع ولا بغيره من المرجحات، فإننا لا نقطع بأن أحدهما هو المراد، بل ننزل اللفظ الكريم منزلة المجمل قبل تفصيله والمشتبه أو المبهم قبل بيانه.

**ومن كتب التفسير بالرأي:**

أ. «تفسير الجلالين»؛ لجلال الدين محمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، وهو من أعظم التفاسير انتشاراً ونفعاً، وإن كان من أصغرها شرحاً وحجماً، تداولته طبقات مختلفة من أهل العلم وغيرهم عليها حاشية الصاوي وحاشية الجمل.

ب.«أنوار التنزيل وأسرار التأويل»؛ لناصر الدين بن سعيد البيضاوي، وهو كتاب جليل، دقيق جمع بين التفسير والتأويل على قانون اللغة العربية، وقرر الأدلة على أصول أهل السنة، وقد التزم أن يختم كل سورة بما يروى في فضلها من الأحاديث غير أنه لم يتحرّ فيها الصحيح وأحسن حواشيه المتداولة، حاشية الشهاب الخفاجي، وإن كان له حواش أخرى كثيرة منها: حاشية سعدي أفندي، وحاشية الروشني، وحاشية الششتري، وحاشية الشيرواني.

ج.«مفاتيح الغيب» لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، استبسل فيه في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، وشن حربا شعواء في كل مناسبة على أهل الزيغ والانحراف في العقيدة، وسلك مسلك الحكماء الإلهيين فصاغ أدلته في مباحث الإلهيات على نمط استدلالاتهم العقلية، ولكن مع تهذيبها بما يوافق أصول أهل السنة، وكذلك تعرض لشبههم بالنقض والتفنيد في كثير من المواضع، كما أنه سلك طريقة الطبيعيين في الكونيات فتكلم في الأفلاك والأبراج وفي السماء والأرض وفي الحيوان والنبات وفي أجزاء الإنسان وغير ذلك مما جر إليه الاستدلال على وجود الله ﷻ .

د.«إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم»؛ لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، وهو تفسير رائع ممتاز، يستهويك حسن تعبيره، ويروقك سلامة تفكيره، ويروعك ما أخذ نفسه به من تجلية بلاغة القرآن، والعناية بهذه الناحية المهمة في بيان إعجازه مع سلامة في الذوق، وتوفيق في التطبيق، ومحافظة على عقائد أهل السنة وبعد عن الحشو والتطويل.

هـ.«غرائب القرآن ورغائب الفرقان»؛ لنظام الدين الحسن محمد النيسابوري، ويمتاز بسهولة عبارته، وبتحقيق ما يحتاج إلى تحقيق مع قصد ، وخلو من الحشو، وقد عني بأمرين يلتزمهما الكلام على القراءات والأوقف في أول كلّ مرحلة من مراحل التفسير، والكلام على التأويل الإشاري في آخر كلّ مرحلة من تلك المراحل، وهو مختصر لتفسير الفخر الرازي مع تهذيب كبير.

و.«السراج المنير في الإعانة على معرفة كلام ربنا الخبير» لمحمد الشربيني الخطيب، وهو كتاب عظيم يعنى بثلاثة أشياء: تقرير الأدلة وتوجيهها، والكلام على المناسبات بين السور والآيات، وسرد كثير من القصص والروايات.

ز.«مدارك التنزيل وحقائق التأويل»؛ لأبي البركات عبد الله النسفي الحنفي، (ت٧٠١هـ)، وهو كتاب جليل متداول، مشهور سهل ودقيق، وسط في التأويلات، جامع لوجوه الإعراب والقراءات، متضمن لدقائق علم البديع والإشارات، مرشح لأقاويل أهل السنة والجماعة، خال من أباطيل أهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل.

ح.«تفسير الخازن» لعلاء الدين علي بن محمد البغدادي، مشهور يعنى بالمأثور بيد أنه لا يذكر السند، وله ولوع بالتوسع في الروايات والقصص، ومن مزاياه أن يتبع القصة ببيان ما فيها من باطل حتى لا ينخدع بها غرّ ولا يُفتن جاهل.

ط.«الكشاف»؛ لجار الله محمود بن عمر الزمخشري الحنفي المعتزلي، (ت٥٣٨هـ) وهو من خير الكتب التي يرجع إليها في التفسير من ناحية البلاغة، رغم نزعته الاعتزالية، وأغلب التفاسير من بعده أخذت منه، واعتمدت عليه، ويمتاز بخلوه من الحشو والتطويل وسلامته من القصص والإسرائيليات واعتماده في بيان المعاني على لغة العرب، وأساليبهم وعنايته بعلمي المعاني والبيان والنكات البلاغية تحقيقاً لوجوه الإعجاز، وعليه حواش كثيرة منها حاشية ابن كمال باشا زادة، وحاشية علاء الدين المعروف بالبهلوان، وحاشية الشيخ حيدر، وحاشية الرهاوي.

**الثالث: تفسير بالإشارة، ويسمى التفسير الإشاري:**

والإشاريون وأرباب التصوف تهمهم ناحية الترغيب والترهيب والزهد والقناعة والرضا، فيفسرون القرآن بما يوافق مشاربهم وأذواقهم وعلى الإجمال نرى كلّ نابغة في فنّ أو داعية إلى مذهب أو فكرة يجتهد في تفسير الآيات بما يوافق فنه ويلائم مشربه ويناصر مذهبه، ولو كان بعيداً كل البعد عن المقصد الذي نزل من أجله القرآن.

والتفسير الإشاري: هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضاً، وقد اختلف العلماء في التفسير المذكور فمنهم مَن أجازه، ومنهم مَن منعه.

قال التفتازاني: «وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أنّ النصوص على ظواهرها، ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان»

ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري، وبين تفسير الباطنية الملاحدة، فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضون عليه، ويقولون لا بد منه أولاً؛ إذ مَن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر، وأما الباطنية فإنهم يقولون: إن الظاهر غير مراد أصلاً، وإنما المراد الباطن، وقصدهم نفي الشريعة.

ونقل السيوطي[1]: «عن ابن عطاء الله: اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه، ما جاءت الآية له ودلّت عليه في عرف اللسان، ولهم أفهام باطنة، تُفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه، وقد جاء في الحديث: «لكل آية ظهر وبطن»[2]، فلا يصدنّك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله ﷺ، فليس ذلك بإحالة، وإنما يكون إحالة لو قالوا: لا معنى للآية إلا هذا وهم يقولون ذلك، بل يقررون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما ألهمهم».

---

(١) في الاتقان في علوم القرآن٤: ٢٢٧.

(٢) فعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن» في صحيح ابن حبان١: ٢٧٦، وشرح مشكل الآثار٨: ٨٧، والمعجم الأوسط١: ٢٣٥.

**وشروط قبول التفسير الإشاري:**

١ .ألا يتنافىٰ مع ما يظهر من معنىٰ النظم الكريم.

٢ .ألا يدعىٰ أنه المراد وحده دون الظاهر.

٣.ألا يكون تأويلاً بعيداً سخيفاً: كتفسير بعضهم قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩] بجعل كلمة لمع ماضياً، وكلمة المحسنين مفعوله.

٤ . ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

٥ .أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.

**ومن كتب التفسير الإشاري:**

أ.«تفسير النيسابوري»، فقد تقدم الكلام عليه، وبقي أن نذكر أنه بعد أن يوفي الكلام علىٰ ظاهر معنىٰ الآية أو الآيات يقول قال أهل الإشارة أو يقول التأويل، ثم يسوق المعنىٰ الإشاري لتلك الآية أو الآيات تحت هذا العنوان، مثال ذلك أنه قال بعد التفسير الظاهر لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة:٦٧]الآيات قال: «التأويل ذبح البقرة إشارة إلىٰ ذبح النفس البهيمية، فإن في ذبحها حياة القلب الروحاني، وهو الجهاد الأكبر، موتوا قبل أن تموتوا، اقتلوني يا ثقاتي... إن في قتلي حياتي، وحياتي في مماتي... ومماتي في حياتي...» .

ب.«روح المعاني» لشهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي الحنفي، مفتي (ت١٢٧٠هـ)، وهذا التفسير من أجلِّ التفاسير وأوسعها وأجمعها نظم فيه روايات السلف بجانب آراء الخلف المقبولة، وألف فيه بين ما يفهم بطريق العبارة وما يفهم بطريق الإشارة.

ومما قاله في التفسير الإشاري بعد أن فسَّر قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥﴾ [البقرة:٥٥]،قال: «ومن مقام

الإشارة في الآيات ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ﴾[البقرة:٥٥] القلب لن نؤمن الإيمان الحقيقي حتى نصل إلى مقام المشاهدة والعيان، ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾[البقرة:٥٥] الموت الذي هو الفناء في التجلي الذاتي وأنتم تراقبون أو تشاهدون ثم بعثناكم بالحياة الحقيقة والبقاء بعد الفناء لكي تشكروا نعمة التوحيد والوصول بالسلوك في الله ﷻ...».

ج.«تفسير التستري»؛ لسهل بن عبد الله التستري (ت٣٨٣هـ)، وتفسيره لم يستوعب كل الآيات، وإن استوعب السور، وقد سلك في مسلك الصوفية مع موافقته لأهل الظاهر، وإليك نموذجاً منه إذ يقول في تفسير البسملة: «الباء بهاء الله ﷻ، والسين سناء الله ﷻ، والميم مجد الله ﷻ، والله هو الاسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلها، وبين الألف واللام منه حرف مكنى غيب إلى غيب، وسر من سر إلى سر، وحقيقة من حقيقة إلى حقيقة لا ينال فهمه إلا الطاهر من الأدناس، الآخذ من الحلال».

د.«تفسير ابن عربي» لمحيي الدين بن عربي الصوفي الفقيه المحدث، (ت٦٣٨هـ)، ومن تفسيره الإشاري لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾ [البقرة:٦٧]، قال: «إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة هي النفس الحيوانية، وذبحها قمع هواها الذي هو حياتها، ومنبعها من الأفعال الخاصة بها بشفرة سكين الرياضة».

هـ. «لطائف الإشارات» لعبد الكريم بن هوازن القشيري، (ت٤٦٥هـ)، ويمتاز هذا التفسير بأنه تفسير إشاري كامل للقرآن الكريم، وأن صاحبه سار على خطة واضحة بينها في مطلع كتابه، وهي خطة تتمشى مع شروط التفسير الإشاري، وأحياناً كثيرة مع التفسير الظاهري نفسه. قال في قوله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة:١٣١]، «الإسلام هو الإخلاص، وهو الاستسلام، وحقيقته الخروج عن أحوال البشرية بالكلية من منازعات الاختيار ومعارضات النفس، قالَ: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة:١٣١]: قابلت الأمر بالسمع والطاعة، واعتنقت الحكم على حسب الاستطاعة، ولم يدخر شيئاً من ماله وبدنه وولده، وحين أمر بذبح

الولد قصد الذبح، وحين قال له خله من الأسر عمل ما أمر به، فلم يكن له في الحالين اختيار ولا تدبير»[١].

ولا تحسبن أننا أحطنا بما كتب من تفاسير القرآن، ولا تحسبن أن ما كُتب من جميع التفاسير قد أحاط بكل ما أودعه الله القرآن من أحكام وحكم ومعارف وأسرار، بل إن ما ذكرناه هنا من التفسير قل من كثر، ثم إن ما حوته تلك الموسوعات التفسيرية على كثرتها لم تأخذ من القرآن إلا كما يأخذ المخيط إذا أدخل البحر.

ويروقني ما قاله بعض الأعلام حين سئل ما خير تفسير للقرآن فأجاب الدهر يعني أن العلوم والمعارف والأفكار والحوادث والتجارب التي تجد في الزمن عوامل مهمة في شرح القرآن، وكل حقبة من سلسلة هذه الأزمان الطويلة تكشف عن بعض مخبوءات أسراره التي لم تكن معروفة من قبل.

وإن كنت في شكّ فهاك دور الكتب ومكتبات العالم، فإنها لا تزال على كثرة ما ضاع واندثر زاخرة بأمواج كالجبال من التفاسير مما لا يمكن أن يحيط به إلا العليم الخبير، وإنه ليعييك استقصاء أسمائها فضلاً عن استقراء مسمياتها، وإنّك لتجد فيها فنوناً وألواناً وشؤوناً مما فتح الله على العلماء في بيان كتابه.

منها تفاسير بالمأثور، وتفاسير بالرأي، ومنها تفاسير ظواهر العبارة، وتفاسير غوامض الإشارة، ومنها تفاسير يغلب عليها صنعة الكلام، وأخرى يغلب عليها صنعة البلاغة، وثالثة يغلب عليها النحو والإعراب، ورابعة يغلب عليها تفاريع الأحكام، وخامسة يغلب عليها علوم الكون إلى غير ذلك، ومنها تفاسير كل القرآن وتفاسير جزء منه أو سورة أو آية.

* * *

---

(١) ينظر: علوم القرآن لنور الدين عتر ص١٠١.

# المبحث الثالث عشر
# في ترجمة القرآن وحكمها تفصيلا

## تمهيد:

الترجمة لغة: نقل الكلام من لغة إلى أخرى.

**ونعرض ما يتعلق بترجمة القرآن في النقاط الآتية:**

## * أولاً: أنواع الترجمة:

١. **الترجمة الحرفية**: هي التي تراعى فيها محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه، فهي تشبه وضع المرادف مكان مرادفه، وبعض الناس يُسمي هذه الترجمة لفظية.

٢. **الترجمة التفسيرية**: هي التي لا تراعى فيها تلك المحاكاة أي محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه، بل المهم فيها حسن تصوير المعاني والأغراض كاملة.

ولنضرب مثالاً للترجمة بنوعيها على فرض إمكانها في آية من الكتاب الكريم قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء:٢٩]، فإنك إذا أردت ترجمتها ترجمة حرفية أتيت بكلام من لغة الترجمة يدلّ على النهي عن ربط اليد في العنق، وعن مدها غاية المد مع رعاية ترتيب الأصل ونظامه، بأن تأتي بأداة النهي أولا يليها الفعل المنهي عنه، ولكن هذا التعبير الجديد قد يخرج في أسلوب غير معروف ولا مألوف في تفهيم المترجم لهم ما يرمي إليه الأصل من النهي عن التقتير والتبذير، بل قد يستنكر المترجم لهم هذا الوضع.

أما إذا أردت ترجمة هذا النظم الكريم ترجمة تفسيرية، فإنك بعد أن تفهم المراد وهو النهي عن التقتير والتبذير في أبشع صورة منفرة منها تعمد إلى هذه الترجمة، فتأتي منها بعبارة تدل على هذا النهي المراد في أسلوب يترك في نفس المترجم لهم أكبر الأثر في استبشاع التقتير والتبذير، ولا عليك من عدم رعاية الأصل في نظمه وترتيبه اللفظي.

وهذا النوعان يمنعان في الترجمة للقرآن لما يأتي، ولا فرق بين الحرفية والتفسيرية إلا شكلي بمراعاة ترتيب الأصل ونظامه في الأولى دون الثانية.

٣. **الترجمة لتفسير القرآن**: هي تفسير معاني القرآن إلى لغات أخرى، فلما كانت في الحقيقة تفسيراً للقرآن، فكما يفسر باللغة العربية، يمكن تفسيره بلغة آخرى.

ولا بد لتحقيق معنى الترجمة من أمور أربعة:

١.معرفة المترجم لأوضاع اللغتين لغة الأصل ولغة الترجمة.

٢. معرفته لأساليبهما وخصائصهما.

٣.وفاء الترجمة بجميع معاني الأصل ومقاصده على وجه مطمئن.

٤. أن تكون صيغة الترجمة مستقلة عن الأصل، بحيث يمكن أن يستغني بها عنه.

## * ثانياً: فوائد الترجمة لتفسير القرآن:

١.رفع النقاب عن جمال القرآن ومحاسنه لمن لم يستطع أن يراها بمنظار اللغة العربية من المسلمين الأعاجم وتيسير فهمه عليهم بهذا النوع من الترجمة؛ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، ويعظم تقديرهم للقرآن ويشتد شوقهم إليه، فيهتدوا بهديه، ويغترفوا من بحره، ويستمتعوا بما حواه من نبل في المقاصد، وقوة في الدلائل وسمو في التعاليم، ووضوح وعمق في العقائد، وطهر ورشد في العبادات، ودفع قوى إلى مكارم الأخلاق.

٢.دفع الشبهات التي لفقها أعداء الإسلام، وألصقوها بالقرآن وتفسيره كذباً وافتراء، ثم ضللوا بها هؤلاء المسلمين الذين لا يحذقون اللسان العربي في شكل ترجمات مزعومة للقرآن أو مؤلفات علمية وتاريخية للطلاب أو دوائر معارف للقراء أو دروس ومحاضرات للجمهور أو صحف ومجلات للعامة والخاصة.

٣.تنوير غير المسلمين من الأجانب في حقائق الإسلام وتعاليمه خصوصاً في هذا العصر القائم على الدعايات، وبين نيران هذه الحروب التي أوقدها أهل الملل والنحل الأخرى، حتى ضل الحق أو كاد يضل في سواد الباطل، وخفت صوت الإسلام أو كاد يخفت بين ضجيج غيره من المذاهب المتطرفة والأديان المنحرفة.

٤.إزالة الحواجز والعواثير التي أقامها الخبثاء الماكرون للحيلولة بين الإسلام وعشاق الحق من الأمم الأجنبية، وهذه الحواجز والعواثير ترتكز في الغالب على أكاذيب افتروها تارة على الإسلام، وتارة أخرى على نبي الإسلام، وكثيراً ما ينسبون هذه الأكاذيب إلى القرآن وتفاسيره، وإلى تاريخ الرسول ﷺ وسيرته، ثم يدسونها فيما يزعمونه ترجمات للقرآن، وفيها يقرأ الناس ويسمعون بالوسائل الأخرى.

٥.براءة ذمتنا من واجب تبليغ القرآن بلفظه ومعناه، فإن هذه الترجمة جمعت بين النص الكريم بلفظه ورسمه العربيين، وبين معاني القرآن على ما فهمه المفسر وشرحه باللغة الأجنبية.

## * ثالثاً: حرمة الترجمة الحرفية والتفسيرية:

لما كانت مقاصد القرآن الكريم الرئيسية ثلاثة: أن يكون هداية للثقلين، وأن يقوم آية لتأييد النبي ﷺ، وأن يتعبد الله خلقه بتلاوته، وهذا لا يتحقق بالترجمة الحرفية، فقد تقرر أن ترجمة القرآن بهذا المعنى الحرفي من قبيل المستحيل العادي لا نتردد أن نقرر أنها من قبيل المستحيل الشرعي أي المحظور الذي حرمه الله، وذلك من وجوه:

١.محاولة هذه الترجمة فيها ادعاء عمل لإمكان وجود مثل أو أمثال للقرآن،

وذلك تكذيب شنيع؛ لقوله سبحانه: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾ [يونس:١٥].

٢.أن محاولة هذه الترجمة تشجع الناس على انصرافهم عن كتاب ربهم مكتفين ببدل أو أبدال يزعمونها ترجمات له، وإذا امتد الزمان بهذه الترجمات، فسيذهب عنها اسم الترجمة، ويبقى اسم القرآن وحده علماً عليها، ويقولون هذا قرآن بالانجليزية، وذاك قرآن بالفرنسية.

٣.أننا لو جوزنا هذه الترجمة ووصل الأمر إلى حد أن يستغني الناس عن القرآن بترجمانه لتعرض الأصل العربي للضياع، كما ضاع الأصل العبري للتوراة والإنجيل، وضياع الأصل العربي نكبة كبرى تغري النفوس على التلاعب بدين الله تبديلاً وتغييراً ما دام شاهد الحق قد ضاع ونور الله قد انطفأ، والمهيمن على هذه الترجمات قد زال لا قدر الله ﷻ.

٤.أننا إذا فتحنا باب هذه الترجمات الضالة تزاحم الناس عليها بالمناكب، وعملت كل أمة وكل طائفة على أن تترجم القرآن في زعمها بلغتها الرسمية والعامية، ونجم عن ذلك ترجمات كثيرات لا عداد لها، وهي بلا شك مختلفة فيما بينها، فينشأ عن ذلك الاختلاف في الترجمات خلاف حتمي بين المسلمين أشبه باختلاف اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل، وهذا الخلاف يصدع بناء المسلمين ويفرق شملهم.

٥.أن قيام هذه الترجمات الآثمة يذهب بمقوم كبير من مقومات وجود المسلمين الاجتماعي، كأمة عزيزة الجناب قوية السناد ذلك أنهم سيقنعون غدا بهذه الترجمات، ومتى قنعوا بها فسيستغنون لا محالة عن لغة الأصل وعلومها وآدابها، وأنت تعلم التاريخ يشهد أنها رباط من أقوى الروابط فيما بينها وكان لهذا الرباط أثره الفعال

العظيم في تدعيم وحدة الأمة وبنائها حين كانوا يقرؤون القرآن نفسه، ويدرسون من أجله علوم لغته العربية وآدابها تذرعاً إلى حسن أدائه وفهمه.

٦.أنّ الأمةَ أجمعت على عدم جواز رواية القرآن بالمعنى، وترجمة القرآن بهذا المعنى الحرفي تساوي روايته بالمعنى، فكلتاهما صيغة مستقلة وافية بجميع معاني الأصل ومقاصده، لا فرق بينهما إلا في القشرة اللفظية، فالرواية بالمعنى لغتها لغة الأصل، وهذه الترجمة لغتها غير لغة الأصل، وعلى هذا يقال إذا كانت رواية القرآن بالمعنى في كلام عربي ممنوعة إجماعاً، فهذه الترجمة ممنوعة كذلك قياساً على هذا المجمع عليه، بل هي أحرى بالمنع للاختلاف بين لغتها ولغة الأصل.

٧.أن الناس جميعاً ـ مسلمين وغير مسلمين ـ تواضعوا على أن الأعلام لا يمكن ترجمتها سواء أكانت موضوعة لأشخاص من بني الإنسان، أم لأفراد من الحيوان، أم لبلاد وأقاليم أم لكتب ومؤلفات، حتى إذا وقع علم من هذه الأعلام أثناء ترجمة ما ألفيته هو ثابتاً لا يتغير عزيزاً لا ينال متمتعاً بحصانته العلمية لا ترزؤه الترجمة شيئاً، ولا تنال منه منالاً وما ذاك إلا لأن واضعي هذه الأعلام قصدوا ألفاظها بذاتها واختاروها دون سواها للدلالة على مسمياتها، فكذلك القرآن الكريم علمٌ ربانيٌّ قُصد الله سبحانه ألفاظه دون غيرها وأساليبه دون سواها لتدل على هداياته، وليؤيد بها رسوله وليتعبد بتلاوتها عباده، وكان سبحانه حكيماً في هذا التخصيص والاختيار لمكان الفضل والامتياز في هذه الأساليب والألفاظ المختارة.

وعبر فقهاؤنا الحنفية عن المنع من ترجمة القرآن بالكتابة، فقال: يمنع كتابة القرآن بالفارسية، وهو كناية عن سائر اللغات، قال المرغيناني: «يمنعُ من كتابةِ القرآنِ بالفارسيَّةِ بالإجماع؛ لأنّه يؤدي إلى الإخلالِ بحفظِ القرآن؛ لأنا أُمرنا بحفظِ النَّظمِ والمعنى؛ لأنَّ ربّما يؤدِّي إلى التَّهاون».

وقال الكاكي: «يمنعُ من كتابةِ المصحفِ بالفارسيَّةِ أشدَّ المنع، وإنه يكونُ عامدُهُ زنديقاً».

وقال النَّسفيّ: «لو أرادَ أن يكتبَ مصحفاً بالفارسيَّةِ يمنع».

وقال الشُّرُنْبُلالي: «قدَّمنا عن «التَّجنيس» حكايةَ الإجماعِ على منعِ كتابةِ القرآنِ بالفارسيَّة، وأنّه إنّما نصَّ على الفارسيَّة؛ لإفادةِ المنعِ بغيرها بالطَّريق الأولى؛ لأنَّ الغيرَ ليس مثلَها في الفصاحة»[١].

وقال ابن الهمام[٢]: «إن اعتادَ القراءةَ في الفارسيَّة، أو أرادَ أن يكتبَ مصحفاً بها يمنع، فإن فعلَ ذلك آيةً أو آيتَيْن فلا، فإن كتبَ القرآنَ وتفسيرَ كلِّ حرفٍ وترجمتِهِ جاز».

وهذا صريحٌ في منع التّرجمة للقرآن، وجواز ترجمة التفسير للقرآن؛ لأنه غيره، ولا يماثله، وأشبه التفسير بالعربية.

وفي فتوى لجنة الأزهر بمنع ذلك: «لا شك أن الحروف اللاتينية المعروفة خالية من عدة حروف توافق العربية، فلا تؤدى جميع ما تؤديه الحروف العربية، فلو كتب القرآن الكريم بها على طريقة النظم العربى، لوقع الإخلال والتحريف في لفظه، وتبعهما تغير المعنى وفساده، وقد قضت نصوص الشريعة بأن يُصان القرآن الكريم من كلّ ما يعرضه للتبديل أو التحريف، وأجمع علماء الإسلام سلفاً وخلفاً على أنّ كلَّ تصرُّف في القرآن الكريم يؤدي إلى تحريف في لفظه أو تغيير فى معناه ممنوع منعاً باتاً، ومحرمٌ تحريماً قاطعاً.

وقد التزم الصحابة ﷺ ومن بعدهم إلى يومنا هذا، كتابة القرآن الكريم بالحروف العربية ومن هذا يتبين أن كتابة القرآن العظيم بالحروف اللاتينية المعروفة لا تجوز»[٣].

قال الزَّركشي[٤]: «لا يجوز ترجمة القرآن بالفارسية وغيرها، بل يجب قراءته على

(١) ينظر: آكام النفائس ص١٢٨.

(٢) في فتح القدير١ : ٢٤٨.

(٣) ينظر: فتاوى الأزهر٨: ٨٥.

(٤) في البحر المحيط٢: ١٨٥ـ ١٨٦.

هيئته التي يتعلق بها الإعجاز؛ لتقصير الترجمة عنه، ولتقصير غيره من الألسن عن البيان الذي خص به دون سائر الألسن، قال الله تعالىٰ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾ [الشعراء:١٩٥]، هذا لو لم يكن متحدىٰ بنظمه وأسلوبه، وإذا لم تجز قراءته بالتفسير العربي المتحدي بنظمه فأحرىٰ ألا تجوز بالترجمة بلسان غيره...

ويجوز تفسير الألسن بعضها ببعض؛ لأنّ التفسير عبارة عما قام في النفس من المعنىٰ للحاجة والضرورة، والترجمة هي إبدال اللفظة بلفظة تقوم مقامها في مفهوم المعنىٰ للسامع المعتبر لتلك الألفاظ، فكأن الترجمة إحالة فهم السامع علىٰ الاعتبار، والتفسير تعريف السامع بما فهم المترجم، وهذا فرق حسن».

❊ ❊ ❊

# المبحث الرابع عشر
# النسخ

## تمهيد:

**النسخ لغة**: إزالة الشيء وإعدامه، ومنه قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج:٥٢].

نقلُ الشَّيء وتحويلُه مع بقائه في نفسه، ومنه: تناسخ المواريث بانتقالها من قوم إلىٰ قوم.

**واصطلاحاً: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي.**

ومعنىٰ رفع الحكم الشَّرعيّ قطع تعلقه بأفعال المكلفين لا رفعه هو فإنه أمر واقع والواقع لا يرتفع.

والحكمُ الشَّرعيُّ هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين إما علىٰ سبيل الطلب أو الكف أو التخيير، وإما علىٰ سبيل كون الشيء سببا أو شرطا أو مانعا أو صحيحا أو فاسداً.

والدليل الشرعي: هو وحي الله مطلقاً متلواً أو غير متلو، فيشمل الكتاب والسنة.

**ونعرض ما يتعلق بالنسخ بالنقاط الآتية:**

## * أولاً: النسخ والبداءة:

إن النسخ لا يُمكن أن يتحقق إلا بأمور:

١. أن يكون المنسوخ حكماً شرعياً.

٢. أن يكون دليل رفع الحكم دليلاً شرعياً.

٣. أن يكون هذا الدليل الرافع متراخياً عن دليل الحكم الأول غير متصل به.

٤. أن يكون بين ذانك الدليلين تعارض حقيقي.

والبداءة لغة: نشأة رأي جديد لم يك موجوداً، وبدا له في الأمر بدواً وبداءً وبداةً: أي نشأ له فيه رأي، ومنه قول ﷻ: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾ [يوسف:٣٥] أي نشأ لهم في يوسف عليه السلام رأي جديد، هو أن يسجن سجناً وقتياً بدليل قوله: ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾.

وشاعت عبارة نسبت كذباً إلى جعفر الصادق رضي الله عنه: ما بدا لله تعالى في شيء كما بدا له في إسماعيل، وهذا الافتراء كان أول من حاك شباكها الكذاب الثقفي الذي كان ينتحل لنفسه العصمة وعلم الغيب، فإذا ما افتضح أمره وكذبته الأيام، قال: إن الله وعدني ذلك غير أنه بدا له، فإذا أوجس في نفسه خيفة من أن يؤاخذه الناس وينتقموا منه على هذا الكفر الشنيع نسب تلك الكفريات إلى أعلام بيت النبوة، وهم منها براء.

وهذا مستحيل على الله تعالى لما يلزم منه سبق الجهل وحدوث العلم، والجهل والحدوث عليه محالان؛ لأن النظر الصحيح في هذا العالم دلنا على أن خالقه ومدبره متصف أزلاً وأبداً بالعلم الواسع المطلق المحيط بكل ما كان وما سيكون، وما هو كائن كما هدانا هذا النظر الصحيح إلى أنه تعالى لا يمكن أن يكون حادثاً ولا محلاً للحوادث، وإلا لكان ناقصاً يعجز عن أن يبدع هذا الكون ويُدبره هذا التدبير المعجز.

قال ﷻ: ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢]، ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة:١٨]، ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد:٢٢] ﴿۞ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام:٥٩] ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام:٥٩].

ورغم هذه البراهين السّاطعة من عقلية ونقلية ضل أقوام سفهوا أنفسهم فأغمضوا عيونهم عن النظر في كتاب الكون الناطق، وصموا آذانهم عن سماع كلام الله وكلام نبيه الصادق، وزعموا أن النسخ ضربٌ من البداء أو مستلزم للبداء.

وشبهوا على الناس الأمر لولا ظهور مصلحة لله ونشوء رأي جديد له ما نسخ أحكامه وبدل تعاليمه ونسوا أو تناسوا أن الله تعالىٰ حين نسخ بعض أحكامه ببعض ما ظهر له أمر كان خافياً عليه، وما نشأ له رأي جديد كان يفقده من قبل، إنما كان سبحانه يعلم الناسخ والمنسوخ أزلاً من قبل أن يشرعهما لعباده، بل من قبل أن يخلق الخلق ويبرأ السماء والأرض، إلا أنه جلت حكمته علم أنّ الحكم الأول المنسوخ منوط بحكمة أو مصلحة تنتهي في وقت معلوم، وعلم بجانب هذا أن الناسخ يجيء في هذا الميقات المعلوم منوطاً بحكمة وبمصلحة أخرىٰ.

ولا ريب أن الحكمَ والمصالحَ تختلف باختلاف الناس وتتجدد بتجدد ظروفهم وأحوالهم، وأن الأحكام وحكمها والعباد ومصالحهم والنواسخ والمنسوخات كانت كلها معلومة لله من قبل، ظاهرة لديه لم يخف شيء منها عليه، والجديدُ في النَّسخ إنّما هو إظهاره تعالىٰ ما علم لعباده لا ظهور ذلك له علىٰ حدّ التعبير المعروف.

وخلاصةُ هذا التّوجيه أنّ النَّسخَ تبديلٌ في المعلوم لا في العلم، وتغيير في المخلوق لا في الخالق، وبيان عن بعض ما سَبَق به علم الله القديم المحيط بكلِّ شيءٍ؛ لذلك عرف النَّسخ في حقّ الله ﷻ: بياناً لانتهاء مدّة الحكم المطلق عن تأبيدٍ أو تأقيت المعلوم عند الله تعالىٰ أنَّه ينتهي في وقتٍ كذا.

ومعناه في حق العباد: أن يَدُلَّ علىٰ خلافِ حكمِ شرعيٍّ دليلٌ شرعيٌّ متراخٍ[1].

وهذا تفريق دقيق يحُلُّ أصل الإشكال، فالنسخ في حقّ الله ﷻ هو بيان لانتهاء العمل بحكم شرعيّ، فلا يلحقه الشّارع به نقصٌ؛ لأنه أخبرنا عن توقف العمل به، وأمَّا في حقِّ البشر فإننا نرىٰ دليلاً متأخراً يلغي حكماً في دليل مُتقدِّم، وهذا ما يظهر لنا؛ لأننا لم نطلع علىٰ علم الله ﷻ، فكان مردّ الأمر عندنا لتعارض أدلة متقدّمة ومتأخرة، فنجعل المتأخر ناسخاً للمتقدم إن عارضه.

ففي هذه التعاريف دفع ظاهر للبداء، وتقرير لكون النسخ تبديلاً في حقّنا بياناً محضاً في حق صاحب الشرع.

## * ثانياً: الإجماع على تحقق النسخ:

فالنسخُ جائزٌ عقلاً وواقعٌ سمعاً، وعليه إجماع المسلمين من قبل أن يظهر أبو مسلم الأصفهاني، ومَن شايعه؛ لقوله ﷻ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت:٤٢]، وشبهته في الاستدلال أن هذه الآية تفيد أن أحكام القرآن لا تبطل أبداً، والنسخ فيه إبطال لحكم سابق، ويجاب عنه:

أ.أنه لو كان معنىٰ الباطل في الآية هو متروك العمل به مع بقاء قرآنيته، لكان دليله قاصراً عن مدعاه؛ لأن الآية لا تفيد حينئذٍ إلا امتناع نوع خاص من النسخ، وهو نسخ الحكم دون التلاوة، فإنه وحده هو الذي يترتب عليه وجود متروك العمل في القرآن، أما نسخ التلاوة مع الحكم أو مع بقائه فلا تدل الآية علىٰ امتناعه بهذا التأويل.

ب.أن معنىٰ الباطل في الآية ما خالف الحقّ، والنسخ حقّ، ومعنىٰ الآية أنّ عقائد القرآن موافقة للعقل، وأحكامه مسايرة للحكمة، وأخباره مطابقة للواقع، وألفاظه محفوظة من التغيير والتبديل، ولا يمكن أن يتطرق إلىٰ ساحته الخطأ بأي حال ﴿ إِنَّا

(١) ينظر: مسار الوصول إلىٰ علم الأصول ص ١٧٢.

نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجـــــــر:٩] ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥].

ج. أنّ أبا مسلم على فرض أنّ خلافه مع الجمهور لفظي لا يعدو حدود التسمية، نأخذ عليه أنه أساء الأدب مع الله ﷻ في تحمسه لرأي قائم على تحاشي لفظ اختاره جلت حكمته، ودفع عن معناه بمثل قوله: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة:١٠٦]، وهل بعد اختيار الله اختيار.

**ومن أدلة أهل السنة على ثبوت النسخ:**

١. أن النَّسخَ لا محظور فيه عقلاً، وكلُّ ما كان كذلك جائز عقلاً، فلا يجب على الله تعالى لعباده شيء بل هو سبحانه الفاعل المختار، والكبير المتعال، وله بناء على اختياره ومشيئته وكبريائه وعظمته أن يأمر عباده بما شاء، وينهاهم عما شاء، وأن يبقي من أحكامه على ما شاء، وأن ينسخ منها ما شاء لا معقب لحكمه، ولكن ليس معنى هذا انه عابث أو مستبد أو ظالم، بل إن أحكامه وأفعاله كلها جل جلاله لا تخلو عن حكمة بالغة وعلم واسع وتنزه عن البغي والظلم، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت:٤٦].

وكيف يكون محظوراً عقلاً ونحن نشاهد أن المصالح تختلف باختلاف الأشخاص والأزمان والأحوال، فالطبيب يأمر مريضه بتناول الدواء ما دام مريضاً ثم ينهاه عنه إذا أبل من مرضه وعاد سليماً.

٢. أن النسخ لو لم يكن جائزا عقلاً وواقعاً سمعاً لما ثبتت رسالة سيدنا محمد ﷺ إلى الناس كافة، لكن رسالته العامة للناس ثابتة بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة التي يطول شرحها، إذن فالشرائع السابقة ليست باقية بل هي منسوخة بهذه الشريعة الختامية، وإذن فالنسخ جائز وواقع.

٣.قوله ﷻ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة:١٠٦].

٤.قوله ﷻ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد:٣٩]، ودلالتهما على وقوع النسخ ملحوظ فيهما أنهما نزلتا ردا على طعن الطاعنين على الإسلام ونبي الإسلام بوقوع النسخ في الشريعة المطهرة.

٥.قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل:١٠١]، ووجه الدلالة: أن التبديل يتألف من رفع لأصل وإثبات لبدل، وذلك هو النسخ سواء أكان المرفوع تلاوة أم حكماً.

٦.قوله ﷻ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾ [النساء:١٦٠] ووجه الدلالة: أنها تفيد تحريم ما أحل من قبل، وما ذلك إلا نسخ.

٧.أن سلف الأمة أجمعوا على وقوع النسخ.

٨.أن في القرآن آيات كثيرة نسخت أحكامها، وهذا دليل في طيه أدلة متعددة؛ لأنّ كلَّ آية من هذه الآيات المنسوخة تعتبر مع ناسخها دليلاً كاملاً على وقوع النسخ، إذا الوقوع يكفي في إثباته وجود فرد واحد.

## * ثالثاً: حكمة الله في النسخ:

يجدر بنا أن نبين حكمة الله تعالى فيه؛ لأن معرفة الحكمة تريح النفس وتزيل اللبس، وتعصم من الوسوسة والدس خصوصاً في مثل موضوعنا الذي كثر منكروه، وتصيدوا لإنكاره الشبهات من هنا وهناك.

وحكمة الله في أنه نسخ بعض أحكام الإسلام ببعض فترجع إلى سياسة الأمة

وتعهدها بما يرقيها ويمحصها، وبيان ذلك: أن الأمة الإسلامية في بدايتها حين صدعها الرسول ﷺ بدعوته كانت تعاني فترة انتقال شاق، بل كان أشق ما يكون عليها في ترك عقائدها وموروثاتها وعادتها خصوصاً مع ما هو معروف عن العرب الذي شوفهوا بالإسلام من التحمس؛ لما يعتقدون أن من مفاخرهم وأمجادهم، فلو أخذوا بهذا الدين الجديد مرة واحدة؛ لأدىٰ ذلك إلىٰ نقيض المقصود ومات الإسلام في مهده.

وهذا الحكمة تتجلىٰ فيما إذا كان الحكم الناسخ أصعب من المنسوخ كموقف الإسلام في سموه ونبله من مشكلة الخمر في عرب الجاهلية بالأمس، وقد كانت مشكلة معقدة كل التعقيد يحتسونها بصورة تكاد تكون إجماعية ويأتونها لا علىٰ أنها عادة مجردة بل علىٰ أنها أمارة القوة ومظهر الفتوة وعنوان الشهامة.

والحكمة في نسخ الحكم الأصعب بما هو أسهل منه، فالتخفيف علىٰ الناس ترفيهاً عنهم وإظهاراً لفضل الله عليهم ورحمته بهم، وفي ذلك إغراء لهم علىٰ المبالغة في شكره وتمجيده وتحبيب لهم فيه وفي دينه.

والحكمة في نسخ الحكم بمساويه في صعوبته أو سهولته، فالابتلاء والاختبار؛ ليظهر المؤمن فيفوز والمنافق، فيهلك ليميز الخبيث من الطيب.

وحكمة بقاء التلاوة مع نسخ الحكم، فتسجل تلك الظاهرة الحكيمة ظاهرة سياسة الإسلام للناس حتىٰ يشهدوا أنه هو الدين الحق، وأن نبيه نبي الصدق، وأن الله هو الحق المبين .

ونسخ التلاوة مع بقاء الحكم فحكمته تظهر في كلّ آية تُناسبها وإنه لتبدو لنا حكمة رائعة في مثال مشهور من هذا النوع، ذلك أنه صحّ في الرواية عن عمر وأبي بن كعب رضي الله عنهما أنهما قالا: «كان فيما أنزل من القرآن الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها ألبتة:» أي كان هذا النصّ آية تتلىٰ ثم نسخت تلاوتها، وبقي حكمها معمولاً به إلىٰ اليوم، والسرُّ في ذلك أنها كانت تتلىٰ أولاً لتقرير حكمها ردعاً لمن تحدثه نفسه أنه يتلطخ بهذا

العار الفاحش من شيوخ وشيخات، حتىٰ إذا ما تقرر هذا الحكم في النفوس نسخ الله تلاوته لحكمة أخرىٰ هي الإشارة إلىٰ شناعة هذه الفاحشة وبشاعة صدورها من شيخ وشيخة حيث سلكها مسلك ما لا يليق أن يذكر، فضلا عن أن يفعل، وسار بها في طريق يشبه طريق المستحيل الذي لا يقع كأنه قال: نزهوا الأسماع عن سماعها والألسنة عن ذكرها فضلاً عن الفرار منها.

## * ثالثاً: طرق معرفة النسخ :

لا بُدّ في تحقيق النّسخ من ورود دليلين عن الشارع، وهما متعارضان تعارضاً حقيقيا لا سبيل إلىٰ تلافيه بإمكان الجمع بينهما علىٰ أي وجه من وجوه التأويل، وحينئذٍ فلا مناص من أن نعتبر أحدَهما ناسخاً والآخر منسوخاً دفعاً للتَّناقض في كلام الشّارع الحكيم، ولكن أي الدَّليلين يتعين أن يكون ناسخاً وأيهما يتعين أن يكون منسوخاً هذا ما لا يجوز الحكم فيه بالهوىٰ والشهوة، بل لا بُدّ من دليل يقوم عليه، ومما يسترشد به علىٰ ذلك:

١ .أن يكون في أحد النصين ما يدلّ علىٰ تعيين المتأخر منهما، ومن أمثلته:

قوله ﷻ: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣﴾[المجادلة:١٣]

وقوله ﷻ: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦﴾ [الأنفال:٦٦].

وقوله ﷺ: «نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث، فأمسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء، فاشربوا في الأسقية كلها، ولا تشربوا مسكراً»[1].

---

(١) في صحيح مسلم٣: ١٥٦٣.

٢. أن ينعقد إجماع من الأمة على تعيين المتقدم من النصين والمتأخر منهما.

٣. أن يرد من طريق صحيحة عن أحد من الصحابة ﷺ ما يفيد تعيين أحد النصين المتعارضين للسبق على الآخر أو التراخي عنه، كأن يقول: نزلت هذه الآية بعد تلك الآية، أو نزلت هذه الآية قبل تلك الآية، أو يقول: نزلت هذه عام كذا وكان معروفاً سبق نزول الآية التي تعارضها، أو كان معروفا تأخرها عنها.

## * رابعاً: ما يتناوله النسخ:

النسخ لا يكون إلا في الأحكام من فروع العبادات والمعاملات.

أما غير هذه الفروع من العقائد وأمهات الأخلاق وأصول العبادات والمعاملات ومدلولات الأخبار المحضة، فلا نسخ فيها؛ لأن العقائد حقائق صحيحة ثابتة لا تقبل التغيير والتبديل فبدهي، ألا يتعلق بها نسخ.

وأمهات الأخلاق حكمة الله في شرعها ومصلحة الناس في التخلق بها أمر ظاهر لا يتأثر بمرور الزمن، ولا يختلف باختلاف الأشخاص والأمم حتى يتناولها النسخ بالتبديل والتغيير.

وأصول العبادات والمعاملات فلوضوح حاجة الخلق إليهما باستمرار لتزكية النفوس وتطهيرها، ولتنظيم علاقة المخلوق بالخالق، فلا يظهر وجه من وجوه الحكمة في رفعها بالنسخ.

ومدلولات الأخبار المحضة؛ لأن نسخها يؤدي إلى كذب الشارع في أحد خبريه الناسخ والمنسوخ، وهو محال عقلاً ونقلاً، أما عقلاً؛ فلأن الكذب نقص، والنقص عليه تعالى محال، وأمّا نقلاً فمثل قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء:١٢٢] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء:٨٧]، نعم إن نسخ لفظ الخبر دون مدلوله جائز بإجماع مَن قالوا: بالنسخ بأن تنزل الآية مخبرة عن شيء ثم تنسخ تلاوتها فقط، أو أن يأمرنا الشارع بالتحدث عن شيء ثم ينهانا أن نتحدث به.

## * خامساً: أنواع النسخ في القرآن:

١.**نسخ الحكم والتلاوة جميعاً**، وعليه وقع الإجماع، فعن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثُمَّ نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهنّ فيما يقرأ من القرآن»[١].

٢.**نسخ الحكم دون التلاوة**، فيدل على وقوعه آيات كثيرة، منها كآية تقديم الصدقة أمام مناجاة الرسول ﷺ وهي قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ [المجادلة:١٢] بقوله سبحانه: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ [المجادلة:١٣]على معنى أن حكم الآية الأولى منسوخ بحكم الآية الثانية مع أن تلاوة كلتيهما باقية.

٣.**نسخ التلاوة دون الحكم**، فعن زر رضي الله عنه قال: قال لي أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه: «كأين تقرأ سورة الأحزاب أو كأين تعدُّها؟ قال: قلت له: ثلاثاً وسبعين آية، فقال: قط، لقد رأيتها وإنَّها لتعادل سورة البقرة، ولقد قرأنا فيها الشَّيخ والشَّيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله، والله عليم حكيم»[٢].

والإجماع لا يجوز أن يكون ناسخاً؛ لأنّ الإجماع لا بُدّ أن يكون له نص يستند إليه خصوصاً إذا انعقد على خلاف النص، وإذن يكون الناسخ هو ذلك النص الذي استند إليه الإجماع لا نفس الإجماع.

## * سادساً: الآيات المنسوخة:

إن بحث النسخ اجتهادي يرجع بالدرجة الأولى للمجتهد المطلق، فهو بنظره الثاقب ينظر في النصوص الشرعية فيعين أحدها ناسخاً والآخر منسوخاً على ما يظهر له من قرآن.

---

(١) في صحيح مسلم ٢: ١٠٧٥، وسنن أبي داود ١: ٦٢٩، وغيرها.

(٢) في مسند أحمد ٥: ١٣٢، وسنن الدَّارمي ٢: ٢٣٤، وصحيح ابن حبان ١٠: ٢٧٣، وغيرها.

والنّاظر في كتب الاستدلال الفقهي يجد أنّ النّسخ هو أحد وجوه ترجيح دليل على آخر، فيدعي المستدلّ أن هذا الدليل منسوخ بهذا، وهو محتمل، فلا يمكن منعه منه، فكان في الواقع طريقاً من طرق الاستدلال، ولا نكارة فيه، وقد سلكه فقهاؤنا عبر التاريخ.

وبالتالي كان استقصاء الآيات التي ذكروا فيها النسخ بعيد المنال؛ لأنه يُمكن أن يستغرق كتاباً، فنقتصر على ذكر بعضها:

١. قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة:١١٥]، قيل: إنها منسوخة بقوله سبحانه: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٤]، لكن حكم الآية الأولى باق للمتحري، فلا تكون منسوخة.

٢. قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [البقرة:١٨٠]، فقيل: أنها منسوخة وأن ناسخها آيات المواريث، وقيل: إنها منسوخة بالسنة: «لا وصية لوارث». وقيل منسوخة بإجماع الأمة على عدم وجوب الوصية للوالدين والأقربين.

٣. قوله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة:١٨٤]، قيل: فإنها تفيد تخيير من يطيق الصوم بين الصوم والإفطار مع الفدية، وقد نسخ ذلك بقوله سبحانه: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥]، المفيد لوجوب الصوم، لكن الأولى أن الآية محكمة لم تنسخ؛ لأنها على حذف حرف النفي، والتقدير وعلى الذين لا يطيقونه فدية طعام مسكين، ويدل على هذا الحذف قراءة يطوقونه بتشديد الواو وفتحها والمعنى يطيقونه بجهد ومشقة، وإذن لا تعارض ولا نسخ.

٤. قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة:١٨٣]، فإن هذا التشبيه يقتضي موافقة من قبلنا فيما كانوا عليه من تحريم الوطء والأكل بعد النوم ليلة الصوم، وقد نسخ ذلك بقوله سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ﴾ [البقرة:١٨٧].

٥. قوله ﷻ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞ﴾ [البقرة:٢١٧]، فإنها تفيد حرمة القتال في الشهر الحرام، فقيل: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة:٣٦].

ونقل أبو جعفر النحاس إجماع العلماء ما عدا عطاء على القول بهذا النسخ ووجه ذلك أن آية وقاتلوا المشركين كافة أفادت الإذن بقتال المشركين عموما والعموم في الأشخاص يستلزم العموم في الأزمان وأيدوا ذلك بأن الرسول قاتل هوزان بحنين وثقيفا بالطائف في شوال وذي القعدة سنة ثمان من الهجرة ولا ريب أن ذا القعدة شهر حرام وقيل إن النسخ لم يقع بهذه الآية إنما وقع بقوله سبحانه فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فإن عموم الأمكنة يستلزم عموم الأزمنة.

٥. قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ﴾ [البقرة:٢٤٠]، فإنها منسوخة بقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [البقرة:٢٣٤]؛ لأن الآية الأولى أفادت أن مَن توفي عنها زوجها يوصى لها بنفقة سنة وبسكنى مدة حول ما لم تخرج، فإن خرجت فلا شيء لها، وأما الثانية فقد أفادت وجوب انتظارها أربعة أشهر وعشراً.

٧. قوله ﷻ: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة:٢٨٤]، فإنها منسوخة بقوله سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾

[البقرة:٢٨٦]؛ لأن الآية الأولى تفيد أن الله يكلف العباد حتى بالخطرات التي لا يملكون دفعها، والآية الثانية تفيد أنه لا يكلفهم بها؛ لأنه لا يكلف نفسا إلا وسعها.

٨. قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران:١٠٢] قيل: إنها منسوخة بقول الله ﷻ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

٩. قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٨﴾ [النساء:٨]، قيل: إنها منسوخة بآيات المواريث.

١٠. قوله ﷻ: {﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝١٥ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ﴾ [النساء:١٦]، فإنها منسوخة بقوله ﷻ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النور:٢].

١١. قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة:٢]، قيل إن قوله ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ منسوخ بمقتضى عموم قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة:٣٦].

١٢. قوله ﷻ: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة:٤٢]، فإنها منسوخة بقوله ﷻ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٤٩].

١٣. قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦]، فإن قوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ منسوخٌ بقوله: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق:٢].

١٤. قوله ﷻ: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝٦٥﴾ [الأنفال:٦٥]، فإنها منسوخة بقوله سبحانه: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ

يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (٦٦)﴾ [الأنفال:٦٦]، ووجه النسخ: أن الآية الأولى أفادت وجوب ثبات الواحد للعشرة، وأن الثانية أفادت وجوب ثبات الواحد للاثنين، وهما حكمان متعارضان فتكون الثانية ناسخة للأولى.

١٥. قوله ﷻ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة:٤١]، فإنها نسخت بآيات العذر وهي قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾ [التوبة:٩١]، وقوله: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)﴾ [التوبة:١٢٢].

١٦. قوله ﷻ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ﴾ [النور:٣]، فإنها منسوخة بقوله سبحانه: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور:٣٢]؛ لأن الآية خبر بمعنى النهي بدليل قراءة لا ينكح بالجزم، والقراءات يفسر بعضها بعضاً.

١٧. قوله ﷻ: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأحزاب:٥٢] نسخها قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۗ﴾ [الأحزاب:٥٠].

١٨. قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةًۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [المجادلة:١٢]، فإنها نسخت بقوله سبحانه عقب تلك الآية: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة:١٣].

١٩. قوله ﷻ: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ [الممتحنة:١١]، قيل: نسختها آية الغنيمة، وهي قوله سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال:٤١].

٢٠. قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤)﴾ [المزمل:٤]، فإنها منسوخة بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل:٢٠].

* * *

# المبحث الخامس عشر
# في محكم القرآن ومتشابهه

## تمهيد:

الإحكام لغة له عدة معان ترجع إلى شيء واحد هو المنع، فيقولون: أحكم الأمر: أي أتقنه ومنعه عن الفساد، ويقولون: أحكمه عن الأمر: أي رجعه عنه، ومنعه منه، ويقولون: حكم نفسه وحكم الناس: أي منع نفسه ومنع الناس عما لا ينبغي.

والتشابه لغة يدل على المشاركة في المماثلة، والمشاكلة المؤدية إلى الالتباس غالباً يقال: تشابها واشتبها: أي أشبه كلّ منهما الآخر حتى التبسا، ويقال: أمور مشتبهة، ومُشبهة على وزان مُعظَّمة: أي مشكلة والشُّبهة: الالتباس، ويقال: شبه عليه الأمر تشبيهاً: أي لُبِّس عليه، ومنه قول الله سبحانه وصفاً لرزق الجنة: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗا﴾ [البقرة:٢٥]، ومنه قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ [البقرة:٧٠].

**ونعرض ما يتعلق بمحكم القرآن ومتشابهه في النقاط الآتية:**

### * أولاً: القرآن محكم ومتشابه:

جاء في القرآن الكريم ما يدل على أنّه كلُّه محكمٌ إذ قال ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود:١]، وجاء فيه ما يدل على أنه كلُّه متشابه إذ قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزمر:٢٣].

وجاء فيه ما يدل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه إذ قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ [آل عمران:٧].

ولا تعارض بين هذه الإطلاقات الثلاثة؛ لأن معنىٰ إحكامه كله أنه منظمٌ رصينٌ متقنٌ متينٌ لا يتطرق إليه خللٌ لفظيٌّ، ولا معنويٌّ كأنه بناءٌ مشيدٌ محكمٌ يتحدىٰ الزمن ولا ينتابه تصدع ولا وهن.

ومعنىٰ كونه كلُّه متشابهاً أنه يشبه بعضه بعضاً في إحكامه وحسنه وبلوغه حد الإعجاز في ألفاظه ومعانيه حتىٰ أنك لا تستطيع أن تفاضل بين كلماته وآياته في هذا الحسن والإحكام والإعجاز، كأنه حلقة مفرغة لا يدري أين طرفاها.

وأمَّا أنّ بعضَه محكمٌ وبعضَه متشابهٌ، فمعناه أنّ من القرآن ما اتضحت دلالته علىٰ مراد الله تعالىٰ منه، ومنه ما خَفيت دلالتُه علىٰ هذا المراد الكريم، فالأول هو المحكم، والثَّاني هو المتشابه.

**واصطلاحاً: المحكم**: ما ورد من نصوص الكتاب أو السنة دالاً علىٰ معناه بوضوح لا خفاء فيه، أو ما كانت دلالته راجحة وهو النص والظاهر والمفسر، وهو وجوه الظهور في الدلالات، فهو أعم من أن يكون خاصاً بالمحكم منها بحيث يشملها جميعاً.

**والمتشابه**: هو الخفي الذي لا يدرك معناه عقلاً ولا نقلاً، وهو ما استأثر الله تعالىٰ بعلمه: كقيام الساعة والحروف المقطعة في أوائل السور أو ما كانت دلالته غير راجحة وهو المجمل والمؤول والمشكل، وهي وجوه الخفاء في الدلالات، فهو ليس خاص بالمتشابه منها فقط، بل يشملها جميعاً.

## * ثانياً: منشأ التشابه وأقسامه وأمثلته:

منشأ التشابه هو خفاء مراد الشارع من كلامه، إمّا تفصيلاً، فنذكر أنّ منه ما يرجع خفاؤه إلىٰ اللفظ، ومنه ما يرجع خفاؤه إلىٰ المعنىٰ، ومنه ما يرجع خفاؤه إلىٰ اللفظ والمعنىٰ معا.

١ .ما كان التشابه فيه راجعا إلىٰ خفاء في اللفظ وحده منه مفرد ومركب، والمفرد

قد يكون الخفاء فيه ناشئاً من جهة غرابته أو من جهة اشتراكه، والمركب قد يكون الخفاء فيه ناشئاً من جهة اختصاره أو من جهة بسطه أو من جهة ترتيبه.

مثال: التشابه في المفرد بسبب غرابته وندرة استعماله لفظ: «الأبّ» في قوله ﷻ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس:٣١]، وهو ما ترعاه البهائم، بدليل قوله بعد ذلك: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٢﴾ [عبس:٣٢].

ومثال التشابه في المفرد بسبب اشتراكه بين معان عدّة لفظ اليمين في قوله ﷻ: ﴿فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ۝٩٣﴾ [الصافات:٩٣]: أي فأقبل إبراهيم على أصنام قومه ضاربا لها باليمين من يديه لا بالشمال، أو ضارباً لها ضرباً شديداً بالقوة؛ لأن اليمين أقوى الجارحتين، أو ضارباً لها بسبب اليمين التي حلفها ونوه بها القرآن؛ إذ قال: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ۝٥٧﴾ [الأنبياء:٥٧]، كل ذلك جائز، ولفظ اليمين مشترك بينها.

ومثال التشابه في المركب بسبب اختصاره قوله ﷻ: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣] ، فإنّ خفاء المراد فيه جاء من ناحية إيجازه، والأصل: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى لو تزوجتموهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء، ومعناه أنكم إذا تحرجتم من زواج اليتامى مخافة أن تظلموهن فأمامكم غيرهن فتزوجوا منهن ما طاب لكم.

ومثال التشابه يقع في المركب بسبب بسطه والإطناب فيه قوله ﷻ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى:١١]، فإن حرف الكاف لو حذف، وقيل: ليس مثله شيء كان أظهر للسامع من هذا التركيب الذي ينحل إلى ليس مثل مثله شيء، وفيه من الدقة ما يعلو على كثير من الأفهام.

ومثال التشابه يقع في المركب لترتيبه ونظمه قوله ﷻ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا﴾ [الكهف:١-٢]، فإن الخفاء هنا جاء من جهة الترتيب

بين لفظ قيماً وما قبله، ولو قيل: أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا لكان أظهر أيضاً.

٢.ما كان التشابه فيه راجعاً إلى خفاء المعنى وحده، مثاله: كل ما جاء في القرآن الكريم وصفا لله تعالى، أو لأهوال القيامة، أو لنعيم الجنة وعذاب النار، فإن العقل البشري لا يمكن أن يحيط بحقائق صفات الخالق ولا بأهوال القيامة ولا بنعيم أهل الجنة، وعذاب أهل النار، وكيف السبيل إلى أن يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه، وما يكن فينا مثله ولا جنسه .

٣.ما كان التشابه فيه راجعاً في اللفظ والمعنى معاً، له أمثلة كثيرة منها قوله ﷻ ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة:١٨٩]، فإن من لا يعرف عادة العرب في الجاهلية لا يستطيع أن يفهم هذا النص الكريم على وجهه، وورد أن ناسا من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطاً ولا داراً ولا فسطاطاً من باب، فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته يدخل ويخرج منه، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء، فنزل قوله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة:١٨٩].

فهذا الخفاء الذي في هذه الآية يرجع إلى اللفظ بسبب اختصاره ولو بسط لقيل: وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها إذا كنتم محرمين بحج أو عمرة، ويرجع الخفاء إلى المعنى أيضاً؛ لأنّ هذا النص على فرض بسطه كما رأيت لا بُدّ معه من معرفة عادة العرب في الجاهلية وإلا لتعذر فهمه.

## * ثالثاً: أنواع المتشابهات:

١.ما لا يستطيع البشر جميعا أن يصلوا إليه كالعلم بذات الله وحقائق صفاته، وكالعلم بوقت القيامة ونحوه من الغيوب التي استأثر الله تعالى بها ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ

ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام:٥٩] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان:٣٤]

٢.ما يستطيع كلُّ إنسان أن يعرفه عن طريق البحث والدرس: كالمتشابهات التي نشأ التشابه فيها من الإجمال والبسط والترتيب ونحوها.

٣.ما يعلمه خواص العلماء دون عامتهم، ولذلك أمثلة كثيرة من المعاني العالية التي تفيض على قلوب أهل الصفاء والاجتهاد عند تدبرهم لكتاب الله ﷻ.

قال الراغب: «المتشابه على ثلاثة أضرب:

أ.ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه كوقت الساعة وخروج الدابة ونحو ذلك.

ب.وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام المغلقة.

ج.وضرب متردد بين الأمرين يختص به بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم، وهو المشار إليه بقوله لابن عباس ﭬ: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

## * رابعاً: حكمة ذكر المتشابهات:

**١.حكم المتشابه مما استأثر الله بعلمه هي:**

أ. رحمة الله ﷻ بهذا الإنسان الضعيف الذي لا يطيق معرفة كلّ شيء، وإذا كان الجبل حين تجلى له ربّه جعله دكاً، وخر موسى صعقاً، فكيف لو تجلى سبحانه بذاته، وحقائق صفاته للإنسان، ومن هذا القبيل أخفى الله على الناس معرفة الساعة رحمة بهم كيلا يتكاسلوا ويقعدوا عن الاستعداد لها، وكيلا يفتك بهم الخوف والهلع لو أدركوا بالتحديد شدّة قربها منهم، ولمثل هذا حجب الله عن العباد معرفة آجالهم ليعيشوا في بحبوحة من أعمارهم، فسبحانه من إله حكيم رحمن رحيم.

ب.الابتلاء والاختبار، أيؤمن البشر بالغيب ثقةً بخبر الصادق أم لا، فالذين اهتدوا يقولون آمنا وإن لم يعرفوا على التعيين، والذين في قلوبهم زيغ يكفرون به، وهو الحق من ربهم، ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، والخروج من الدين جملة.

ج.إن القرآن يشتمل على دعوة الخواص والعوام، وطبائع العوام تنبو في أكثر الأمور عن إدراك الحقائق، فمن سمع من العوام في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار إليه ظنّ أن هذا عدم ونفي محض، فيقع في التعليل، فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يُناسب ما تخيّلوه وما توهموه، ويكون ذلك مخلوطاً بما يدلّ على الحقّ الصَّريح.

د.إقامة دليل على عجز الإنسان وجهالته، مهما عظم استعداده، وغزر علمه، وإقامة شاهد على قدرة الله الخارقة، وأنه وحدَه هو الذي أحاط بكلِّ شيء علما، وأن الخلق جميعاً لا يحيطون بشيءٍ من علمه إلا بما شاء، قال بعض العارفين: «العقل مبتلى باعتقاد أحقية المتشابه كابتلاء البدن بأداء العبادة».

هـ. لو كان أي القرآن كله محكماً بالكلية لما كان مطابقاً إلا لمذهب واحد، وكان بصريحه مبطلاً لجميع المذاهب المخالفة له، وذلك منفر لأرباب المذاهب الأخرى عن النظر فيه، أما وجود المتشابه والمحكم فيه، فيطمع كلُّ ذي مذهب أن يجد فيه كلّ ما يؤيد مذهبه، فيضطر إلى النظر فيه، وقد يتخلص المبطل عن باطله إذا أمعن فيه النظر فيصل إلى الحق.

**٢.حكم المتشابه الذي يقف عليه العوام أو اختص به العلماء هي:**

أ. تحقيق إعجاز القرآن؛ لأنّ كلّ ما استتبع فيه شيئاً من الخفاء المؤدي إلى التشابه له مدخل عظيم في بلاغته وبلوغه الطرف الأعلى في البيان.

ب. تيسير حفظ القرآن والمحافظة عليه؛ لأنّ كلَّ ما احتواه من تلك الوجوه المستلزمة للخفاء دال على معانٍ كثيرةٍ زائدة على ما يُستفاد من أصل الكلام، ولو عبر

عن هذه المعاني الثانوية الكثيرة بألفاظ لخرج القرآن في مجلدات واسعة ضخمة يتعذر معها حفظه والمحافظة عليه.

ج. متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول إلى الحقّ أصعب وأشق، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران:١٤٢].

د. اشتمال القرآن على المحكم والمتشابه يضطر الناظر فيه إلى تحصيل علوم كثيرة، مثل: اللغة والنحو وأصول الفقه مما يعينه على النظر والاستدلال، فكان وجود المتشابه سبباً في تحصيل علوم كثيرة.

هـ. اشتمال القرآن على المحكم والمتشابه يضطر الناظر فيه إلى الاستعانة بالأدلة العقلية، فيتخلص من ظلمة التقليد، وفي ذلك تنويهٌ بشأن العقل والتعويل عليه، ولو كان كلُّه محكماً لما احتاج إلى الدلائل العقلية ولظل العقل مهملاً.

*** خامساً: متشابه الصفات نوعان:**

**الأول: المتفق عليه في المتشابهات:**

١. صرفها عن ظواهرها المستحيلة، واعتقاد أنّ هذه الظَّواهر غير مرادة للشَّارع قطعاً، كيف وهذه الظواهر باطلة بالأدلة القاطعة، وبما هو معروف عن الشارع نفسه في محكماته.

٢. إذا توقف الدفاع عن الإسلام على التأويل لهذه المتشابهات وجب تأويلها بما يدفع شبهات المشتبهين، ويدر طعن الطاعنين.

٣. المتشابه إن كان له تأويلٌ واحدٌ يفهم منه فهماً قريباً وجب القول به إجماعاً، وذلك كقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، فإن الكينونةَ بالذَّات مع الخلق مستحيلة قطعاً، وليس لها بعد ذلك إلا تأويل واحد هو الكينونة معهم بالإحاطة علماً وسمعاً وبصراً وقدرةً وإرادةً.

**الثاني: المختلف في المتشابهات فيه ثلاثة مذاهب:**

١.**مذهب السَّلف**، ويُسمَّىٰ مذهب المفوِّضة، وهو تفويض معاني هذه المتشابهات إلىٰ الله وحده بعد تنزيهه تعالىٰ عن ظواهرها المستحيلة، ويستدلون علىٰ مذهبهم هذا بدليلين:

أ.عقلي، وهو أن تعيين المراد من هذه المتشابهات إنّما يجري علىٰ قوانين اللغة واستعمالات العرب، وهي لا تفيد إلا الظن مع أن صفات الله من العقائد التي لا يكفي فيها الظن، بل لا بُدّ فيها من اليقين، ولا سبيل إليه، فلنتوقف، ولنكل التعيين إلىٰ العليم الخبير.

ب.نقلي يعتمدون فيه علىٰ عدة أمور منها:

فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران:٧]، قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمىٰ الله فاحذروهم»[١].

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ قال ﷺ:«لا أخاف علىٰ أمتي إلا ثلاث خلال: أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله وما يعلم تأويله إلا الله»[٢].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال ﷺ: «يا قوم لا تجادلوا بالقرآن، فإنما ضل من كان قبلكم بجدالهم إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً، ولكن نزل ليصدق بعضه بعضاً، فما كان من محكمه فاعملوا به، وما كان من متشابهه فآمنوا به»[٣].

---

(١) في صحيح البخاري٦: ٣٣.

(٢) في مسند الشاميين٢: ٤٤٣.

(٣) في مسند الحارث٢: ٧٣٩.

وعن سليمان بن يسار: «أنّ رجلاً يقال له ابن صبيغ، قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر رضي الله عنه وقد أعد له عراجين النخل، فقال له: مَن أنت؟ فقال أنا عبد الله بن صبيغ، فأخذ عمر رضي الله عنه عرجوناً فضربه حتى دمى رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين: حسبك، قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي»[١].

وعن ابن وهب: كنا عند مالك فدخل عليه رجل فقال: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه:٥] كيف استواؤه؟ قال: فأطرق مالك وأخذته الرَّحضاء ثم رفع رأسه فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ كما وصف نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوءٍ صاحبُ بدعةٍ أخرجوه، وفي لفظ: بطريق يحيى ابن يحيى: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً، فأمر به فأخرج[٢].

قال ابنُ الصَّلاح: «على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها وإياها اختار أئمة الفقهاء وقادتها وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأباها».

٢. **مذهب الخلف**، ويسمى مذهب المؤوِّلة، وهم فريقان:

ـ فريق يؤولها بصفات سمعية غير معلومة على التعيين ثابتة له تعالى زيادة على صفاته المعلومة لنا بالتعيين، وينسب هذا إلى أبي الحسن الأشعري.

ـ فريق يؤولها بصفات أو بمعان نعلمها على التعيين، فيحمل اللفظ الذي استحال ظاهره من هذه المتشابهات على معنى يسوغ لغة، ويليق بالله عقلاً وشرعاً، وينسب هذا الرأي إلى ابن برهان وجماعة من المتأخرين.

---

(١) في سنن الدارمي ١: ٢٥٢.

(٢) ينظر: إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ص٤٠.

**ويستدلون على مذهبهم هذا بدليلين:**

أ. عقلي: أنّ المطلوبَ صرفُ اللفظ عن مقام الإهمال الذي يوجب الحيرة بسبب ترك اللفظ لا مفهوم له، وما دام في الإمكان حمل كلام الشارع على معنى سليم، فالنظر قاض بوجوبه انتفاعاً بما ورد عن الحكيم العليم، وتنزيهاً له عن أن يجري مجرى العجوز العقيم.

ب. نقلي، يعتمدون فيه على ما نقل عن السلف، ومنه:

تأويل ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:٤٢]: يُكشف عن شدة، قال الطبري: «قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل: يبدو عن أمر شديد»[١].

وتأويل ابن عباس رضي الله عنهما الكرسي بالعلم في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥][٢].

وتأويل ابن عَبَّاس رضي الله عنهما والضحّاك الإتيان في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة:٢١٠]: بإتيان الأمر[٣].

---

(١) قال ابن حجرفي فتح الباري ٨: ٦٦٤ في قوله يوم (يكشف عن ساق): قال: عن نور عظيم فيخرون له سجدا، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله: يوم يكشف عن ساق، قال: عن شدة أمر، وعند الحاكم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: هو يوم كرب وشدة، قال الخطابي: فيكون المعنى يكشف عن قدرته التي تنكشف عن الشدة والكرب»، وكذلك نقل الطبري في تفسيره (٤٤٥: ٢٣)، وهو متواتر عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ورجّحه، وذكره عن سعيد بن جبير بدلالة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فأخبر أنه لا يؤوده حفظ ما علم، وأحاط به مما في السموات والأرض، وكما أخبر عن ملائكته أنهم قالوا في دعائهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

(٣) نقله القرطبي في تفسيره ٧: ١٢٩.

وتأويل مالك بن أنس لحديث النزول، فقد سئل مالك عن نزول الرب ﷻ، فقال: «ينزل أمره تعالىٰ كل سَحَر، فأما هو عزّ وجلّ فإنه دائمٌ لا يزول ولا ينتقل سبحانه لا إله إلا هو»[1].

وتأويل أحمد بن حنبل قول الله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر:٢٢] بمعنىٰ: جاء ثوابه[2].

وتأويل البخاري للضحك، فقد قال البيهقي[3] : «قال البخاري: معنىٰ الضحك الرحمة، قال أبو سليمان ـ يعني الخطّابي ـ قول أبي عبد الله ـ أي البخاري ـ قريب، وتأويله علىٰ معنىٰ الرضى لفعلهما أقرب وأشبه.

ومعلومٌ أنّ الضحك من ذوي التمييز يدلُّ علىٰ الرضى، والبِشر والاستهلال منهم دليل قبول الوسيلة، ومقدّمة إنجاح الطَّلِبة، والكرام يوصفون عند المسألة بالبشر وحسن اللقاء، فيكون المعنىٰ في قوله: «يضحك الله إلىٰ رجلين» أي يُجزل العطاء لهما؛ لأنه موجب الضحك ومقتضاه»[4].

وتأويل الترمذي لحديث :«أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن اقترب إلي شبرا اقتربت منه ذراعا، وإن اقترب إلي ذراعا اقتربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

---

(١) ينظر: التمهيد ١٤٣ : ٧، وسير أعلام النبلاء ١٠٥ : ٨ ، الرسالة الوافية ص١٣٦، شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ٦:\٣٧ ، الإنصاف ص ٨٢.

(٢) ينظر: البداية والنهاية ١٠ : ٣٢٧، قال البيهقي: وهذا إسناد صحيح لا غبار عليه.

(٣) في الأسماء والصفاتص٤٧٠، باب ما جاء في الضحك: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يضحك الله إلىٰ رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة...».

(٤) قال ابن حجر فتح الباري٤٨٦ : ٦ مؤكداً مؤيداً لما ذهب إليه أبو سليمان الخطابي: «قلت: ويدلّ علىٰ أن المراد بالضحك الإقبال بالرضا تعديته بـ (إلىٰ)، تقول: ضحك فلان إلىٰ فلان، إذا توجّه إليه طلّق الوجه مظهراً للرضا به».

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح، ويروىٰ عن الأعمش في تفسير هذا الحديث: من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعا، يعني بالمغفرة والرحمة، وهكذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث. قالوا: إنما معناه يقول: إذا تقرب إلي العبد بطاعتي وبما أمرت تسارع إليه مغفرتي ورحمتي»(١).

**٣.مذهب المتوسطين**، واختاره ابن دقيق العيد، إذا كان التأويل قريباً من لسان العرب لم يُنكر أو بعيداً توقفنا عنه، وآمنا بمعناه علىٰ الوجه الذي أريد مع التنزيه، وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهرها مفهوماً من تخاطب العرب قلنا به من غير توقف، كما في قوله تعالىٰ ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦]، فنحمله علىٰ حق الله وما يجب له.

ولنطبق هذه المذاهب علىٰ قوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]:

فنقول يتفق الجميع من سلف وخلف علىٰ أن ظاهر الاستواء علىٰ العرش، وهو الجلوس عليه مع التمكن والتحيز مستحيل؛ لأن الأدلة القاطعة تنزه الله عن أن يشبه خلقه أو يحتاج إلىٰ شيءٍ منه سواء أكان مكاناً يحلّ فيه أم غيره، وكذلك اتفق السلف والخلف علىٰ أن هذا الظاهر غير مراد لله قطعاً؛ لأنه تعالىٰ نفىٰ عن نفسه المماثلة لخلقه، وأثبت لنفسه الغنىٰ عنهم، فقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورىٰ:١١]، وقال: ﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٢٤﴾ [الحديد:٢٤]، فلو أراد هذا الظاهر لكان متناقضاً.

ثم اختلف السلف والخلف بعد ما تقدم فرأىٰ السلف: أن يفوضوا تعيين معنىٰ الاستواء إلىٰ الله هو أعلم بما نسبه إلىٰ نفسه وأعلم بما يليق به، ولا دليل عندهم علىٰ هذا التعيين.

ورأىٰ الخلف: أن يؤولوا لأنه يبعد كلّ البعد أن يخاطب الله عباده بما لا يفهمون وما دام ميدان اللغة متسعاً للتأويل، وجب التأويل بيد أنهم افترقوا في هذا التأويل

---

(١) سنن الترمذي (٣٦٠٣)، باب: في حسن الظن بالله.

فرقتين فطائفة الأشاعرة يؤولون من غير تعيين، ويقولون: إن المراد من الآية إثبات أنه تعالى متصف بصفة سمعية لا نعلمها على التعيين، تسمى صفة الاستواء.

وطائفة المتأخرين يعينون فيقولون: إن المراد بالاستواء هنا هو الاستيلاء والقهر من غير معاناة ولا تكلف؛ لأن اللغة تتسع لهذا المعنى، فكذلك يكون معنى النصّ الكريم الرحمن استولى على عرش العالم وحكم العالم بقدرته ودبره بمشيئته.

وابن دقيق العيد يقول بهذا التأويل إن رآه قريباً ويتوقف إن رآه بعيداً.

ومثل ذلك في نحو: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧] ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ٣٩﴾ [طه:٣٩] ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠] ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠] ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢] ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام:٥٩].

فالسلف يفوضون في معانيها تفويضاً مطلقاً بعد تنزيه الله عن ظواهرها المستحيلة.

والأشاعرة يفسرونها بصفات سمعية زائدة على الصفات التي نعلمها، ولكنهم يفوضون الأمر في تعيين هذه الصفات إلى الله ﷻ، فهم مؤولون من وجه، مفوضون من وجه.

والمتأخرون يفسِّرون الوجه بالذات، ولفظ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ٣٩﴾ [طه:٣٩] بتربية موسى ملحوظاً بعناية الله وجميل رعايته، ولفظ اليد بالقدرة، ولفظ اليمين بالقوة، والفوقية بالعلو المعنوي دون الحسي، والمجيء في قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢] بمجيء أمره، والعندية في قوله: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام:٥٩] بالإحاطة والتمكن أو بمثل ذلك في الجميع.

وقد أسرف بعضُ الناس في هذا العصر فخاضوا في متشابه الصفات بغير حقٍّ وأتوا في حديثهم عنها وتعليقهم عليها بما لم يأذن به الله ﷻ، ولهم فيها كلمات غامضة

تحتمل التشبيه والتنزيه، وتحتمل الكفر والإيمان، حتىٰ باتت هذه الكلمات نفسها من المتشابهات، ومن المؤسف أنهم يواجهون العامة وأشباههم بهذا.

ومن المحزن أنهم ينسبون ما يقولون إلىٰ سلفنا الصالح، ويخيلون إلىٰ الناس أنهم سلفيون من ذلك قولهم: إن الله تعالىٰ يشار إليه بالإشارة الحسية، وله من الجهات الست جهة الفوق، ويقولون: إنه استوىٰ علىٰ عرشه بذاته استواء حقيقاً، بمعنىٰ أنه استقرّ فوقه استقراراً حقيقياً غير أنهم يعودون فيقولون: ليس كاستقرارنا، وليس علىٰ ما نعرف.

وهكذا يتأولون أمثال هذه الآية، وليس لهم مستندٌ فيما نعلم إلا التشبث بالظواهر، ولقد تجلىٰ لك مذهب السلف والخلف، فلا نطيل بإعادته، ولقد علمت أن حمل المتشابهات في الصفات علىٰ ظواهرها، مع القول بأنها باقية علىٰ حقيقتها ليس رأياً لأحد من المسلمين، وإنّما هو رأي لبعض أصحاب الأديان الأخرىٰ كاليهود والنصارىٰ وأهل النحل الضالة كالمشبهة والمجسمة.

أما نحن معاشر المسلمين، فالعمدة عندنا في أُمور العقائد هي الأدلة القطعية التي توافرت علىٰ أنّه تعالىٰ ليس جسماً ولا متحيّزاً ولا متجزئاً ولا متركباً ولا محتاجاً لأحد، ولا إلىٰ مكان ولا إلىٰ زمان، ولا نحو ذلك، ولقد جاء القرآن بهذا في محكماته؛ إذ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١] ويقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾ [الإخلاص:٤]، ويقول: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر:٧]، ويقول: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر:١٥] وغير هذا كثير في الكتاب والسنة.

فكلُّ ما جاء مخالفاً بظاهره لتلك القطعيات والمحكمات فهو من المتشابهات التي لا يجوز اتباعها كما تبين لك فيما سلف.

ثم إنّ هؤلاء المتحمسين في السلف متناقضون؛ لأنهم يثبتون تلك المتشابهات على حقائقها، ولا ريب أن حقائقها تستلزم الحدوث وأعراض الحدوث كالجسمية والتجزؤ والحركة والانتقال، لكنهم بعد أن يثبتوا تلك المتشابهات على حقائقها ينفون هذه اللوازم مع أن القول بثبوت الملزومات ونفي لوازمها تناقض لا يرضاه لنفسه عاقلٌ، فضلاً عن طالب أو عالم.

فقولهم في مسألة الاستواء الآنفة: إن الاستواء باق على حقيقته، يفيد أنه الجلوس المعروف المستلزم للجسمية والتحيز.

وقولهم بعد ذلك: ليس هذا الاستواء على ما نعرف يفيد أنه ليس الجلوس المعروف المستلزم للجسمية والتحيز، فكأنهم يقولون: إنّه مستو غير مستو، ومستقر فوق العرش غير مستقر، أو متحيز غير متحيز وجسم غير جسم، أو أنّ الاستواء على العرش ليس هو الاستواء على العرش، والاستقرار فوقه ليس هو الاستقرار فوقه إلى غير ذلك من الإسفاف والتهافت.

فإن أرادوا بقولهم: الاستواء على حقيقته أنه على حقيقته التي يعلمها الله ولا نعلمها نحن فقد اتفقنا، لكن بقي أن تعبيرهم هذا موهمٌ لا يجوز أن يصدر من مؤمن خصوصاً في مقام التَّعليم والإرشاد، وفي موقف النقاش والحجاج؛ لأنّ القول بأن اللفظ حقيقة أو مجاز لا ينظر فيه إلى علم الله ﷻ، وما هو عنده، ولكن يُنظر فيه إلى المعنى الذي وُضع له اللفظ في عرف اللغة.

والاستواء في اللغة العربية يدلّ على ما هو مستحيلٌ على الله ﷻ في ظاهره، فلا بد إذن من صرفه عن هذا الظّاهر، واللفظ إذا صُرف عما وُضع له، واستعمل في غير ما وضع له، خرج عن الحقيقة إلى المجاز لا محالة، ما دامت هناك قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

ثم إن كلامهم بهذه الصورة فيه تلبيس على العامة، وفتنة لهم فكيف يواجهونهم

به، ويحملونهم عليه، وفي ذلك ما فيه من الإضلال، وتمزيق وحدة الأمة، الأمر الذي نهانا القرآن عنه، والذي جعل عمر رضي الله عنه يفعل ما يفعل بابن صبيغ، وجعل مالكاً يقول ما يقول، ويفعل ما يفعل بالذي سأله عن الاستواء.

لو أنصف هؤلاء لسكتوا عن الآيات والأخبار المتشابهة، واكتفوا بتنزيه الله تعالى عما توهمه ظواهرها من الحدوث ولوازمه، ثم فوضوا الأمر في تعيين معانيها إلى الله عز وجل وحده، وبذلك يكونون سلفيين حقّاً، لكنها شبهات عرضت لهم في هذا المقام، فشوشت حالهم وبلبلت أفكارهم، فلنعرضها عليك شبهتهم وندفعها:

يقولون: إن القول: بأن الله لا جهة له وأنه ليس فوقاً ولا تحتاً ولا يميناً ولا شمالاً إلى غير ذلك يستلزم أن الله غير موجود، أو هو قول بأن الله غير موجود، فإن التجرد من الإنصاف بهذه المتقابلات جملة أمر لا يوسم به إلا المعدوم، ومَن لم يتشرف بشرف الوجود، وتدفع هذه الشبهة بأمور:

١. أن هذا قياس للغائب على الشاهد، وقياس الغائب على الشاهد فاسد، ذلك أنّ الله تعالى ليس يشبه خلقه، حتى يكون حكمه كحكمهم في وجوب أن يكون له جهة من الجهات الست ما دام موجوداً، وكيف يُقاس المجرد عن المادة بما هو مادي، ثم كيف يستوي الخلق وخالقه في جريان أحكام الخلق على خالقه، إن المادي هو الذي يجب أن يتصف بشيء من هذه المتقابلات، وأن تكون له جهة من تلك الجهات.

٢. نقول لهؤلاء: أين كان الله قبل أن يخلق العرش والفرش والسماء والأرض، وقبل أن يخلق الزمان والمكان، وقبل أن تكون هناك جهات ست، فإن قالوا: لم يكن له جهة ولا مكان، نقول: قد اعترفتم بما نقول نحن به، وهو الآن على ما عليه كان لا جهة له ولا مكان، وإن زعموا أنّ العالم قديم بقدمه فقد تداووا من داء بداء، واستجاروا من الرمضاء بالنار، ووجب أن ننتقل بهم إلى إثبات حدوث العالم.

٣. نقول لهؤلاء: إذا كنتم تأخذون بظواهر النصوص على حقيقتها، فماذا تفعلون

بمثل قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦] مع قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:٣]، أتقولون: إنه في السماء حقيقة أم في الأرض حقيقة، أم فيهما معاً حقيقة، وإذا كان في الأرض وحدها حقيقة، فكيف تكون له جهةٌ فوق، وإذا كان فيهما معاً حقيقة، فلماذا يقال له: جهة فوق، ولا يقال له: جهة تحت، ولماذا يُشار إليه فوق، ولا يشار إليه تحت، ثم ألا يعلمون أن الجهات أمور نسبية فما هو فوق بالنسبة إلينا يكون تحتا بالنسبة إلىٰ غيرنا فأين يذهبون.

٤.نقول لهؤلاء: ماذا تقولون في قوله تعالىٰ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠] بإفراد اليد مع قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] بتثنيتها، ومع قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات:٤٧] بجمعها، فإذا كنتم تعلمون النصوص علىٰ ظواهرها حقيقة، فأخبرونا أله يد واحدة بناء علىٰ الآية الأولىٰ، أم له يدان اثنتان، بناء علىٰ الآية الثانية، أم له أيد أكثر من اثنتين بناء علىٰ الآية الثالثة.

٥.نقول لهؤلاء قد ورد أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر، فيقول: مَن يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له»[1]، فكيف تأخذون بظاهر هذا الخبر مع أن الليل مختلف في البلاد باختلاف المشارق والمغارب، وإذا كان ينزل لأهل كل أفق نزولاً حقيقياً في ثلث ليلهم الأخير، فمتىٰ يستوي علىٰ عرشه حقيقة، كما تقولون، ومتىٰ يكون في السماء حقيقة كما تقولون، مع أن الأرض لا تخلو من الليل في وقت من الأوقات ولا في ساعة من الساعات، كما هو ثابت مسطور لا يماریٰ فيه إلا جهول مأفون.

٦.نقول لهؤلاء: ما قاله حجة الإسلام الغزالي: للمتشبث بظواهر الألفاظ إن كان نزوله من السماء الدنيا ليسمعنا نداءه، فما أسمعنا نداءه فأي فائدة في نزوله، ولقد كان يُمكنه أن ينادينا كذلك، وهو علىٰ العرش أو علىٰ السماء العليا، فلا بُدّ أن يكون

---

(١) في صحيح البخاري٢: ٥٣، وصحيح مسلم١: ٥٢١.

ظاهر النزول غير مراد، وأن المراد به شيء آخر غير ظاهره، وهل هذا إلا مثل مَن يريد وهو بالمشرق إسماع شخص في المغرب، فتقدم إلى المغرب بخطوات معدودة وأخذ يناديه، وهو يعلم أنه لا يسمع نداءه، فيكون نقله الأقدام عملاً باطلاً وسعيه نحو المغرب عبثاً صرفاً لا فائدة فيه، وكيف يستقر مثل هذا في قلب عاقل.

* * *

# المبحث السادس عشر
# أسلوب القرآن الكريم

## تمهيد:

الأسلوب لغة يطلق على الطريق بين الأشجار والفن والوجه والمذهب والشموخ بالانف.

واصطلاحاً: الطَّريقة الكلامية التي يسلكها المتكلِّم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه.

فأسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوب خاص به، فإن لكلِّ كلام إلهيّ أو بشريّ أسلوبه الخاص به، وأساليب المتكلمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعر أو نثر تتعدد بتعدد أشخاصهم، بل تتعدد في الشخص الواحد بتعدد الموضوعات التي يتناولها والفنون التي يعالجها.

ونلفت نظرك إلى أنّ الأسلوب غير المفردات والتراكيب التي يتألف منها الكلام، وإنما هو الطريقة التي انتهجها المؤلف في اختيار المفردات والتراكيب لكلامه، وهذا هو السر في أن الأساليب مختلفة باختلاف المتكلمين من ناثرين وناظمين مع أن المفردات التي يستخدمها الجميع واحدة، والتراكيب في جملتها واحدة، وقواعد صوغ المفردات وتكوين الجمل واحدة.

## خصائص أسلوب القرآن:

إن الخصائص التي امتاز بها أسلوب القرآن والمزايا التي توافرت فيه حتىٰ جعلت له طابعاً معجزاً في لغته وبلاغته أفاض العلماء فيها بين مقل ومكثر، ولكنهم بعد أن طال بهم المطاف، وبعد أن دميت أقدامهم، وحفيت أقلامهم، لم يزيدوا علىٰ أن قدموا إلينا قلاً من كثرة، وقطرة من بحر، معترفين بأنهم عجزوا عن الوفاء، وأن ما خفي عليهم فلم يذكروه أكثر مما ظهر لهم فذكروه، وأنهم لم يزيدوا علىٰ أن قربوا لنا البعيد، بضرب من التمثيل رجاء الإيضاح والتبيين، أمّا الاستقصاء والإحاطة بمزايا الأسلوب القرآني وخصائصه علىٰ وجه الاستيعاب فأمر استأثر به منزله الذي عنده علم الكتاب، فما نذكره من خصائص أسلوب القرآن فهو علىٰ وجه التمثيل والتقريب أيضا وما لا يدرك كله لا يترك أقله:

١. **مسحة القرآن اللفظية**، فإنها مسحة خلابة عجيبة، تتجلىٰ في نظامه الصوتي وجماله اللغوي، ونريد بنظام القرآن الصوتي اتساق القرآن، وائتلافه في حركاته وسكناته ومداته وغناته واتصالاته وسكتاته اتساقاً عجيباً، وائتلافاً رائعاً، يسترعي الأسماع، ويستهوي النفوس بطريقة لا يُمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور.

فعن ابن عباس ﵄: «أن الوليد بن المغيرة جاء إلىٰ رسول الله، فلما قرأ عليه القرآن كأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال له: يا عمّ إن قومَك يريدون أن يجمعوا لك مالاً؛ ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً؛ لتعرض لما قِبَله، قال الوليد: لقد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال فقل: فيه قولاً يبلغ قومك أنّك منكر له وكاره، قال: وماذا أقول: فوالله ما فيكم من رجل أعلم مني بالشعر، لا برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا، ووالله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمنير أعلاه، مشرق أسفله، وإنّه ليعلو ولا يُعلىٰ، وإنه ليحطم ما تحته، قال أبو جهل للوليد: لا يرضى عنك قومك حتىٰ تقول فيه، فقال الوليد: دعني أُفكر فلمّا فكّر قال: هذا سحر

يأثره عن غيره، وفي ذلك نزل قوله تعالىٰ: «ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر»(١).

فانظر إلىٰ الرجل حين أرسل نفسه علىٰ سجيتها العربية وبديهتها الفطرية، كيف أنصف في حكمه حين تجرد ساعة من عناده وكفره.

٢. **إرضاؤه العامة والخاصة**، ومعنىٰ هذا أنّ القرآن الكريم إذا قرأته علىٰ العامة أو قرئ عليهم أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته وفهموا منه علىٰ قدر استعدادهم ما يرضي عقولهم وعواطفهم، وكذلك الخاصة إذا قرؤوه أو قرئ عليهم أحسوا جلاه وذاقوا حلاوته وفهموا منه أكثر مما يفهم العامة، ورأوا أنهم بين يدي كلام ليس كمثله كلام لا في إشراق ديباجته، ولا في امتلائه وثروته، ولا كذلك كلام البشر، فإنه إن أرضى الخاصة والأذكياء لجنوحه إلىٰ التجوز والإغراب والإشارة لم يرض العامة؛ لأنهم لا يفهمونه، وإن أرضى العامة لجنوحه إلىٰ التصريح والحقائق العارية المكشوفة لم يرض الخاصة؛ لنزوله إلىٰ مستوىٰ ليس فيه متاع لأذواقهم ومشاربهم وعقولهم.

٣. **إرضاؤه العقل والعاطفة**، ومعنىٰ هذا أن أسلوب القرآن يخاطب العقل والقلب معاً، ويجمع الحق والجمال معاً، انظر إليه مثلاً، وهو في معمعان الاستدلال العقلي علىٰ البعث والإعادة في مواجهة منكريها، كيف يسوق استدلاله سوقاً يهز القلوب هزاً، ويمتع العاطفة إمتاعاً بما جاء في طي هذه الأدلة المسكتة المقنعة.

إذ قال الله ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت:٣٩]، وقال ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا

---

(١) في المستدرك٢: ٥٥٠، وصححه، والاعتقاد للبيهقي١: ٢٦٨، وشعب الإيمان١: ٢٨٧.

رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق:١١].

تأمل في الأسلوب البارع الذي أقنع العقل، وأمتع العاطفة في آن واحد، حتى في الجملة التي هي بمثابة النتيجة من مقدمات الدليل؛ إذ قال في الآية الأولى: إن الذي أحياها لمحيي الموتى، وفي الآيات الأخيرة كذلك الخروج، يا للجمال الساحر، ويا للإعجاز الباهر الذي يستقبل عقل الإنسان وقلبه معاً بأنصع الأدلة، وأمتع المعروضات في هذه الكلمات المعدودات.

٤. **جودة سبك القرآن، وإحكام سرده**، ومعنى هذا أنّ القرآن بلغ من ترابط أجزائه، وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره مبلغاً لا يدانيه فيه أي كلام آخر مع طول نفسه، وتنوع مقاصده وافتنانه وتلوينه في الموضوع الواحد.

وآية ذلك أنك إذا تأمّلت في القرآن الكريم وجدت منه جسماً كاملاً تربط الأعصاب والجلود والأغشية بين أجزائه، ولمحت فيه روحاً عاماً، يبعث الحياة والحس، على تشابك وتساند بين أعضائه، فإذا هو وحدة متماسكة متآلفة، على حين أنه كثرة متنوعة متخالفة، فبين كلمات الجملة في السورة الواحدة من التناسق ما جعلها رائعة التجانس والتجاذب، وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط ما جعلها وحدة صغيرة متآخذة الأجزاء، متعانقة الآيات، وبين سور القرآن من التناسب ما جعله كتاباً سوي الخلق حسن السمت.

٥. **براعته في تصريف القول**، وثروته في أفانين الكلام، ومعنى هذا أنه يورد المعنى الواحد بألفاظ وبطرق مختلفة، بمقدرة فائقة خارقة، تنقطع في حلبتها أنفاس الموهوبين من الفصحاء والبلغاء، ونمثل على ذلك في تعبيره عن طلب الفعل من المخاطبين بالوجوه الآتية:

الإتيان بصريح مادة الأمر نحو قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[النساء:٥٨].

والأخبار بأن الفعل مكتوب على المكلفين نحو: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣].

والإخبار بكونه على الناس نحو: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾[آل عمران:٩٧].

والإخبار عن المكلفين بالفعل المطلوب منه نحو: ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾[البقرة:٢٢٨]: أي مطلوب منهن أن يتربصن.

والإخبار عن المبتدأ، بمعنى يطلب تحقيقه من غيره نحو: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗا﴾ [آل عمران:٩٧] أي مطلوب من المخاطبين تأمين دخل الحرم.

وطلب الفعل بصيغة فعل الأمر نحو: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨]، أو بلام الأمر نحو: ﴿ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩﴾[الحج:٢٩].

والإخبار عن الفعل بأنه خير، نحو: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ﴾ [البقرة:٢٢٠].

ووصف الفعل وصفاً عنوانياً بأنه بر، نحو: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة:١٨٩].

ووصف الفعل بالفريضة نحو: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ [الأحزاب:٥٠]: أي من بذل المهور والنفقة.

وترتيب الوعد والثواب على الفعل نحو: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾[البقرة:٢٤٥].

وترتيب الفعل على شرط قبله نحو: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة:١٩٦].

وإيقاع الفعل منفياً معطوفاً عقب استفهام نحو: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧)﴾ [النحل:١٧]: أي تذكروا.

وإيقاع الفعل عقب ترج نحو: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣)﴾ [القصص:٧٣].

وترتيب وصف شنيع على ترك الفعل نحو: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾ [المائدة:٤٤].

**٦.جمع القرآن بين الإجمال والبيان مع أنها غايتان متقابلتان لا يجتمعان في كلام واحد للناس،** بل كلامهم إمّا مجمل وإما مبين؛ لأنّ الكلمة إما واضحة المعنى لا تحتاج إلى بيان، وإما خفية المعنى تحتاج إلى بيان، ولكن القرآن وحده هو الذي انحرقت له العادة، فتسمع الجملة منه، وإذا هي بينة مجملة في آن واحد.

أما أنها مبينة فلأنها واضحة المغزى وضوحاً يريح النفس من عناء التنقيب والبحث لأول وهلة، فإذا أمعنت النظر فيها لاحت منها معان جديدة كلها صحيح أو محتمل؛ لأن يكون صحيحاً، وكلما أمعنت فيها النظر زادتك من المعارف والأسرار بقدر ما تصيب أنت من النظر، وما تحمل من الاستعداد.

ولهذا السر وسع كتاب الله جميع أصحاب المذاهب، ووجد أصحاب هذه المذاهب المختلفة والمشارب المتباينة شقاء أنفسهم وعقولهم فيه، وأخذت الأجيال المتعاقبة من مدده الفياض، ما جعلهم يجتمعون عليه، ويدينون به.

**٧.قصد القرآن في اللفظ مع وفائه بالمعنى،** ومعنى هذا إنك في كلّ من جمل القرآن تجد بياناً قاصداً مقدراً على حاجة النفوس البشرية من الهداية الإلهية، دون أن يزيد اللفظ على المعنى أو يقصر عن الوفاء بحاجات الخلق من هداية الخالق، ومع هذا القصد اللفظي البريء من الإسراف والتقتير تجده قد جلى لك المعنى في صورة كاملة،

لا تنقص شيئاً يعتبر عنصراً أصلياً فيها أو حلية مكملةً لها، كما أنها لا تزيد شيئاً يعتبر دخيلاً فيها وغريباً عنها، بل هو كما قال الله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١].

قال محمد عبد الله دارز[1]: «إن القرآن الكريم يستثمر دائما برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني أجل تلك ظاهرة بارزة فيه كله يستوي فيها مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام الإيجاز، ومواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب، ولذلك نسميه إيجازاً كله؛ لأننا نراه في كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد، ولا يميل إلى الإسراف ميلاً ما، ونرى أن مراميه في كلا المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر والحلي بأقل من ألفاظه، ولا بما يساويها، فليس فيه كلمة إلا هي مفتاح لفائدة جليلة».

* * *

(١) في النبأ العظيم ص١٦٢.

# المبحث السابع عشر
# إعجاز القرآن وما يتعلق به

الناظر في هذا الكتاب الكريم بإنصاف تتراءى له وجوه كثيرة مختلفة من الإعجاز، كما تتراءى للناظر إلى قطعة من الماس ألوان عجيبة متعددة بتعدد ما فيها من زوايا وأضلاع، ومختلفة باختلاف ما يكون عليه الناظر، وما تكون عليه قطعة الماس من الأوضاع.

## وجوه إعجاز القرآن:

١. **لغته وأسلوبه؛** لأن القرآن جاء بهذا الأسلوب الرائع الخلاب الذي اشتمل على تلك الخصائص العليا، والتي لم تجتمع بل لم توجد خاصة واحدة منها في كلام على نحو ما وجدت في القرآن، وكل ما كان من هذا القبيل، فهو لا شك معجز خصوصاً أن النبي ﷺ تحدى به، فأعجز أساطين الفصحاء وأعيا مقاويل البلغاء، وأخرس ألسنة فحول البيان من أهل صناعة اللسان، وذلك في عصر كانت القوى فيه قد توافرت على الإجادة والتبريز في هذا الميدان، وفي أمة كانت مواهبها محشودة للتفوق في هذه الناحية.

ومن عجيب أمر هذا القرآن وأمر هؤلاء العرب أنه طاولهم في المعارضة وتنازل لهم عن التحدي بجميع القرآن إلى التحدي بعشر سور مثله، ثم إلى التحدي بسورة واحدة من مثله، وهم على رغم هذه المطاولة، ينتقلون من عجز إلى عجز، ومن هزيمة إلى هزيمة، وهو في كل مرّة من مرات هذا التحدي، وهذه المطاولة ينتقل من فوز إلى فوز، ويخرج من نصر إلى نصر.

تصور أنه قال لهم أول ما تحداهم ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٤].

فلما انقطعوا مد لهم في الحبل وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٤].

فلما عجزوا هذه المرة أيضاً طاولهم مرّة أخرىٰ وأرخىٰ لهم الحبل إلىٰ آخره وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤]، فكان عجزهم بعد ذلك أشنع وأبشع، وسجل الله عليهم الهزيمة أبد الدهر.

وهنا نلفت النظر إلىٰ أن القرآن بما اشتمل عليه من هذه المعجزات الكثيرة، قد كتب له الخلود، فلم يذهب بذهاب الأيام، ولم يمت بموت الرسول ﷺ، بل هو قائم في فم الدنيا يحاج كلّ مكذب، ويتحدىٰ كلّ منكر، ويدعو أمم العالم جمعاء إلىٰ ما فيه من هداية الإسلام، وسعادة بني الإنسان، ومن هذا يظهر الفرق جلياً بين معجزات نبي الإسلام ومعجزات إخوانه الأنبياء عليهم أزكىٰ الصلاة وأتم السلام، فمعجزات محمد ﷺ في القرآن وحده آلاف مؤلفة، وهي متمتعة بالبقاء إلىٰ اليوم، وإلىٰ ما بعد اليوم حتىٰ يرث الله ﷻ.

قال بعقيلة الحنفي[1]: «والتحقيق أن أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في درجات البيان متفاوتة، فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائز الطلق الرسل.

(١) في الزيادة والإحسان٦: ٣٩٧ـ٣٩٨.

وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود، فالأول أعلاها، والثاني أوسطها، والثالث أدناها وأقربها، فجازت بلاغة القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع شعبة، فانتظم لها بانتظام هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع بين صفتي الفخامة والعذوبة، وهما على الانفراد في نعوتهما المتضادين؛ لأن العذوبة نتاج السهولة؛ الجزالة والمتانة تعالجان نوعًا من الزعورة ـ أي تشتت المعنى وصعوبته ـ، فكان اجتماع الأمرين في نظمه، مع نبو كل واحد منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن، ليكون آية بينة لنبيه ﷺ.

وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور: منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وأوضعها التي هي ظروف المعاني، ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض فيتوصلوا باختيار الأفضل من الأحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله، وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حاصل، ومعنى به قائم، وربط لهما ناظم.

وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل، ولا أعذب من ألفاظاً؛ ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا، وأشد تلاؤمًا وتشاكلاً من نظمه.

وأما معانيه، فكلُّ ذي لبّ يشهد له بالتقدم في أبوابه، والترقي إلى أعلى درجاته.

وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام، فإما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه، فلم توجد إلا في كلام العليم القدير، فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزًا؛ أنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف»

٢. **طريقة تأليفه**؛ لأن القرآن لم ينزل جملة واحدة، وإنّما نزل مفرقاً منجماً على أكثر من عشرين عاماً على حسب الوقائع والدواعي المتجددة، وكان الرسول ﷺ كلما نزل

عليه نجم من تلك النجوم، قال: ضعوه في مكان كذا من سورة كذا، وهو بشر لا يدري طبعاً ما ستجيء به الأيام، ولا يعلم ما سيكون في مستقبل الزمان، ولا يدرك ما سيحدث من الدواعي والأحداث فضلاً عما سينزل فيها.

ثم مضىٰ العمر الطويل والرسول ﷺ علىٰ هذا العهد، وإذا القرآن كله بعد ذلك يكمل ويتم وينتظم ويتآخىٰ ويأتلف وينسجم، ولا يؤخذ عليه شيء من التخاذل والتفاوت، بل كان من ضروب إعجازه ما فيه من انسجام ووحده وترابط، حتىٰ إن الناظر فيه دون أن يعلم بتنجيم نزوله لا يخطر علىٰ باله أنه نزل منجماً، وحتىٰ إنّك مهما أمعنت النظر وبحثت لا تستطيع أن تجد فرقاً بين السور التي نزلت جملة، والسور التي نزلت منجمة من حيث إحكام الربط في كلّ منهما.

فسورة البقرة مثلاً وقد نزلت بضعة وثمانين نجماً في تسع سنين لا تجد فرقاً بينها وبين سورة الأنعام التي نزلت دفعة واحدة من حيث نظام المبنىٰ ودقة المعنىٰ وتمام الوحدة الفنية.

وإذا قرأت سورة الضحىٰ، وسورة اقرأ، وسورة الماعون، لا تشعر بفارق بينها وبين كثير من السور القصار مثلها من حيث الإحكام والوحدة والانسجام، كذلك علىٰ حين أن تلك السور الثلاث نزلت كلّ واحدة منها مفرّقة علىٰ نجمين.

فهل يجوز في عقل عاقل أن يكون هذا القرآن كلام محمد ﷺ، أو غير محمد ﷺ مع ما علمت من هذا الانفصال الزماني البعيد بين أول ما نزل وآخره، ومع ما علمت من ارتباط كل نجم بحادثة من أحداث الزمن ووقائعه، ومع ما علمت من أن ترتيب هذه النجوم في القرآن ليس علىٰ ترتيب هذا النزول الخاضع للحدثين، بدليل أن أول ما نزل من القرآن إطلاقاً، وهو صدر سورة اقرأ مدون بالمصحف في أواخره، وبدليل أن آخر ما نزل منه إطلاقاً، وهو آية: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١] مدون بالمصحف في أوائله.

٣.**علومه ومعارفه**؛ لأنّ القرآن قد اشتمل على علوم ومعارف في هداية الخلق إلى الحق، بلغت في نباله القصد ونصاعة الحجة وحسن الأثر، وعموم النفع مبلغاً يستحيل على محمد ﷺ، وهو رجل أميّ نشأ بين الأميين أن يأتي بها من عند نفسه، بل يستحيل على أهل الأرض جميعا من علماء وأدباء وفلاسفة ومشترعين وأخلاقيين أن يأتوا من تلقاء أنفسهم بمثلها.

هذا هو التنزيل الحكيم تقرؤه، فإذا بحر العلوم والمعارف متلاطم زاخر، وإذا روح الإصلاح فيه قويّ قاهرٌ، ثم إذا هو يجمع الكمال من أطرافه فبينما تراه يصلح ما أفسده الفلاسفة بفلسفتهم؛ إذ تراه يهدم ما تردى فيه الوثنيون بشركهم، وبينما تراه يصحح ما حرفه أهل الأديان في دياناتهم؛ إذ تراه يقدم للإنسانية مزيجاً صالحاً من عقيدة راشدة ترفع همة العبد، وعبادة قويمة تطهر نفس الإنسان، وأخلاق عالية تؤهل المرء؛ لأن يكون خليفة الله في الأرض، وأحكام شخصية ومدنية واجتماعية تكفل حماية المجتمع من الفوضى والفساد، وتضمن له حياة الطمأنينة والنظام والسلام والسعادة.

ديناً قيماً يساوق الفطرة ويوائم الطبيعة ويشبع حاجات القلب والعقل ويوفق بين مطالب الروح والجسد، ويؤلف بين مصالح الدين والدنيا، ويجمع بين عزّ الآخرة والأولى، كل ذلك في قصد واعتدال وببراهين واضحة مقنعة، تبهر العقل وتملك اللب.

٤.**وفاؤه بحاجات البشر**؛ لأنّ القرآن الكريم جاء بهدايات تامّة كاملة تفي بحاجات البشر في كل عصر ومصر، وفاء لا تظفر به في أي تشريع، ولا في أي دين آخر، ويتجلى لك هذا إذا استعرضت المقاصد النبيلة التي رمى إليها القرآن في هدايته، ومنها:

أ. إصلاح العقائد عن طريق إرشاد الخلق إلى حقائق المبدأ والمعاد، وما بينهما تحت عنوان الإيمان بالله تعالى وملائكته ورسله واليوم الآخر.

ب.إصلاح العبادات عن طريق إرشاد الخلق إلىٰ ما يزكي النفوس، ويغذي الأرواح، ويقوم الإرادة، ويفيد الفرد والمجموع منها.

ج.إصلاح الأخلاق عن طريق إرشاد الخلق إلىٰ فضائلهم، وتنفيرهم من رذائلها في قصد واعتدال، وعند حد وسط لا إفراط فيه ولا تفريط.

د.إصلاح الاجتماع عن طريق إرشاد الخلق إلىٰ توحيد صفوفهم ومحو العصبيات وإزالة الفوارق التي تباعد بينهم، وذلك بإشعارهم أنهم جنسٌ واحدٌ من نفس واحدة، ومن عائلة واحدة أبوهم آدم وأمهم حواء، وأنه لا فضل لشعب علىٰ شعب، ولا لأحد علىٰ أحد إلا بالتقوىٰ.

هـ.إصلاح السياسة أو الحكم الدولي عن طريق تقرير العدل المطلق، والمساواة بين الناس، ومراعاة الفضائل في الأحكام والمعاملات، من الحق والعدل والوفاء بالعهود والرحمة والمواساة والمحبة واجتناب الرذائل من الظلم والغدر ونقض العهود والكذب والخيانة والغش وأكل أموال الناس بالباطل كالرشوة والربا والتجارة بالدين والخرافات.

و.الإصلاح المالي عن طريق الدعوة إلىٰ الاقتصاد وحماية المال من التلف والضياع ووجوب إنفاقه في وجوه البر، وأداء الحقوق الخاصة والعامة والسعي المشروع.

ز.الإصلاح النِّسائي عن طريق حماية المرأة واحترامها وإعطائها جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية.

ح. الإصلاح الحربي عن طريق تهذيب الحرب ووضعها علىٰ قواعد سليمة لخير الإنسانية في مبدئها وغايتها، ووجوب التزام الرحمة فيها والوفاء بمعاهداتها، وإيثار السلم عليها، والاكتفاء بالجزية عند النصر والظفر فيها.

ط. تحرير العقول والأفكار ومنع الإكراه والاضطهاد والسيطرة الدينية القائمة على الاستبداد والغطرسة، فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر.

٥.**موقف القرآن من العلوم الكونية؛** لأنّ القرآن روعيت فيه بالنسبة إلى العلوم الكونية اعتبارات خمسة لا يصدر مثلها عن مخلوق فضلاً عن رجل أميّ نشأ في الأميين وهو محمد ﷺ، وهي:

أ.أنه لم يجعل تلك العلوم الكونية من موضوعه، وذلك لأنها خاضعة لقانون النشوء والارتقاء، وفي تفاصيلها من الدِّقة والخفاء ما يعلو على أفهام العامة، ثم إن أمرها بعد ذلك هين بإزاء ما يقصده القرآن من إنقاذ الإنسانية العاثرة، وهداية الثقلين إلى سعادة الدنيا والآخرة، فلا يليق أن نتجاوز به حدود الهداية والإعجاز حتى إذا ذكر فيه شيء من الكونيات، فإنما ذلك للهداية، ودلالة الخلق على الخالق.

ولا يقصد القرآن مطلقاً من ذكر هذه الكونيات أن يشرح حقيقة علمية في الهيئة والفلك أو الطبيعة والكيمياء، ولا أن يحل مسألة حسابية أو معادلة جبرية أو نظرية هندسية، ولا أن يزيد في علم الطب باباً، ولا في علم التشريح فصلاً، ولا أن يتحدث عن علم الحيوان، أو النبات أو طبقات الأرض إلى غير ذلك.

ب. أنّ القرآن دعا إلى هذه العلوم ما دعا إليه من البحث والنظر والانتفاع بما في الكون من نعم وعبر، قال ﷻ: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:١٠١]، وقال ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية:١٣].

ج.أنّ القرآنَ حين عرض لهذه الكونيات، أشعرنا أنها مربوبة له تعالى، ومقهورة لمراده، ونفى عنها ما عَلَقَ بأذهان كثير من الضَّالين الذين توهموها آلهة، وهي مألوهة وزعموها ذات تأثير وسلطان بينما هي خاضعة لقدرة الله وسلطانه، ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر:٤١].

د.أنّ القرآن حين يعرض لآية كونية في معرضة من معارض الهداية يتحدث عنها، حديث المحيط بعلوم الكون، الخبير بأسرار السموات والأرض، الذي لا تخفى عليه خافية في البر والبحر ولا في النجوم والكواكب ولا في السحاب والماء ولا في الإنسان والحيوان والنبات والجماد، وذلك هو الذي بهر بعض المشتغلين بالعلوم الكونية، وأوقع من أوقع منهم في الإسراف واعتبار هذه العلوم من علوم القرآن.

هـ.أنّ الأسلوب الذي اختاره القرآن في التعبير عن آيات الله الكونية أسلوب بارع جمع بين البيان والإجمال في سمط واحد، بحيث يمرّ النَّظم القرآني الكريم على سامعيه في كلِّ جيل وقبيل، فإذا هو واضح فيما سبق له من دلالة الإنسان وهدايته إلى الله، ثم إذا هو مجمل التفاصيل يختلف الخلق في معرفة تفاريعه ودقائقه باختلاف ما لديهم من مواهب ومسائل وعلوم وفنون.

٦.**سياسته في الإصلاح**؛ لأن القرآن انتهج طريقاً عجيباً في إصلاحه، وسلك سياسة حكيمة وصل بها من مكان قريب إلى ما أراد من هداية الخلق، فتذرع بجميع الوسائل المؤدية إلى نجاح هذا الإصلاح الوافي بكل ما يحتاج إليه البشر مما يدل بوضوح، على أنّ القرآنَ في سياسته هذه لا يُمكن أن يصدر عن نفس محمد ﷺ ولا غير محمد ﷺ، ويظهر هذا فيما يلي:

أ.مجيء هذا الكتاب منجماً، ومخالفته بذلك سائر كتب الله الإلهية بعدا بالناس عن الطفرة وتيسيراً لتلقيهم إياه وقبولهم ما جاء به على نحو ما بينا في أسرار التنجيم.

ب.مجيء هذا الكتاب بذلك الأسلوب الشائق الرائع الحبيب إلى نفوسهم؛ ليكون لهم من هذا الأسلوب دافع إلى الإقبال عليه، والاستئناس بما جاء من تعاليمه، وإن كانت مخالفة لما مردوا عليه من قبل.

ج. مجيء هذا الكتاب على غير المعهود في تأليف القوانين والعلوم والفنون والآداب من بناء تقسيمها وتبويبها على الموضوعات بحيث يختص كل باب من الكتاب بموضوع معين، ويختص كل فصل من فصول هذا الباب بمسألة أو مسائل، وهكذا فأنت تجد في الغالب كل سورة من سور القرآن جامعة لمزيج من مقاصد وموضوعات يشعر الناظر فيها بمتعة ولذّة كما تنقل بين هذه المقاصد في السورة الواحدة.

د. تكرار ما يستحقّ التّكرار من الأمور المهمة، حتى يجد سبيله إلى النُّفوس النافرة والطباع العصية، فتسلس له القيادة، وتلقى إليه السلم، مثال ذلك تقرير القرآن لعقيدة التوحيد واستئصاله لشأفة الشرك بوساطة الحديث عنهما مراراً وتكراراً، تارة يصرح، وأخرى يلوح، وتارة يوجز، وأخرى يطنب، وتارة يذكر العقيدة مرسلة، وأخرى يذكرها مدللة، وتارة يشفعها بدليل واحد، وأخرى بجملة أدلة، وتارة يضرب لها الأمثال، وأخرى يسوق فيها القصص، وتارة يقرنها بالوعد، وأخرى بالوعيد.

هـ. مخاطبة العقول والأفكار ودعوته إلى إعمال النظر، وطلب الدليل والبرهان، ونعيه على من أهملوا العقول، واستمرؤوا التقليد الأعمى، وركنوا إلى الجمود، اقرأ قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة:١٧٠]، وقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال:٢٢]، وقوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩].

و. استغلاله الغرائز النَّفسية استغلالاً صالحاً بعد أن يُهذبها بالدَّليل ويصقلها بالبرهان، هذه غريزة التقليد والمحاكاة في الإنسان مثلاً، قد نأى بها القرآن عن احتذاء الأمثلة السيئة من الجهلة والفسقة، وذهب بها إلى مقام أمين من وجوب اتباع الأمثلة الطيبة والتأسي بمَن أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الصالحين وحسن

أولئك رفيقا، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١] {﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١] ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ [الأنعام:٩٠].

ز. ترتيبه الأوامر والنواهي ترتيباً يسع جميع الناس على تفاوت استعدادهم ومواهبهم، فالأوامر الدينية درجات، هذا إيمان، وهذا إسلام، وهذا ركن، وهذا فرض، وهذا واجب، وهذا مندوب مؤكد، وهذا مندوب غير مؤكد، والمناهي كذلك درجات هذا نفاق، وهذا شرك، وهذا كفر، وهذه كبيرة، وهذه صغيرة، وهذا مكروه تحريماً وهذا مكروه تنزيهاً، وما وراء هذه الأوامر والنواهي، فمباحات لكل أن يأخذ وأن يدع منها ما شاء.

ح. مجيء القرآن بمطالب الروح والجسد جميعاً بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، وفي ذلك آيات كثيرة تقدم التنويه بها في مناسبات أخرى، ومن أجلها كان المسلمون أمةً وسطاً بين من تغلب عليهم المادية والحظوظ الجسدية كاليهود، ومن تغلب عليهم النواحي الروحية وتعذيب الجسد وإذلال النفس كالهندوس والنصارى في تعاليمهم.

ط. مجيء القرآن بمطالب الدنيا والآخرة جميعاً عن طريق التزام تعاليمه وهداياته التي أجملنا مقاصدها لا عن طريق الاعتقادات الخاطئة والأماني الكاذبة والتواكل وترك العمل، والآيات في هذا المعنى أظهر من أن تذكر.

ي. مجيء القرآن بالتيسير ورفع الحرج عن النّاس، ﴿ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾ [الحج:٧٨] ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥] ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة:٣]، ﴿مَن كَفَرَ

بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [النحل:١٠٦]، وهذا باب واسع وضع منه علماؤنا قواعد عامة كقولهم: المشقة تجلب التيسير، والضرورات تبيح المحظورات، ثم فرعوا عليها فروعا وسعت، ولا تزال تسع الناس أجمعين.

٧.**أنباء الغيب فيه؛** لأن القرآن قد اشتمل على أخبار كثيرة من الغيوب التي لا علم لمحمد ﷺ بها، ولا سبيل لمثله أن يعلمها مما يدل دلالة بينة على أن هذا القرآن المشتمل على تلك الغيوب لا يعقل أن يكون نابعاً من نفس محمد ﷺ، ولا غير محمد ﷺ من الخلق، بل هو كلام علام الغيوب، وقيوم الوجود الذي يملك زمام العالم، ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩] ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [الأنعام:٥٩].

من ذلك قصص عن الماضي البعيد المتغلغل في أحشاء القدم، وقصص عن الحاضر الذي لا سبيل لمحمد ﷺ إلى رؤيته ومعرفته فضلاً عن التحدث به، وقصص عن المستقبل الغامض الذي انقطعت دونه الأسباب وقصرت عن إدراكه الفراسة والألمعية والذكاء.

وسر الإعجاز في ذلك كله أنه وقع كما حدث وما تخلف وجاء على النحو الذي أخبر به في إجمال ما أجمل، وتفصيل ما فصل، وأنه إن أخبر عن غيب الماضي صدقه ما شهد به التاريخ، وإن أخبر عن غيب الحاضر صدقه ما جاء به الأنبياء، وما يجد في العالم من تجارب وعلوم، وإن أخبر عن غيب المستقبل صدقه ما تلده الليالي وما تجيء به الأيام.

٨.**آيات العتاب؛** لأن القرآن سجل في كثير من آياته بعض أخطاء في الرأي على الرسول ﷺ، ووجه إليه بسببها عتاباً نشعر بلطفه تارة، وبعنفه أخرى، ولا ريب أن العقل المنصف يحكم جازماً بأن هذا القرآن كلام الله وحده، ولو كان كلام محمد ﷺ ما سجل على نفسه هذه الأخطاء، وهذا العتاب يتلوهما الناس بل ويتقربون إلى الله بتلاوتهما حتى يوم المآب.

**٩.ما نزل بعد طول انتظار**؛ لأنّ القرآنَ آيات كثيرة تناولت مهمات الأمور، ومع ذلك لم تنزل إلا بعد تلبث وطول انتظار، فدل هذا على أن القرآن كلام الله لا كلام محمد ﷺ؛ لأنه لو كان كلام محمد ﷺ ما كان معنى لهذا الانتظار، فإن الانتظار في ذاته شاق وتعلقه بمهمات الأمور يجعله أشق خصوصاً على رجل عظيم يتحدى قومه بل تحدى العالم كله.

مثل: حادث تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة نزل فيه قول الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٤]، فأنت تفهم معي من هذه الآية أن محمداً كان يتحرَّق شوقاً إلى تحويل القبلة إلى الكعبة ومن أجل ذلك كان يقلب وجهه في السماء تلهفاً إلى نزول الوحي بهذا التحويل، ولقد طال به الأمر سنة ونصف سنة، وهو يستقبل بيت المقدس، فلو كان القرآن من وضعه لنفس عن نفسه وأسعفها بهذا الذي تهفو إليه نفسه ويصبو إليه قومه لأن الكعبة في نظرهم هي مفخرتهم ومفخرة آبائهم من قبلهم.

ومثل: حادث الإفك، وهو من أخطر الأحداث، وأشنعها لم ينزل القرآن فيه، إلا بعد أن مضى على الحادث قرابة أربعين يوماً على حين أنه يتصل بعرض الرسول ﷺ وعرض صديقه الأول أبي بكر ﷺ، وقام على اتهام أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق ورميها بأقذر العار، وهو عار الزنى.

فلو كان القرآن كلام محمد ﷺ ما بخل على نفسه بتلك الآيات التي تنقذ سمعته وسمعة زوجه الحصان الطاهرة، ولما انتظر يوماً واحداً في القضاء على هذه الوشايات الحقيرة الآثمة التي تولى كبرها أعداء الله المنافقون، اقرأ قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ﴾ [النور:١١] إلى قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور:٢٦].

**١٠.مظهر النّبيّ ﷺ عند هبوط الوحي عليه؛** لأنّ النبي كان في أول عهده بالوحي يتعجل في تلقفه ويحرك لسانه بالقرآن من قبل أن يفرغ أمين الوحي من إيحائه إليه، وذلك للإسراع بحفظه والحرص على استظهاره حتى يبلغه للناس كما أنزل، وكان ﷺ يجد من ذلك شدة على نفسه فوق الشدة العظمى التي يحسها من نزل الوحي عليه، حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد، وحتى إن جسمه ليثقل بحيث يحس ثقله من بجواره، وحتى أن وجهه ليحمر ويسمع له غطيط، كما سبق.

قال ﷻ: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾ [الأعلى:٦]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه:١١٤]، ألا ترى في هذا كله نوراً يهدي إلى أن القرآن كلام الله وحده، ومحال أن يكون كلام محمد ﷺ، وإلا لما احتاج إلى هذا العناء.

**١١.آية المباهلة؛** لأنّ القرآن دعا إلى المباهلة، وهي مفاعلة من الابتهال والضراعة إلى الله بحرارة واجتهاد، فأبى المدعوون، وهم النصارى من أهل نجران أن يستجيبوا لها وخافوها، ولاذوا بالفرار منها، مع أنها لا تكلفهم شيئا سوى أن يأتوا بأبنائهم ونسائهم، ويأتي الرسول بأبنائه ونسائه ثم يجتمع الجميع في مكان واحد يبتهلون إلى الله ويضرعون إليه بإخلاص، وقوة أن ينزل لعنته وغضبه على من كان كاذباً من الفريقين، قال ﷻ: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦١ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٢﴾ [آل عمران:٦٢].

**١٢.عجز الرَّسول ﷺ عن الإتيان ببدل له؛** لأن أعداء الإسلام طلبوا النبي ﷺ أن يأتي بقرآن غير هذا القرآن أو أن يبدله فلم يفعل، وما ذاك إلا لأن القرآن ليس كلامه، بل هو خارج عن طوقه آت من فوقه، ولو كان كلامه لاستطاع أن يأتي بغيره، وأن يبدله حين اقترحوا عليه.

وحينئذٍ يكتسب أنصاراً إلى أنصاره، ويضم أعواناً إلى أعوانه، ويكون ذلك

أروج لدعوته التي يحرص على نجاحها، لكنه أعلن عجزه عن إجابة هذه المقترحات، وأبدى مخاوفه إن هو أقدم على هذا الذي سألوه، وتنصل من نسبة القرآن إليه، مع أنه الفخر كل الفخر وألقمهم حجراً في أفواههم بتلك الحجة التي أقامها عليهم، وهي أنه نشأ فيهم لا يعرف ولا يعرفون عنه ذلك الذي جاء به، وهو القرآن.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس:١٦]، والمعنى أن القرآن فوق طاقتي وليس من مقدوري وما أنا إلا ناقل له أتبع ما يوحى إلي منه، وإني أخاف سطوة صاحب هذا الكتاب، إذا أنا تلاعبت بنصوصه أو غيرت فيه، فالقرآن كلامه.

١٣. الآيات التي تجرد الرسول ﷺ من نسبتها إليه؛ لأنك تقرأ القرآن، فتجد فيه آيات كثيرة تجرد الرسول محمداً ﷺ من أن يكون له فيها حرف أو كلمة، وتصفه بأنه كان قبل نزول القرآن لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، وتمتن عليه بأن الله آتاه الكتاب والحكمة، بعد أن كان بعيداً عنهما وغير مستعد لهما، ولم يكن عنده رجاء من قبل؛ لأنّ يكون منهل هذا الفيض ولا مشرق ذلك النور.

قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء:١١٣] وقال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى:٥٢].

والقرآن من أيَّة ناحية أتيته لا ترى فيه إلا أنواراً متبلجة، وأدلة ساطعة على أنه كلام الله، ولا يمكن أن تجد فيه نكتة من كذب، ولا صمة من زور، ولا لطخة من جهل.

# المبحث الثامن عشر
# آداب القرآن

هذا المبحث مستفاد من كتاب النووي «التبيان في آداب حامل القرآن»، حيث اقتصر فيه على زبدة نافعة منه، اشتملت على عامة ما ورد فيه، مع زيادة توثيق وتحرير وترتيب وتهذيب، وهذا مما لا يستغني عن معرفته طالب العلم الشرعي.

وسميته:

**«فتح المنان من التبيان في آداب حملة القرآن».**

**ونعرضه في النقاط الآتية:**

## * أولاً: فضيلة تلاوة القرآن وحملته:

**ويظهر فيما يلي:**

**١. ارتفاع منزلة من تعلم القرآن:**

فعن عثمان رضي الله عنه، قال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1]، وعن الحميدي الجمالي قال سألت سفيان الثَّوري عن الرجل يغزو أحب إليك أو يقرأ القرآن، فقال: يقرأ القرآن؛ لأنّ النبي ﷺ قال: «خيركم... ».

وعن عائشة رضي الله عنها، قال ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو يتتعتع فيه، وهو عليه شاق له أجران»[2].

---

(١) في صحيح البخاري٦: ١٦٢.

(٢) في صحيح البخاري٥: ١٦٦، وصحيح مسلم١: ٥٤٩.

**٢.عظم آجر من يتلو القرآن:**

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٣٠].

وعن أبي موسى ﷺ قال ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، لا ريح لها، وطعمها طيب حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مرّ»[١].

وعن ابن مسعود ﷺ، قال ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالىٰ فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الٓمٓ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[٢].

وعن ابن عمرو ﷺ، قال ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[٣].

**٣.شفاعة القرآن لمن يقرأه:**

فعن أبي أمامة الباهلي ﷺ، قال ﷺ: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»[٤].

**٤.قراءة القرآن تغني عن السؤال لله تعالى:**

فعن أبي سعيد ﷺ، قال ﷺ: «يقول ﷻ: مَن شغله القرآن وذكري عن مسألتي

---

(١) في صحيح البخاري٧: ٧٧، وصحيح مسلم١: ٥٤٩.

(٢) في سنن الترمذي٥: ١٧٥، وقال: حسن صحيح غريب.

(٣) في سنن أبي داود٢: ٧٣، وسنن الترمذي٥: ١٧٧، وقال: حسن صحيح، وصحيح ابن حبان٣: ٤٣، ومسند أحمد١١: ٤٠٣.

(٤) في صحيح مسلم١: ٥٣٣.

أعطيته أفضل ما أعطي السَّائلين، وفضل كلام الله ﷻ عن سائر الكلام كفضل الله تعالىٰ علىٰ خلقه»[١].

**٥. ينتفع الوالدين بقراءة القرآن والعمل به:**

فعن أنس الجهني ﵁، قال ﷺ: «من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجاً يوم القيامة، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا، فما ظنكم بالذي عمل بهذا»[٢].

**٦. القرآن حبل الله المتين وميزان الحق:**

فعن ابن مسعود ﵁، قال ﷺ: «إن هذا القرآن مأدبة الله ﷻ، فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله ﷻ، والنور المبين، والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد»[٣].

وعن عمر ﵁، قال ﷺ: «إن الله تعالىٰ يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين»[٤].

وعن ابن عبَّاس ﵄، قال ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»[٥].

**٧. لا تحاسد في تعلم القرآن:**

فعن ابن عمر ﵄: قال ﷺ: « لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو

---

(١) في سنن الترمذي٥: ١٨٤، قال: حسن صحيح.

(٢) في سنن أبي داود٢: ٧٠، والمستدرك١: ٧٥٦، وصححه.

(٣) في المستدرك ١: ٧٤١، وصححه، وأثبت لفظه من المستدرك لا من الدارمي كما في النووي.

(٤) في صحيح مسلم١: ٥٦٩.

(٥) في سنن الترمذي٥: ١٧٧، وقال: حسن صحيح، مسند أحمد٣: ٤١٧، وسنن الدارمي٤: ٣٠٨٣، والمستدرك١: ٧٤١، وصححه.

يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»(١).

وعن ابن مسعود ﵁، قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها، ويعلمها»(٢).

**٨. ترجيح القراءة والقارئ على غيرهما:**

فعن أبي مسعود ﵁، قال ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى»(٣).

وعن ابن عَبَّاس ﵄ قال: «كان القراء أصحاب مجلس عمر ﵁ ومشاورته كهولاً وشباباً»(٤).

**١٠. أمر الله ﷻ بإكرام أهل القرآن والنهي عن أذاهم:**

قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢﴾ [الحج:٣٢].

وقال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج:٣٠].

وقال ﷻ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢١٥﴾ [الشعراء:٢١٥].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ [الأحزاب:٥٨].

وعن أبي موسى ﵁ قال ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»(٥).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ: أن ننزل الناس منازلهم مع ما نطق به من القرآن»(٦).

---

(١) في صحيح البخاري٩: ١٦٤، وصحيح مسلم١: ٥٥٨.
(٢) في صحيح البخاري١: ٢٥، وصحيح مسلم١: ٥٥٩.
(٣) في صحيح مسلم١: ٤٦٥.
(٤) في صحيح البخاري٦: ٦٠.
(٥) في سنن أبي داود٤: ٣٦١، وقال النووي: حديث حسن.
(٦) في مقدمة صحيح مسلم١: ٦، وقال النووي: رواه أبو داود في سننه، والبزار في مسنده، قال الحاكم في علوم الحديث: هو حديث صحيح.

وعن جابر ﷺ، قال ﷺ: «كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد، ثم يقول: أيهما أكثر أخذاً للقرآن، فإن أشير إلى أحدهما قدَّمه في اللحد»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ، قال ﷺ: «إن الله ﷻ قال: مَن عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»[2]، وقال أبو حنيفة والشافعي: إن لم يكن العلماء أولياء الله، فليس لله ولي[3].

## * ثانياً: آداب حامل القرآن:

**وهي كثيرة، ومنها:**

**١. أن يكون على أكمل الأحوال، وأكرم الشمائل، وأن يرفع نفسه عن كلِّ ما نهى القرآن عنه إجلالاً للقرآن.**

فعن ابن عمرو ﷺ، قال ﷺ: «من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه، غير أنه لا يوحى إليه، ومَن قرأ القرآن فرأى أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي، فقد عظَّم ما صغَّر الله، وصَغَّر ما عظَّم الله، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يسفَه فيمن يسفه، أو يغضب فيمن يغضب، أو يحتدَّ فيمَن يحتدّ، ولكن يعفو ويصفح؛ لفضل القرآن»[4].

**٢. أن يكون مصوناً عن دنيء الاكتساب، شريف النفس،** مرتفعاً على الجبابرة والجفاة من أهل الدنيا، متواضعاً للصَّالحين وأهل الخير والمساكين.

فعن الفضيل بن عياض: «ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى الخلق حاجة لا إلى الخلفاء فمن دونهم، وينبغي أن يكون حوايج الخلق إليه»[5].

وعن الفضيل: «حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهو مع من

---

(١) في صحيح البخاري٣: ١١.
(٢) في صحيح البخاري٨: ١٠٥.
(٣) ينظر: التبيان ص٢٩.
(٤) في المعجم الكبير١٣: ٦٤٩.
(٥) في حلية الأولياء١: ١٣٩.

يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو، تعظيماً لحقّ القرآن»(١).

**٣.أن يكون متخشعاً ذا سكينة ووقار:**

فعن عمر رضي الله عنه: «يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم، فقد وضح لكم الطَّريق، فاستبقوا الخيرات، لا تكونوا عيالاً على الناس»(٢).

وعن حذيفة رضي الله عنه: «يا معشر القراء استقيموا، فقد سبقتم سبقاً بعيداً، فإن أخذتم يميناً وشمالاً، لقد ضللتم ضلالا بعيدا»(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصحته إذا الناس يخوضون، وبخسوعه إذا الناس يختالون»(٤).

وعن الحسن بن علي رضي الله عنه: «إن مَن كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار».

**٤.بعده عن التكسب به،** فمن أهم ما يؤمر به أن يحذر كلَّ الحذر من اتخاذ القرآن معيشةً يكتسب بها، بأن كان يقرأه في بيوت العزاء بأجرة، فعن عبد الرحمن بن شبيل رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: «اقرؤوا القرآن ولا تأكلوا به، ولا تجفوا عنه، ولا تغلوا فيه»(٥).

وعن جابر رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: «اقرؤوا القرآن وابتغوا به الله عز وجل، من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه»(٦).

---

(١) في حلية الأولياء١: ١٣٩.

(٢) في مسند ابن الجعد١: ٢٥٨.

(٣) في صحيح البخاري٩: ٩٣.

(٤) في حلية الأولياء١: ١٣٩، وشعب الإيمان٣: ٢٨٧، والهم والحزم لابن أبي الدنيا١: ٨٦.

(٥) في مصنف ابن أبي شيبة٥: ٢٣٩.

(٦) في مسند أحمد٢٣: ١٤٤، وشعب الإيمان٤: ٢٠٥.

وعن سهل بن سعد ﷺ، قال ﷺ: «يتعجلون أجره ولا يتأجلونه»[١]، معناه: يتعجلون أجره إما بمال وإما سمعة ونحوها.

وعن ابن مسعود ﷺ: «سيجيء زمان يسأل فيه بالقرآن، فإذا سألوكم فلا تعطوهم»[٢].

وأما أخذ الأجرة على تعليم القرآن فيجوز؛ لأنه في منعه إضاعة لتعليم القرآن ونشره، وهذا ما استقرّ عليه الفتوى في المذهب الحنفي.

**٥. المحافظة على تلاوته والإكثار منها:**

ينبغي أن يحافظ على تلاوته ويكثر منها، وكان السَّلف ﷺ لهم عاداتٌ مختلفةٌ في قدر ما يختمون فيه.

فروى ابن أبي داود عن بعض السَّلف ﷺ: أنهم كانوا يختمون في كلِّ شهرين ختمة واحدة.

وعن بعضهم: في كل شهر ختمة.
وعن بعضهم: في كلِّ عشر ليال ختمة.
وعن بعضهم: في كلِّ ثمان ليال.
وعن الأكثرين: في كل سبع ليال.
وعن بعضهم: في كلِّ ست.
وعن بعضهم: في كلِّ خمس.
وعن بعضهم: في كلِّ أربع.
وعن كثيرين في كل ثلاث.
وعن بعضهم: في كلِّ ليلتين.

---

(١) في شعب الإيمان٤: ٢٠٥.
(٢) في شعب الإيمان٤: ١٩٩.

وختم بعضهم في كلِّ يوم وليلة ختمة.

ومنهم مَن كان يختم في كلِّ يوم وليلة ختمتين.

ومنهم مَن كان يختم ثلاثاً.

وختم بعضُهم: ثمان ختمات أربعاً بالليل وأربعا بالنهار.

فمن الذين كانوا يختمون ختمة في الليل واليوم عثمان بن عفان ﷺ، وتميم الدَّاري وسعيدُ بنُ جبير ومجاهدُ والشَّافعيُّ وآخرون.

ومن الذين كانوا يختمون ثلاث ختمات سليم بن عمر ﷺ قاضي مصر في خلافة معاوية ﷺ، روىٰ أبو بكر بن أبي داود: أنه كان يختم في اللَّيلة أربع ختمات، وروىٰ أبو عمر الكندي في كتابه في «قضاة مصر»: أنه كان يختم في الليلة أربع ختمات.

قال أبو عبد الرحمن السلمي سمعت أبا عثمان المغربي يقول: كان ابنُ الكاتب يختم بالنَّهار أربع ختمات وبالليل أربع ختمات، وهذا أكثر ما بلغنا من اليوم والليلة.

وروىٰ الدَّورقيّ عن منصور بن زادان عن عبّاد التابعين ﷺ: أنه كان يختم القرآن فيما بين الظّهر والعصر، ويختمه أيضاً فيما بين المغرب والعشاء في رمضان إلىٰ أن يمضي ربع الليل.

وروىٰ أبو داود بإسناده الصحيح: أنّ مجاهداً كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء.

وعن منصور قال: كان عليّ الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء كلّ ليلة من رمضان.

وعن إبراهيم بن سعد، قال: كان أبي يحتبي فما يحلّ حبوته حتىٰ يختم القرآن.

وأمَّا الذي يختم في ركعة، فلا يحصون؛ لكثرتهم فمن المتقدمين عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير ﷺ ختمة في كل ركعة في الكعبة.

وأمّا الذين ختموا في الأسبوع مرّة فكثيرون، نُقل عن عثمان بن عفان وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ﷺ، وعن جماعة من التابعين كعبد الرحمن بن يزيد وعلقمة وإبراهيم ﷺ.

والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمَن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف، فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه، وكذا مَن كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة، فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين، فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حدّ الملل والهذرمة[1].

وقد كَره جماعةٌ من المتقدِّمين الختم في يوم وليلة، فعن بن عمرو ﷺ قال ﷺ: «لا يفقه مَن قرأ القرآن في أقل من ثلاث»[2].

**٦. المحافظة على القراءة بالليل:**

ينبغي أن يكون اعتناؤه بقراءة الليل أكثر، قال الله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران:١١٤].

فعن حفصة رضي الله عنها، قال ﷺ: «نعم الرجل عبد الله لو كان يُصلي من الليل»، فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً[3].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل، فترك قيام الليل»[4].

---

(١) ينظر: التبيان ص١٥٤ـ ١٦١.

(٢) في سنن أبي داود٢: ٥٤، وصححه النووي، وصحيح ابن حبان٣: ٣٥، ومسند أحمد١١: ٣٨٩.

(٣) في صحيح البخاري٣: ٤٩.

(٤) في صحيح البخاري٢: ٥٤.

وعن سهل بن سعد ﷺ، قال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: « يا محمد، شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس»[١].

وعن أبي الأحوص الحبشي: «إن كان الرجل ليطرق الفسطاط ـ أي يأتيه ليلاً ـ فيسمع لأهله دوياً: كدوي النَّحل، قال: فما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون»[٢].

وعن إبراهيم النخعي: «اقرؤوا من الليل ولو حلب شاة».

وعن جابر ﷺ، قال ﷺ: «لا تدعن صلاة الليل، ولو حلب شاة»[٣].

وعن يزيد الرقاشي قال: «إذا أنا نمت، ثم استيقظت، ثم نمت، فلا أنام الله ﷻ عيناي»[٤].

قال النَّوويُّ[٥]: «وإنّما رَجَحَتْ صلاة الليل وقراءته؛ لكونها أجمع للقلب، وأبعد عن الشاغلات والملهيات، والتصرف في الحاجات، وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل، فإن الإسراء برسول الله ﷺ كان ليلاً، وعن أبي هريرة ﷺ ﷺ قال: «ينزل ربنا، تبارك وتعالى، كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له»[٦].

وعن جابر ﷺ، قال ﷺ: «إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم، يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة»[٧].

---

(١) المستدرك٤: ٣٦٠، وصححه، والمعجم الأوسط٤: ٣٠٦.

(٢) في مصنف ابن أبي شيبة١٩: ٢٩٠، والزهد والرقائق لابن المبارك١: ٣٢.

(٣) في المعجم الأوسط٤: ٢٥١، والمعجم الكبير١: ٢٧١، قال الهيثمي في مجمع الزوائد٢: ٢٥٢: «وفيه بقية بن الوليد، وفيه كلام كثير».

(٤) في مختصر قيام الليل ص٥٠، ومسند الجعد١: ٢١١، وحلية الأولياء٧: ٣٢٨.

(٥) في التبيان ص٦٤.

(٦) في الموطأ٢: ٢٩٨، وصحيح البخاري٢: ٥٣.

(٧) في صحيح مسلم١: ٥٢١.

قال النوويُّ[١]: «واعلم أنّ فضيلة القيام بالليل، والقراءة فيه تحصل بالقليل والكثير، وكلَّما كثر كان أفضل، إلا أن يستوعب الليل كلَّه، فإنّه يُكره الدوام عليه، وإلا أن يضرّ بنفسه».

فعن ابن عمرو ﷺ قال ﷺ: «مَن قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومَن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومَن قام بألف آية كتب من المقنطين»[٢].

وعن ابن عبَّاس ﷺ: «مَن صلى بالليل ركعتين، فقد بات لله ساجداً وقائماً»[٣].

**٧.تعهد القرآن والتَّحذير من تعريضه للنِّسيان:**

فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال ﷺ: «تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمَّد بيده لهو أشدّ تفلتاً من الإبل في عقلها»[٤].

وعن ابن عمر ﷺ، قال ﷺ: «إنَّما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المُعَقَّلَة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت»[٥].

وعن أنس ﷺ قال ﷺ: «عُرضت عليّ أجور أُمتي، حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعُرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثمّ نسيها»[٦].

وعن سعد بن عبادة ﷺ، قال ﷺ: «مَن قرأ القرآن ثمّ نسيه لقي الله ﷻ يوم القيامة وهو أجذم»[٧].

---

(١) في التبيان ص٦٥.
(٢) في سنن أبي داود١: ٦٥، وصحيح ابن خزيمة٢: ١٨١، وصحيح ابن حبان٦: ٣١٠.
(٣) ينظر: التبيان ص٦٦.
(٤) في صحيح البخاري٦: ١٩٢، وصحيح مسلم١: ٥٤٥.
(٥) في صحيح البخاري٦: ١٩٣، وصحيح مسلم١: ٥٤٣.
(٦) في سنن أبي داود١: ١٣٦، وسنن الترمذي٥: ١٧٨، وتكلم فيه.
(٧) في سنن أبي داود٢: ١٧٥.

**٨.المحافظة على ورد القرآن اليومي:**

فعن عمر رضي الله عنه قال ﷺ: «مَن نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه، فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظُّهر كُتب له كأنّه قرأه من الليل»[١].

وعن سليمان بن يسار، قال أبو أسيد رضي الله عنه: «نمت البارحة عن وردي حتىٰ أصبحت، فلما أصبحت استرجعت، وكان وردي سورة البقرة فرأيت في المنام كأن بقرة تنطحني»[٢].

وعن بعض حفاظ القرآن أنه نام ليلةً عن حزبه فأري في منامه كأن قائلا يقول له:

عَجِبْتُ مِنْ جِسْمٍ وَمِنْ صِحَّةٍ ... وَمِنْ فَتًىٰ نَامَ إِلَىٰ الْفَجْرِ

فَالْمَوْتُ لَا تُؤْمَنُ خَطَفَاتُهُ ... فِي ظُلَمِ اللَّيْلِ إِذَا يَسْرِي[٣]

**٩.مراعاة المأثور في افتتاح القرآن وختمه:**

وقت الابتداء والختم لمن يختم في الأسبوع، فقد روىٰ أبو داود أن عثمان بن عفان رضي الله عنه: «كان يفتتح القرآن ليلة الجمعة ويختمه ليلة الخميس»[٤].

قال الغَزَاليُّ[٥]: «والأحب أن يختم ختمةً باللَّيل، وأُخرىٰ بالنَّهار، ويجعل ختمة النَّهار يوم الإثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما، ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب» أو بعدهما؛ ليستقبل أول النهار وآخره».

---

(١) في صحيح مسلم١: ٥١٥، ومسند البزار١: ٤٢٨.

(٢) في المنامات لابن أبي الدنيا ص٩٨، والمجالسة وجواهر العلم٧: ٨٥، وقال النووي: رواه ابن أبي داود.

(٣) ينظر: مختصر قيام الليل١: ١٠٥.

(٤) ينظر: التبيان ص٦٢.

(٥) في إحياء علوم الدين١: ٢٧٦.

وعن عمر بن مرّة: «كانوا يحبون أن يختم القرآن من أول الليل أو من أول النهار»(١).

وعن طلحة بن مصرف: «مَن ختم القرآن أية ساعة كانت من النهار، صلَّت عليه الملائكة حتىٰ يُمسي، وأية ساعة كانت من الليل صلَّت عليه الملائكة حتىٰ يصبح»، وعن مجاهد مثله(٢).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: «إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتىٰ يصبح، وإذا وافق ختمه آخر الليل صلت عليه الملائكة حتىٰ يمسي»(٣).

وعن حبيب بن أبي ثابت: «كان يختم قبل الركوع»، وكذا قال أحمد بن حنبل(٤).

## * ثالثاً: آداب القرآن:

**نقتصر منها على ما يلي:**

**١ .استعماله السواك:**

وينبغي إذا أراد القراءة أن ينظف فاه بالسِّواك وغيره.

والاختيار في السِّواك أن يكون بعود من أراك، ويجوز بسائر العيدان، وبكلِّ ما يُنظِّف كالخرقة الخشنة والأشنان وغير ذلك.

ويستاك عرضاً مبتدئاً بالجانب الأيمن من فمه، وينوي به الإتيان بالسُّنة، قال بعض العلماء: يقول عند الاستياك: اللهم بارك لي فيه يا أرحم الراحمين.

وأمّا إذا كان فمه نجساً بدم أو غيره، فإنه يكره له قراءة القرآن قبل غسله.

---

(١) ينظر: التبيان ص٦٣.

(٢) ينظر: التبيان ص٦٣.

(٣) في سنن الدارمي٤: ٢١٨٤، وحسنه.

(٤) ينظر: التبيان ص٦٣.

يستحب أن يقرأ، وهو علىٰ طهارة، فإن قرأ محدثاً جاز بإجماع المسلمين، والأحاديث فيه كثيرة معروفة، قال إمام الحرمين: ولا يُقال ارتكب مكروهاً، بل هو تارك للأفضل، فإن لم يجد الماء تيمَّم، والمستحاضة في الزمن المحكوم بأنه طهر حكمها حكم المحدث.

وأمَّا الجنب والحائض، فإنه يحرم عليهما قراءة القرآن سواء كان آية أو أقل منها، ويجوز لهما إجراءُ القرآن علىٰ قلبهما من غير تلفظ به، ويجوز لهما النَّظر في المصحف وإمراره علىٰ القلب.

وأجمع المسلمون علىٰ جواز التَّسبيح والتَّهليل والتَّحميد والتَّكبير والصَّلاة علىٰ النَّبيِّ ﷺ.

إن قالا لإنسان: ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:١٢]، وقصدا به غير القرآن فهو جائز، وكذا ما أشبهه ، ويجوز لهما أن يقولا عند المصيبة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة:١٥٦]، إذا لم يقصدا القرآن.

ويجوز أن يقولا عند ركوب الدابة: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وعند الدعاء: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار إذا لم يقصدا القرآن(١).

**٢. نظافة المكان:**

يستحبُّ أن تكون القراءةُ في مكان نظيف مختار، ولهذا استحب جماعةٌ من العلماء القراءة في المسجد؛ لكونه جامعاً للنَّظافة وشرف البقعة ومحصلاً لفضيلة أخرىٰ، وهي الاعتكاف فإنه ينبغي لكلّ جالس في المسجد الاعتكاف سواء أكثر في جلوسه أو أقل، بل ينبغي أوّل دخوله المسجد أن ينوي الاعتكاف، وهذا الأدب ينبغي أن يعتنىٰ به، ويُشاع ذكره، ويعرفه الصغار والعوام، فإنّه مما يغفل عنه(٢).

---

(١) ينظر: التبيان ص٧٤.

(٢) ينظر: التبيان ص٧٩.

**٣.استقبال القبلة:**

يستحبُّ للقارئ في غير الصلاة أن يستقبل القبلة، فعن ابن عباس ﵄، قال ﷺ: «خير المجالس ما استقبل به القبلة»[١]، ويجلس متخشعاً بسكينةٍ ووقار، مطرقاً رأسه، ويكون جلوسه وحده في تحسين أدبه وخضوعه كجلوسه بين يدي معلمه، فهذا هو الأكمل.

ولو قرأ قائماً أو مضطجعاً أو في فراشه أو على غير ذلك من الأحوال جاز، وله أجر، ولكن دون الأول[٢]،قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[آل عمران:١٩١].

فعن عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري، وأنا حائض ويقرأ القرآن»[٣]. وفي رواية: «يقرأ القرآن ورأسه في حجري»[٤].

وعن أبي موسى الأشعري ﵁: «إني أقرأ القرآن في صلاتي، وأقرأ على فراشي»[٥].

وعن عائشة رضي الله عنها: «إني لا أقرأ حزبي وأنا مضطجعة على السرير»[٦].

**٤.الاستعاذة من الشيطان:**

إن أراد الشروع في القراءة استعاذ، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وكان جماعة من السلف يقولون: أعوذ بالله السَّميع العليم من الشيطان الرجيم، ولا بأس بهذا، ولكن الاختيار هو الأول.

---

(١) في تهذيب الآثار٢: ٥٣٨، وتاريخ الرقة١: ١٣٥.

(٢) ينظر: التبيان ص٨٠.

(٣) في صحيح البخاري١: ٦٧، وصحيح مسلم١: ٢٤٦.

(٤) في صحيح البخاري٩: ١٥٩.

(٥) ينظر: التبيان ص٨٠.

(٦) ينظر: التبيان ص٨٠.

ثمّ إنّ التَّعوُّذ مستحبٌّ وليس بواجب، ويُسنُّ في ابتداء الصلاة بعد الاستفتاح للإمام والمنفرد.

وينبغي أن يحافظ على قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة سوى براءة.

فإذا شرع في القراءة، فليكن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة، والدلائل عليه أكثر من أن تحصر، وأشهر وأظهر من أن تذكر، فهو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب، قال الله ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء:٨٢]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩]، والأحاديثُ فيه كثيرةٌ، وأقاويلُ السَّلف فيه مشهورة، وقد بات جماعةٌ من السلف يتلون آية واحدة يتدبرونها، ويرددونها إلى الصباح، وقد صعق جماعة من السلف عند القراءة، ومات جماعات حال القراء.

فعن بهز بن حكيم: «أن زرارة بن أوفى التابعي الجليل رضي الله عنه أمّهم في صلاة الفجر فقرأ حتى بلغ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾﴾ [المدثر:٩] خر ميتاً، قال بهز: وكنت فيمَن حمله.

وكان أحمد بن أبي الحواري رضي الله عنه، وهو ريحانةُ الشام، كما قال أبو القاسم الجنيد، إذا قرئ عنده القرآن يصيح ويصعق، قال ابن أبي داود: وكان القاسم بن عثمان الجوني ينكر على ابن الحواري، وكان الجوني فاضلاً من محدثي أهل دمشق تَقَدَمَ في الفضل على ابن أبي الحواري.

وكذلك أنكره أبو الجوزاء وقيس بن جبير وغيرهم[١].

قال النووي[٢]: «والصواب عدم الإنكار إلا على من اعترف أنه يفعله تصنعاً».

---

(١) ينظر: التبيان ص٨٥.

(٢) في التبيان ص٨٤.

وقال السيد الجليل ذو المواهب والمعارف إبراهيم الخواص رضي الله عنه: دواء القلب خمسة أشياء:

أ. قراءة القرآن بالتدبر.

ب. خلاء البطن.

ج. قيام الليل.

د. التضرع عند السحر.

هـ. مجالسة الصالحين[١].

**٥. ترديد الآية للتدبر:**

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى أصبح بآية، والآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة:١١٨]»[٢].

وعن تميم الداري رضي الله عنه: «أنّه كرّر هذه الآية حتى أصبح: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية:٢١]»[٣].

وعن عبادة بن حمزة: «دخلت على أسماء رضي الله عنها، وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور:٢٧]، فوقفت عندها فجعلت تعيدها وتدعو، فطال عليّ ذلك، فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي، ثم رجعت وهي تعيدها وتدعو»[٤]، ورويت هذه القصة عن عائشة رضي الله تعالى عنها.

عن القاسم بن معن، «إنَّ أبا حنيفة قام ليلةً بهذه الآية: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر:٤٦]، فلم يزل يُردّدها ويبكي ويتضرّع»[٥].

---

(١) ينظر: التبيان ص٨٥.

(٢) في سنن النسائي الكبرى٢: ٢٤، ومسند أحمد٣٥: ٢٥٦، وشرح السنة للبغوي٤: ٢٦.

(٣) في المعجم الكبير٢: ٥٠.

(٤) في مصنف ابن أبي شيبة٤: ٢٠٣، وحلية الأولياء٢: ٥٥.

(٥) ينظر: مناقب أبي حنيفة للذهبي ص١٤، وأبو حنيفة طبقته توثيقه ص١٤٩، وغيرهما.

وردد ابن مسعود ﵁: ﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه:١١٤].

وردد سعيد بن جبير: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١]، وردد أيضاً: ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ﴾ [غافر:٧١]، وردد: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦﴾ [الانفطار:٦].

وكان الضحاك إذا تلا قوله تعالىٰ: ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞ﴾ [الزمر:١٦] ردَّدها إلىٰ السحر[١].

**٦.البكاء عند قراءة القرآن:**

البكاء في حال القراءة صفة العارفين، وشعار عباد الله الصالحين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ۩ ١٠٩﴾ [الإسراء:١٠٩]، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة وآثار السلف فمن ذلك عن النبي ﷺ: «اقرؤوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»[٢].

وعن عمر ﵁: «أنه صلىٰ بالجماعة الصبح فقرأ سورة يوسف، فبكىٰ حتىٰ سالت دموعه علىٰ ترقوته»[٣].

وعن أبي رجاء: «رأيت ابن عباس ﵄، وتحت عينيه مثل الشراك البالي من الدموع»[٤].

وعن أبي صالح: «قدم ناس من أهل اليمن علىٰ أبي بكر الصديق ﵁، فجعلوا يقرؤون القرآن ويبكون، فقال أبو بكر الصديق ﵁: هكذا كنا»[٥].

---

(١) ينظر: التبيان ص٨٦.

(٢) في مسند سعد بن أبي وقاص ص٢١٤، مسند القضاعي٢: ٢٠٨.

(٣) ينظر: التبيان ص٨٦.

(٤) فضائل الصحابة لابن حنبل٢: ٩٧٨.

(٥) في المنتقىٰ من سماعات محمد بن عبد الرحيم المقدسي١: ١١.

وعن هشام: «ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في الليل، وهو في الصلاة»[١].

قال الغَزَالِيُّ[٢]: «البكاء مستحبٌ مع القراءة وعندها، وطريقه في تحصيله أن يحضر قلبه الحزن، بأن يتأمّل ما فيه من التَّهديد والوعيد الشديد، والمواثيق والعهود، ثمّ يتأمل تقصيره في ذلك، فإن لم يحضره حزن وبكاء، كما يحضر الخواص، فليبك على فقد ذلك، فإنه من أعظم المصائب».

**٧.ترتيل القراءة:**

ينبغي أن يرتل قراءته، وقد اتفق العلماء ﷺ على استحباب الترتيل، قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾[المزمل:٤].

فعن أم سلمة رضي الله عنها: «أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ: قراءة مفسّرةً حرفاً حرفاً»[٣].

وعن عبد الله بن مغفل ﷺ، قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح يرجع في قراءته»[٤].

وعن ابن عبَّاس ﷺ قال: «لأن أقرأ سورة أرتلها أحبُّ إليّ من أن أقرأ القرآن كلَّه»[٥].

وعن مجاهد أنه سُئل عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وآل عمران والآخر البقرة وحدها، وزمنهما وركوعهما وسجودهما وجلوسهما واحد سواء فقال: «الذي قرأ البقرة وحدها أفضل»[٦].

---

(١) في شعب الإيمان٤: ٥١٢.
(٢) في إحياء علوم الدين ١: ٢٧٧، باختصار.
(٣) في سنن الترمذي٥: ١٨٢، وقال: حسن صحيح، وسنن النسائي الكبرى٢: ٢٨.
(٤) في صحيح البخاري٥: ١٤٧، وصحيح مسلم١: ٥٤٧.
(٥) في شعب الإيمان٣: ٤٧٤، ومصنف عبد الرزاق٢: ٤٨٩.
(٦) ينظر: التبيان ص٨٩.

وقد نهي عن الإفراط في الإسراع، ويسمى الهذرمة، فعن ابن مسعود ﵁: «إنّ رجلاً قال له: إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة، فقال ابن مسعود ﵁: هذّاً كهذِّ الشعر، إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع»[(١)].

والترتيل مستحبٌّ للتدبر ولغيره.

ويستحبُّ الترتيل للعجمي الذي لا يفهم معناه؛ لأنّ ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام، وأشدُّ تأثيراً في القلب الدعاء، لكل مناسبة.

ويُستحبُّ إذا مَرَّ بآية رحمةٍ أن يسأل الله تعالى من فضله، وإذا مَرَّ بآية عذاب أن يستعيذ بالله من الشرّ ومن العذاب أو يقول: اللهم إني أسألك العافية، أو أسألك المعافاة من كلِّ مكروه أو نحو ذلك.

وإذا مر بآية تنزيه لله تعالى نزه، فقال سبحانه وتعالى: أو تبارك وتعالى أو جلت عظمة ربنا[(٢)]، فعن حذيفة بن اليمان ﵁، قال: «صليت مع النبي ﷺ: ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة ثم مضى، فقلت: يُصلي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ ترسلاً، إذا مَرّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مَرَّ بسؤال سأل، وإذا مَرَّ بتعوذ تعوَّذ»[(٣)]، وكانت سورة النساء في ذلك الوقت مقدمةً على آل عمران.

**٨.احترام القرآن:**

ومما يعتنى به ويتأكد الأمر به احترام القرآن من أمور قد يتساهل فيها بعض الغافلين القارئين مجتمعين، فمن ذلك:

أ.اجتناب الضحك واللغط والحديث في خلال القراءة، إلا كلاماً يضطر إليه،

---

(١) في صحيح مسلم١: ٥٦٢.
(٢) ينظر: التبيان ص٩١.
(٣) في صحيح مسلم١: ٥٣٦.

وليمتثل قد قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف:٢٠٤]، وليقتد بابن عمر رضي الله عنهما: «أنه كان إذا قرأ القرآن لا يتكلَّم حتىٰ يفرغ منه».

ب. العبث باليد وغيرها، فإنه يُناجي ربه سبحانه وتعالىٰ، فلا يعبث بين يديه.

ج. النظر إلىٰ ما يُلهي ويُبدد الذِّهن، وأقبح من هذا كلِّه النَّظر إلىٰ ما لا يجوز النظر إليه كالأمرد وغيره، ولأنه في معنىٰ المرأة، بل رُبّما كان بعضهم أو كثير منهم أحسن من كثير من النساء، ويتمكن من أسباب الريبة فيه، ويتسهل من طرق الشر في حقّه ما لا يتسهل في حق المرأة، فكان تحريمه أولىٰ.

وأما النظر إليه في حال البيع والشراء والأخذ والإعطاء والتطبب والتعليم ونحوها من مواضع الحاجة فجائز للضرورة، لكن يقتصر الناظر علىٰ قدر الحاجة، ولا يديم النظر من غير ضرورة.

وكذا المعلم إنما يُباح له النظر الذي يحتاج إليه، ويحرم عليهم كلّهم في كلّ الأحوال النظرة بشهوة، ولا يختص هذا بالأمرد، بل يحرم علىٰ كلِّ مكلَّف النَّظر بشهوة إلىٰ كلِّ أحد رجلاً كان أو امرأةً، محرماً كانت المرأة أو غيرها، إلا الزوجة.

وعلىٰ الحاضرين مجلس القراءة إذا رأوا شيئاً من هذه المنكرات المذكورة أو غيرها، أن ينهوا عنه حسب الإمكان باليد لمن قدر، وباللسان لمن عجز عن اليد وقدر علىٰ اللسان، وإلا فلينكر بقلبه[1].

**٩. قراءته بالعربية والقراءة المعتمدة:**

لا تجوز قراءة القرآن بالعجمية إلا للعاجز عن القراءة بالعربية.

وتجوز قراءة القرآن بالقراءات السَّبع المجمع عليها، ولا يجوز بغير السَّبع، ولا

---

(١) ينظر: التبيان ص ٩٣ ـ ٩٦.

بالرِّوايات الشاذة المنقولة عن القراء السبعة، ونقل ابنُ عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ، وأنه لا يصلى خلف من يقرأ بها.

إذا ابتدأ بقراءة أحد القراء، فينبغي أن يستمر على القراءة بها ما دام الكلام مرتبطاً، فإذا انقضى ارتباطه، فله أن يقرأ بقراءة أحد من السبعة، والأولى دوامه على الأولى في هذا المجلس(١).

**١٠. مراعاة ترتيب القرآن في القراءة:**

الاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف، فيقرأ الفاتحة، ثم البقرة، ثم آل عمران، ثمّ ما بعدها على الترتيب، وسواء قرأ في الصلاة أو في غيرها.

ودليل هذا أن ترتيب المصحف، إنما جعل هكذا لحكمة، فينبغي أن يحافظ عليها إلا فيما ورد المشرع باستثنائه كصلاة الصبح يوم الجمعة، يقرأ في الأولى سورة السجدة، وفي الثانية: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان:١]، وصلاة العيد في الأولى قاف، وفي الثانية ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر:١]، وركعتين سنة الفجر في الأولى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١]، وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، وركعات الوتر في الأولى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى:١]، وفي الثانية: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾، وفي الثالثة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ والمعوذتين.

ولو خالف الموالاة فقرأ سورةً لا تلي الأولى، أو خالف الترتيب، فقرأ سورة ثم قرأ سورة قبلها جاز، فقد جاء بذلك آثار كثيرة، وقد قرأ عمر ﷺ في الركعة الأولى من الصبح بالكهف، وفي الثانية بيوسف.

وقد كره جماعةٌ مخالفة ترتيب المصحف.

وعن الحسن: أنه كان يكره أن يقرأ القرآن إلا على تأليفه في المصحف.

---

(١) ينظر: التبيان ص٩٨.

وعن ابن مسعود ﷺ: «أنه قيل له: إن فلاناً يقرأ القرآن منكوساً، فقال ذلك منكوس القلب»[١].

وأمّا قراءةُ السُّور من آخرها إلىٰ أولها، فممنوع منعاً متأكداً، فإنّه يُذهب بعض ضروب الاعجاز، ويُزيل حكمة ترتيب الآيات، وقد روىٰ ابن أبي داود عن إبراهيم النخعي الإمام التابعي الجليل، والإمام مالك بن أنس أنهما كرها ذلك، وأن مالكاً كان يعيبه، ويقول: هذا عظيم.

وأمَّا تعليم الصِّبيان من آخر المصحف إلىٰ أوله، فحسنٌ ليس هذا من هذا الباب، فإن ذلك قراءة متفاضلة في أيام متعددة مع ما فيه من تسهيل الحفظ عليهم[٢].

**١١. القراءة من المصحف:**

قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر القلب؛ لأنّ النظر في المصحف عبادة مطلوبة، فتجتمع القراءة والنظر، ونقل الغزالي[٣]: أنّ كثيرين من الصحابة ﷺ كانوا يقرؤون من المصحف، ويكرهون أن يخرج يوم، ولم ينظروا في المصحف.

وروىٰ ابنُ أبي داود القراءة في المصحف عن كثيرين من السلف ولم أر فيه خلافاً، ولو قيل: إنه يختلف باختلاف الأشخاص، فيختار القراءة في المصحف لمن استوىٰ خشوعه وتدبره في حالتي القراءة في المصحف، وعن ظهر القلب ويختار القراءة عن ظهر القلب لمن لم يكمل بذلك خشوعه ويزيد علىٰ خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف لكان هذا قولاً حسناً، والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمولٌ علىٰ هذا التفصيل[٤].

---

(١) المعجم الكبير٣٤٢، وشعب الإيمان٤: ٩، والمصاحف لابن أبي داود١: ٣٤٢.

(٢) ينظر: التبيان ص٩٨ ـ ٩٩.

(٣) في إحياء علوم الدين١: ٢٧٩.

(٤) ينظر: التبيان ص١٠٠.

**١٢. قراءة القرآن مجتمعين:**

قال النووي(١): «اعلم أنّ قراءةَ الجماعة مجتمعين مستحبةٌ بالدَّلائل الظاهرة وأفعال السلف والخلف المتظاهرة»، فعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ﵄ أنه قال: «ما من قوم يذكرون الله إلا حفت بهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمَن عنده»(٢).

وعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله تعالىٰ يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكره الله فيمن عنده»(٣).

وعن معاوية ﵁: «أن النبيَّ ﷺ خرج علىٰ حلقةٍ من أصحابه، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالىٰ ونحمده لما هدانا للإسلام ومَن علينا به، فقال: أتاني جبريل ﵇، فأخبرني أنّ اللهَ تعالىٰ يُباهي بكم الملائكة»(٤)، والأحاديث في هذا كثيرة.

وعن ابن عباس ﵄ قال: «مَن استمع إلىٰ آية من كتاب الله كانت له نوراً»(٥).

وروىٰ ابن أبي داود: «أنّ أبا الدرداء ﵁ كان يدرس القرآن معه نفرٌ يقرؤون جميعاً».

وروىٰ ابن أبي داود فعل الدراسة مجتمعين عن جماعات من أفاضل السَّلف والخلف وقضاة المتقدمين.

وعن حسان بن عطية والأوزاعي أنهما قالا: أوَّل مَن أحدث الدراسة في مسجد دمشق هشام بن إسماعيل في مَقْدمه علىٰ عبد الملك.

---

(١) في التبيان ص١٠١.

(٢) في سنن الترمذي٥: ٤٥٩، وقال: حسن صحيح.

(٣) في صحيح مسلم٤: ٢٠٧٤.

(٤) في سنن الترمذي٥: ٤٦٠، وحسنه، وصحيح ابن حبان٣: ٩٥.

(٥) في سنن الدارمي٤: ٢١٢٠.

وأمَّا ما روى ابنُ أبي داود عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب أنه أنكر هذه الدراسة، وقال: ما رأيت ولا سمعت، وقد أدركت أصحاب رسول الله ﷺ: يعني ما رأيت أحداً فعلها.

وعن وهب قال: قلت لمالك: أرأيت القوم يجتمعون فيقرؤون جميعاً سورةً واحدةً حتى يختموها، فأنكر ذلك وعابه، وقال: ليس هكذا تصنع الناس إنّما كان يقرأ الرجل على الآخر يعرضة.

فهذا الإنكار منهما مخالفٌ لما عليه السلف والخلف، ولما يقتضيه الدليل فهو متروك، والاعتماد على ما تقدَّم من استحبابها لكن القراءة في حال الاجتماع لها شروط قدمناها، ينبغي أن يعتنى بها.

وأمَّا فضيلة مَن يجمعهم على القراءة، ففيها نصوصٌ كثيرةٌ كقوله ﷺ: «الدال على الخير كفاعله»[١]، وقوله ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النِّعم»[٢]، والأحاديثُ فيه كثيرةٌ مشهورةٌ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢]، ولا شكَّ في عظم أَجر السَّاعي في ذلك.

والإدارة بالقرآن: وهو أن يجتمع جماعة يقرأ بعضهم عشراً أو جزءاً أو غير ذلك، ثم يسكت ويقرأ الآخر من حيث انتهى الأول، ثم يقرأ الآخر، وهذا جائز حسن، وقد سُئل مالك، فقال: لا بأس به[٣].

### ١٣. رفع الصوت بالقراءة:

اعلم أنّه جاء أحاديثُ كثيرةٌ في الصَّحيح وغيره دالّةٌ على استحباب رفع الصَّوت بالقراءة، وجاءت آثار دالّة على استحباب الإخفاء وخفض الصَّوت، وسنذكر منها طرفاً يسيراً إشارة إلى أصلها إن شاء الله تعالى:

---

(١) في سنن الترمذي٥: ٤١، ومسند أبي حنيفة ر٢٢، ومسند أحمد٣٧: ٤٣، وغيرها.
(٢) في صحيح البخاري٥: ١٨، وصحيح مسلم٤: ١٨٧٢.
(٣) ينظر: التبيان ص١٠٢ ـ ١٠٣.

وطريق الجمع بين الأحاديث والآثار المختلفة في هذا: أنَّ الإسرار أبعد من الرِّياء، فهو أفضل في حقِّ مَن يَخاف ذلك، فإن لم يخف الرِّياء فالجهر ورفع الصوت أفضل؛ لأنَّ العملَ فيه أكثر، ولأنّ فائدته تتعدَّىٰ إلىٰ غيره، والمتعدِّي أفضلُ من اللازم، ولأنه يوقظ قلب القارئ، ويجمع همّه إلىٰ الفكر فيه، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النَّوم، ويزيد في النَّشاط ويوقظ غيره من نائم وغافل وينشطه.

ومهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل، فإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر، فهذا حكم المسألة.

وأما الآثار المنقولة فكثيرة، وأنا أشير إلىٰ أطراف من بعضها[1]:

فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي ﷺ، حسن الصوت، يتغنىٰ بالقرآن، يجهر به»[2]، ومعنىٰ أذن استمع، وهو إشارة إلىٰ الرضا والقبول.

وعن أبي موسىٰ الأشعري ﵁، قال ﷺ: «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»[3]، وفي رواية: «لقد رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة»[4].

وعن فضالة بن عبيد ﵁ قال ﷺ: «لله أشد إذناً إلىٰ الرجل حسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلىٰ قينته»[5].

وعن أبي موسىٰ ﵁ قال ﷺ: «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار»[6].

---

(١) ينظر: التبيان ص١٠٥.
(٢) في صحيح البخاري٦: ١٥٨، وصحيح مسلم١: ٤٥٤.
(٣) في صحيح البخاري٦: ١٩٥، صحيح مسلم١: ٥٤٦.
(٤) في صحيح مسلم١: ٥٤٦.
(٥) في سنن ابن ماجة١: ٤٢٥، وصحيح ابن حبان٣: ٣١.
(٦) في صحيح البخاري٥: ١٣٨، وصحيح مسلم٤: ١٩٤٤.

وعن البراء بن عازب ﷺ قال ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»[١].

وروىٰ ابن أبي داود عن عليّ ﷺ أنه سمع ضجةَ ناس في المسجد يقرؤون القرآن فقال: طوبىٰ لهؤلاء كانوا أحبّ الناس لرسول الله ﷺ، وفي إثبات الجهر أحاديث كثيرة.

وأمَّا الآثار عن الصَّحابة والتَّابعين من أقوالهم وأفعالهم، فأكثر من أن تحصر وأشهر من أن تُذكر، وهذا كلُّه فيمَن لا يخاف رياءً ولا إعجاباً ولا نحوهما من القبائح، ولا يؤذي جماعةً يُلبس عليهم صلاتهم، ويخلطها عليهم.

وقد نُقل عن جماعةِ السلف اختيار الإخفاء لخوفهم مما ذكرناه، فعن الأعمش قال: دخلت علىٰ إبراهيم، وهو يقرأ بالمصحف، فاستأذن عليه رجلٌ فغطّاه، وقال: لا يرىٰ هذا أني أقرأ كلَّ ساعة[٢].

وعن أبي العالية قال: «كنت جالساً مع أصحاب رسول الله ﷺ، فقال رجل منهم: قرأت الليلة كذا، فقالوا: هذا حظك منه»[٣].

ويستدلّ لهؤلاء بحديث عقبة بن عامر ﷺ قال ﷺ: «الجاهرُ بالقرآن كالجاهر بالصَّدقة، والمسرُّ بالقرآن كالمسرِّ بالصَّدقة»[٤]، ومعناه أنّ الذي يُسرّ بقراءة القرآن أفضل أفضل من الذي يجهر بها؛ لأنّ صدقة السرّ أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية، قال: وإنّما معنىٰ هذا الحديث عند أهل العلم، لكي يأمن الرجل من العجب؛ لأنّ الذي يُسرّ بالعمل لا يخاف عليه من العُجب، كما يخاف عليه من علانيته.

فكان الأولىٰ التفصيل وهو إن خاف بسبب الجهر شيئاً مما يكره لم يجهر، وإن لم

---

(١) في سنن أبي داود٢: ٧٤، وسنن النسائي الكبرىٰ٢: ٢٦، وسنن ابن ماجه١: ٤٢٦، وصحيح ابن خزيمة٣: ٢٤.

(٢) ينظر: التبيان ص١٠٧.

(٣) في الزهد لأبي داود ص٣٤٢.

(٤) في سنن أبي داود١: ١٤٠، وسنن الترمذي٥: ١٨٠، وحسنه، وسنن النسائي الكبرىٰ٣: ٦٣، وصحيح ابن خزيمة٣: ٨.

يخف استحبّ الجهر، فإن كانت القراءة من جماعة مجتمعين تأكدّ استحباب الجهر، ولما يحصل فيه من نفع غيرهم[١].

**١٤ .استحباب تحسين الصوت بالقراءة:**

أجمع العلماءُ من السَّلف والخلف من الصَّحابة والتابعين، ومن بعدهم من علماء الأمصار أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن، وأقوالُهم وأفعالُهم مشهورة نهاية الشهرة، فنحن مستغنون عن نقل شيء من أفرادها، ودلائل هذا من حديث رسول الله ﷺ مستفيضة عند الخاصّة والعامة كحديث: «زينوا القرآن بأصواتكم»، وحديث: «لقد أوتي هذا مزماراً»، وحديث: «ما أذن الله»، وحديث: «لله أشد أَذَناً»، كما سبق.

وتقدَّم في فضل التَّرتيل حديث عبد الله بن مغفَّل في ترجيع النَّبيِّ ﷺ القراءة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: « ليس منا مَن لم يتغن بالقرآن»[٢]، قال جمهور العلماء: معنى لم يتغن لم يحسن صوته.

وعن البراء رضي الله عنه، قال ﷺ: «قرأ في العشاء بالتين والزيتون، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه»[٣]، قال العلماء: فيستحبُّ تحسين الصوت بالقراءة ترتيبها ما لم يخرج عن حدّ القراءة بالتمطيط، فإن أفرط حتى زاد حرفاً أو أخفاه، فهو حرام.

وأما القراءة بالألحان، قال الماوردي[٤]: القراءة بالألحان الموضوعة إن أخرجت لفظ القرآن عن صيغته بإدخال حركات فيه، أو إخراج حركات منه، أو قصر ممدود، أو مد مقصور، أو تمطيط يخفي به بعض اللفظ، ويتلبس المعنى، فهو حرام، يُفسق به

---

(١) ينظر: التبيان ص١٠٨.
(٢) في صحيح البخاري٩: ١٥٤، وسنن أبي داود٢: ٧٤.
(٣) في صحيح البخار١: ١٥٣، وصحيح مسلم١: ٣٣٩:
(٤) ينظر: الحاوي الكبير١٧: ١٩٧.

القارئ، ويأثم به المستمع؛ لأنه عدل به عن نهجه القويم إلى الاعوجاج، والله تعالى يقول: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر:٢٨]، قال: وإن لم يخرجه اللحن عن لفظه وقراءته على ترتيله كان مباحاً؛ لأنه زاد على ألحانه في تحسينه.

وهذا القسم الأول من القراءة بالألحان المحرمة مصيبةٌ ابتلي بها بعض الجهلة الطغام الغشمة الذين يقرؤون على الجنائز وبعض المحافل، وهذه بدعةٌ محرمةٌ ظاهرةٌ يأثم كلُّ مستمع لها، ويأثم كلُّ قادر على إزالتها أو على النَّهي عنها إذا لم يفعل ذلك، وقد بذلت فيها بعض قدرتي، وأرجو من فضل الله الكريم أن يوفق لإزالتها مَن هو أهل لذلك، وأن يجعله في عافية.

وحدرت بالقراءة إذا أدرجتها ولم تمططها، ويقال: فلان يقرأ بالتَّحزين إذا رقق صوته، وقد روى ابن أبي داود عن أبي هريرة ﷺ: أنه قرأ إذا الشَّمس كورت يحزنها شبه الرثاء[1].

وقيل: لابن أبي مليكة: «أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت، فقال: يحسنه ما استطاع»[2].

قال النَّوويُّ[3]: «اعلم أنّ جماعات من السَّلف كانوا يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرؤوا، وهم يستمعون، وهذا متفقٌ على استحبابه، وهو عادة الأخيار والمتعبدين، وعباد الله الصالحين، وهي سُنّةٌ ثابتةٌ عن رسول الله ﷺ... والآثارُ في هذا كثيرةٌ معروفةٌ».

فعن ابن مسعود ﷺ قال ﷺ: «اقرأ عليّ القرآن، فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك، وعليك أُنزل، قال: إني أحبُّ أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا

(١) ينظر: التبيان ص١١٠ـ ١١٢.
(٢) في سنن أبي داود٢: ٧٤.
(٣) في التبيان ص١١٣.

جئت إلىٰ هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء:٤١]، قال: حسبك الآن، فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان»[١].

وعن عمر رضي الله عنه كان يقول لأبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: «ذكِّرنا رَبَّنا، فيقرأ عنده القرآن»[٢].

**١٥. استفتاح المجالس بقراءة القرآن:**

استحبَّ العلماءُ أن يستفتحَ مجلس حديث النبي ﷺ، ويختم بقراءة قارئ حسن الصوت ما تيسّر من القرآن، ثمّ إنّه ينبغي للقارئ في هذه المواطن أن يقرأ ما يليق بالمجلس ويُناسبه، وأن تكون قراءته في آيات الرجاء والخوف والمواعظ، والتَّزهيد في الدُّنيا، والتَّرغيب في الآخرة، والتأهب لها، وقصر الأمل، ومكارم الأخلاق[٣].

**١٦. حسن الوقف:**

ينبغي للقارئ إذا ابتدأ من وسط السُّورة، أو وقف علىٰ غير آخرها أن يبتدئ من أوَّل الكلام المرتبط بعضه ببعض، وأن يقفَ علىٰ الكلام المرتبط، ولا يتقيد بالأعشار والأجزاء، فإنها قد تكون في وسط الكلام المرتبط كالجزء الذي في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ﴾ [يوسف:٥٣] ، وفي قوله تعالىٰ: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ ﴾ [النمل:٥٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الأحزاب:٣١]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [يس:٢٨]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [فصلت:٤٧]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ ﴾ [الجاثية:٣٣]، وفي قوله: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الذاريات:٣١].

وكذلك الأحزاب كقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [البقرة:٢٠٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ [آل عمران:١٥].

---

(١) في صحيح البخاري٦: ١٩٦، و

(٢) في صحيح ابن حبان١٦: ١٦٨، وسنن الدارمي٤: ٢١٩٠.

(٣) ينظر: التبيان ص١١٤.

فكلُّ هذا وشبيهُه ينبغي أن يبتدأ به، ولا يوقف عليه، فإنّه متعلّق بما قبله، ولا يغترن بكثرة الغافلين له من القراء الذين لا يراعون هذه الآداب، ولا يفكرون في هذه المعاني، وامتثل ما روىٰ الحاكم أبو عبد الله بإسناده عن السيد الجليل الفضيل بن عياض قال: لا تستوحش طرق الهدىٰ لقلة أهلها، ولا تغترن بكثرة الهالكين، ولا يضرك قلة السالكين[١].

ولهذا المعنىٰ قالت العلماء: قراءه سورة قصيرة بكاملها أفضل من قراءة بعض سورة طويلة، بقدر القصيرة، فإنّه قد يخفىٰ الارتباط علىٰ بعض النّاس في بعض الأحوال، فعن التَّابعي ابن أبي الهذيل: «كانوا يكرهون أن يقرؤوا بعض الآية، ويتركوا بعضها»[٢].

**١٧. الدعاء عند ختم القرآن:**

يستحب الدعاء عقيب الختم، فعن حميد الأعرج، قال: «مَن قرأ القرآن ثمّ دعا أمن علىٰ دعائه أربعة آلاف ملك»[٣].

وينبغي أن يلح في الدعاء، وأن يدعو بالأمور المهمة، وأن يكثر في ذلك في صلاح المسلمين، وصلاح سلطانهم، وسائر ولاة أمورهم، فعن ابن المبارك: «كان إذا ختم القرآن أكثر دعائه للمسلمين والمؤمنين والمؤمنات»[٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده، فدعا لهم»[٥].

ويختار الداعي الدعوات الجامعة كقوله:

---

(١) ينظر: التبيان ص ١١٥ـ ١١٦.
(٢) في شعب الإيمان٣: ٤٥٧، ومصنف ابن أبي شيبة١٥: ٥٥١.
(٣) في سنن الدارمي٤: ٢١٨٤.
(٤) في شعب الإيمان٣/ ٥١٦،
(٥) في المعجم الكبير١: ٢٤٢، وشعب الإيمان٣: ٤٢١.

اللهم أصلح قلوبنا، وأزل عيوبنا وتولنا بالحسنىٰ، وزينا بالتَّقوىٰ، واجمع لنا خير الآخرة والأولىٰ، وارزقنا طاعتك ما أبقيتنا.

اللهم يسرنا لليسرىٰ، وجنبنا العسرىٰ، وأعذنا من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، وأعذنا من عذاب النّار، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقوىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم إنا نستودعك أدياننا وأبداننا، وخواتيم أعمالنا وأنفسنا وأهلينا وأحبابنا وسائر المسلمين، وجميع ما أنعمت علينا وعليهم من أمور الآخرة والدنيا.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدِّين والدُّنيا والآخرة، واجمع بيننا وبين أحبابنا في دار كرامتك بفضلك ورحمتك.

اللهم أصلح ولاة المسلمين ووفقهم للعدل في رعاياهم، والإحسان إليهم والشفقة عليهم، والرفق بهم، والاعتناء بمصالحهم، وحببهم إلىٰ الرعية، وحبِّب الرَّعية إليهم، ووفقهم لصراطك المستقيم، والعمل بوظائف دينك القويم.

اللهم أُلطف بعبدك سلطاننا، ووفقه لمصالح الدنيا والآخرة، وحببة إلىٰ رعيته، وحبب الرَّعية إليه، ويقول باقي الدعوات المذكورة في جملة الولاة ويزيد.

اللهم ارحم نفسه وبلاده وصن أتباعه وأجناده، وانصره علىٰ أعداء الدين وسائر المخالفين، ووفقه لإزالة المنكرات، وإظهار المحاسن، وأنواع الخيرات، وزد الإسلام بسببه ظهوراً، وأعزّه ورعيته إعزازاً باهراً.

اللهم أصلح أحوال المسلمين وأرخص أسعارهم، وأمنهم في أوطانهم واقض ديونهم، وعاف مرضاهم، وانصر جيوشهم وسَلِّم غيابهم، وفك أسراهم، واشف صدورهم، وأذهب غيظ قلوبهم، وألف بينهم، واجعل في قلوبهم الإيمان والحكمة،

وثبتهم على ملّة رسولك ﷺ، وأوزعهم من يوفوا بعهدك الذي عاهدتهم عليه، وانصرهم على عدوك وعدوهم، إله الحقّ، واجعلنا منهم.

اللهم اجعلهم آمرين بالمعروف، فاعلين به، ناهين عن المنكر، مجتنبين له، محافظين على حدودك، قائمين على طاعتك، متناصفين متناصحين.

اللهم صنهم؛ لأنّ في أقوالهم وأفعالهم، وبارك لهم في جميع أحوالهم.

ويفتح دعاءه ويختمه بقوله: الحمد لله رب العالمين حمداً يُوافي نعمه، ويكافئ مزيده.

اللهم صلِّ وسَلِّم على سيدنا محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمّد كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد[١].

ويُستحبُّ إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أُخرى عقيب الختمة، فقد استحبه السَّلف، فعن أنس وابن عباس وأبي هريرة ﷺ، أنّ رجلاً قال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «الحال المرتحل قال: يا رسول الله وما الحال المرتحل؟ قال: يضرب من أول القرآن إلى آخره، ومن آخره إلى أوله»[٢].

**١٨. مراعاة آداب عامة:**

أ. تجنب قراءة القرآن في الأوقات المكروهة:

يقرأ القرآن على الإطلاق إلا في أحوال مخصوصة جاء الشَّرع بالنَّهي عن القراءة فيها، ومنها:

---

(١) ينظر: التبيان ص١٦٢.

(٢) في سنن الترمذي٥: ١٩٧، وسنن الدارمي٤: ٢١٨٠، والمستدرك١: ٧٥٧، والمعجم الكبير١٢: ١٦٨.

ـ القراءة في حالة الركوع والسجود والتشهد وغيرها من أحوال الصلاة سوىٰ القيام.

ـ القراءة للمأموم في الصلاة مطلقاً.

ـ حالة القعود علىٰ الخلاء.

ـ حالة الخطبة مطلقاً.

ب. ما يفعله جهلة المصلين بالنَّاس في التَّراويح من قراءة سورة الأنعام في الركعة الأخيرة في الليلة السابعة معتقدين أنها مستحبة فيجمعون أمورا منكرة: منها: اعتقادها مستحبة. ومنها إيهام العوام ذلك. ومنها: تطويل الركعة الثانية علىٰ الأولىٰ، وإنما السنة تطويل الأولىٰ. ومنها: التطويل علىٰ المأمومين. ومنها: هذرمة القراءة.

ج. قراءة بعض جهلتهم في الصبح يوم الجمعة بسجدة غير سجدة ألم تنزيل قاصداً ذلك، وإنما السنة قراءة ألم تنزيل في الركعة الأولىٰ، ﴿هَلۡ أَتَىٰ﴾ [الإنسان:١] في الثانية.

د.إذا كان يقرأ، فعرض له ريح، فينبغي أن يمسك عن القراءة حتىٰ يتكامل خروجها، ثم يعود إلىٰ القراءة، كذا رواه ابنُ أبي داود وغيرُه عن عطاء، وهو أدب حسن.

هـ.إذا تثاءب أمسك عن القراءة، حتىٰ ينقضي التثاؤب ثم يقرأ، قال مجاهد، وهو حسن، فعن أبي سعيد الخدري ﵁ قال ﷺ: «إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده علىٰ فمه، فإن الشيطان يدخل»[1].

و.أنّه إذا قرأ قول الله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠] ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠] ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ [المائدة:٦٤] ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨﴾ [مريم:٨٨] ونحو ذلك من الآيات، ينبغي أن يخفض بها صوته، كذا كان إبراهيم النَّخعيُّ ﵁ يفعل.

---

(١) في صحيح مسلم ٤: ٢٢٩٣.

ز. يستحبُّ له أن يقول ما رواه أبو هريرة ﷺ، قال ﷺ: «مَن قرأ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ [التين:١] فقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التين:٨] فليقل: بلىٰ، وأنا علىٰ ذلك من الشَّاهدين، ومَن قرأ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾ [القيامة:١ ] فانتهىٰ إلىٰ ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ [القيامة:٤٠]، فليقل: بلىٰ، ومَن قرأ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝٥٠﴾ [المرسلات:٥٠]، فليقل: آمنت بالله»[١].

وعن ابن عبَّاس وابن الزبير وأبي موسىٰ الأشعري ﷺ: «أنهم كانوا إذا قرأ أحدُهم: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلىٰ:١]، قال: سبحان ربي الأعلىٰ»[٢].

ح.إذا ورد علىٰ القارئ من فيه فضيلة من علم أو شرف أو سنّ مع صيانة أو له حرمة بولايةٍ أو ولادة أو غيرها فلا بأس بالقيام له علىٰ سبيل الاحترام والإكرام لا للرِّياء والإعظام، بل ذلك مستحب، وقد ثبت القيام للإكرام من فعل النَّبيِّ ﷺ وفعل أصحابه ﷺ بحضرته وبأمره، ومن فعل التابعين، ومَن بعدهم من العلماء الصالحين، وقد جمعت جزءاً في القيام، وذكرت فيه الأحاديث والآثار الواردة باستحبابه وبالنهي عنه، وبينتُ ضعف الضعيف منها، وصحّة الصحيح، والجواب عما يتوهم منه النهي وليس فيه نهي، وأوضحت ذلك كلّه بحمد الله تعالىٰ.

ط. إذا كان يقرأ ماشياً، فمَرَّ علىٰ قوم يُستحبُّ أن يقطعَ القراءة، ويُسلِّم عليهم، ثم يرجع إلىٰ القراءة، ولو أعاد التَّعوُّذ كان حسناً.

ولو كان يقرأ جالساً فمَرَّ عليه غيرُه، فالأولىٰ ترك السلام علىٰ القارئ لاشتغاله بالتلاوة، فإن سلَّم عليه إنسان ردّ عليه السلام.

وأمَّا اذا عطس في حال القراءة، فإنه يستحبُّ أن يقول: الحمد لله.

ولو سمع المؤذن قطع القراءة، وأجابه بمتابعته في ألفاظ الأذان والإقامة، ثمّ يعود إلىٰ قراءته.

---

(١) في سنن أبي داود١: ٢٣٤، وسنن الترمذي٥: ٤٤٣، وضعفه.

(٢) في سنن أبي داود١: ٢٣٣.

وأما إذا طلبت منه حاجة في حال القراءة، وأمكنه جواب السائل بالإشارة المفهمة، وعلم أنه لا ينكسر قلبه، ولا يحصل عليه شيء من الأذىٰ للأنس الذي بينهما ونحوه، فالأولىٰ أن يجيبه بالإشارة ولا يقطع القراءة، فإن قطعها جاز.

ي. الجمع بين سورتين في ركعةٍ واحدةٍ، فعن ابن مسعود ﷺ: «لقد عرفت النَّظائرَ التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن، فذكر عشرين سورة من المفصل كلّ سورتين في ركعة»[١].

ق.يجوز أن يقال: سورة البقرة وسورة آل عمران وسورة النساء وسورة المائدة وسورة الأنعام، وكذا الباقي لا كراهة في ذلك.

وكره بعضُ المتقدِّمين هذا، وقال: يُقال السورة التي يذكر فيها البقرة، والسورة التي يذكر فيها آل عمران، والسورة التي يذكر فيها النساء، وكذا البواقي.

والصَّواب الأول، فقد عبّر النبي ﷺ بسورة البقرة وسورة الكهف وغيرهما مما لا يحصي، فعن أبي مسعود ﷺ، قال ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة، مَن قرأهما في ليلة كفتاه»[٢]، وكذلك عن الصحابة ﷺ، قال ابن مسعود: «هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة»[٣]، والأحاديث وأقوال السلف في هذا أكثر من أن تحصر[٤].

ل.اتفق العلماء علىٰ استحباب كتابة المصاحف وتحسين كتابتها وتبيينها وإيضاحها، وتحقق الخطّ دون مشقة.

ويستحب نقط المصحف وشكله، فإنه صيانة من اللحن فيه وتصحيفه، وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط فإنما كرهاه في ذلك الزمان خوفاً من التغيير فيه، وقد

---

(١) في صحيح البخاري١: ١٥٥، وصحيح مسلم١: ٥٦٥.
(٢) في صحيح البخاري٥: ٨٤.
(٣) في صحيح البخاري٢: ١٧٨.
(٤) ينظر: التبيان ص١٧١.

أمن ذلك اليوم فلا منع ولا يمتنع من ذلك لكونه محدثاً، فإنه من المحدثات الحسنة، فلم يمنع منه كنظائره مثل تصنيف العلم وبناء المدارس والرباطات وغير ذلك[١].

## * رابعاً: آداب الناس كلهم مع القرآن:

فعن تميم الداري ﵁ قال ﷺ: «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[٢].

والنَّصيحة لكتاب الله تعالىٰ هي الإيمان بأنه كلام الله تعالىٰ، وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر علىٰ مثلِه الخلق بأسرهم، ثم تعظيمه وتلاوته حقّ تلاوته، وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التِّلاوة، والذَّب عنه لتأويل المحرفين، وتعرض الطاغين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتناء بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتَّسليم بمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه، والدعاء إليه، وإلىٰ ما ذكرناه من نصيحته، **ومنها:**

**١. تعظيم القرآن:**

أجمع المسلمون علىٰ وجوب تعظيم القرآن العزيز علىٰ الإطلاق وتنزيهه وصيانته.

وأجمعوا علىٰ أن مَن جحد منه حرفاً مما أجمع عليه أو زاد حرفاً لم يقرأ به أحد، وهو عالم بذلك فهو كافر.

قال القاضي عياض[٣]: «اعلم أنّ مَن استخفّ بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه أو سبّهما أو جحد حرفاً منه أو كذب بشيء مما صرَّح به فيه من حكم أو خبر أو أثبت ما نفاه أو نفي ما أثبته، وهو عالم بذلك، أو يشكّ في شيء من ذلك، فهو كافر بإجماع المسلمين.

---

(١) ينظر: التبيان ص١٨٩ـ١٩٠.

(٢) في صحيح مسلم١: ٧٤.

(٣) في الشفا٢: ٦٤٨ـ٦٤٩.

وكذلك إذا جحد التوراة والإنجيل أو كتب الله المنزلة أو كفر بها أو سبها أو استخف بها، فهو كافر.

وأجمع المسلمون على أن القرآن المتلو في الأقطار، المكتوب في الصحف الذي بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان، من أول الحمد لله رب العالمين إلى آخر قل أعوذ برب الناس كلام الله، ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ، وأن جميع ما فيه حقّ، وأن مَن نقص منه حرفاً قاصداً لذلك أو بدَّله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع فيه الإجماع، وأجمع على أنه ليس بقرآن عامداً لكل هذا، فهو كافر.

قال أبو عثمان الحذاء: جميعُ أهل التَّوحيد متفقون على أنّ الجحدَ بحرف من القرآن كفر، وقد اتفق فقهاءُ بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ أحد أئمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته وإقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف، وعقدوا عليه للرجوع عنه والتوبة سجلاً أشهدوا فيه على نفسه في مجلس الوزير ابن مُقْلَة سنة (٣٢٣هـ).

وأفتى الأبهري وابنُ أبي زيد فيمَن قال لصبي: لعن الله معلمك وما علَّمك، وقال أردت سوء الأدب، ولم أرد القرآن، قال: يؤدب القائل، قال: وأمَّا مَن لَعَنَ المصحف، فإنه يُقتل».

**٢. حرمة تفسيره بلا علم:**

ويحرم تفسيره بغير علم، والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها، والأحاديث في ذلك كثيرة، والإجماع منعقد عليه.

وأمّا تفسيره للعلماء فجائز حسن، والإجماع منعقدٌ عليه، فمَن كان أهلاً للتَّفسير جامعاً للأدوات حتى التي يعرف بها معناه وغلب على ظنِّه المراد فسَّره إن كان مما يدرك بالاجتهاد كالمعاني والأحكام الجلية والخفية والعموم والخصوص والإعراب وغير ذلك.

وإن كان مما لا يدرك بالاجتهاد كالأمور التي طريقها النَّقل وتفسير الألفاظ اللغوية، فلا يجوز الكلام فيه إلا بنقل صحيح من جهة المعتمدين من أهله.

وأما مَن كان ليس من أهله؛ لكونه غير جامع لأدواته، فحرام عليه التفسير، لكن له أن ينقل التفسير عن المعتمدين من أهله.

ثمَّ المفسرون برأيهم من غير دليل صحيح أقسام:

منهم: مَن يحتج بأنه على تصحيح مذهبه، وتقوية خاطره، مع أنه لا يغلب على ظنِّه أن ذلك هو المراد بالآية، وإنّما يقصد الظُّهور على خصمه.

ومنهم: مَن يقصد الدُّعاء إلى خير، ويحتجُّ بآية من غير أن تظهر له دلالة لما قاله.

ومنهم: مَن يفسر ألفاظه العربية من غير وقوف على معانيها عند أهلها، وهي مما لا يؤخذ إلا بالسَّماع من أهل العربية وأهل التفسير: كبيان معنى اللفظ، وإعرابها، وما فيها من الحذف والاختصار والإضمار، والحقيقة والمجاز، والعموم والخصوص، والتقديم والتأخير، والإجمال والبيان، وغير ذلك مما هو خلاف الظاهر.

ولا يكفي مع ذلك معرفة العربية وحدها، بل لا بُدَّ معها من معرفة ما قاله أهل التفسير فيها، فقد يكونون مجتمعين على ترك الظاهر أو على إرادة الخصوص أو الإضمار وغير ذلك مما هو خلاف الظَّاهر وكما إذا كان اللفظ مشتركاً في معان، فعُلم في موضع أنّ المرادَ أحد المعاني، ثمّ فسَّر كلَّ ما جاء به، فهذا كلُّه تفسيرٌ بالرَّأي، وهو حرام، والله أعلم.

**٣. حرمة الرياء في القرآن:**

يحرم المراء في القرآن، والجدال فيه بغير حق، فمن ذلك أن يظهر فيه دلالة الآية على شيء يخالف مذهبه، ويحتمل احتمالاً ضعيفاً موافقة مذهبه، فيحملها على مذهبه، ويُناظر على ذلك مع ظهورها في خلاف ما يقول.

وأمَّا مَن لا يظهر له ذلك، فهو معذور، فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «المراء في القرآن كفر»[١]، قال الخطابي[٢]: «معنىٰ المراء هنا الشك فيه: كقوله ﷻ: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [هود:١٧]: أي في شكّ، ويُقال: بل المراء هو الجدال المشكك فيه، وقال بعضهم: إنّما جاء هذا في الجدال بالقرآن في الآي التي فيها ذكر القدر والوعيد وما كان في معناهما».

**٤. أدب السائل عنه:**

وينبغي لمن أراد السؤال عن تقديم آية علىٰ آية في المصحف أو مناسبة هذه الآية في هذا الموضع ونحو ذلك أن يقول ما الحكمة في كذا؟

**٥. أدب الناس معه:**

يكره أن يقول نسيت آية كذا، بل يقول أُنسيتها أو أُسقطتها، فعن ابن مسعود ﵁، قال ﷺ: «لا يقول أحدكم نسيت آية كذا وكذا، بل هو نُسي»[٣]، وفي رواية: «بئس ما لأحدكم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت، بل هو نُسِّي»[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقرأ فقال: «رحمه الله لقد ذكرني آية كنت أسقطتها»[٥].

## * خامساً: الآيات والسور المستحبة في أوقات وأحوال مخصوصة:

اعلم أنّ هذا البابَ واسعٌ جداً لا يُمكن حصره؛ لكثرة ما جاء فيه، ولكن نشير إلىٰ أكثره أو كثير منه بعبارات وجيزة، فإنّ أكثر الذي نذكره فيه معروف للخاصّة والعامة، ولهذا لا أذكر الأدلّة في أكثره فمن ذلك كثرة الاعتناء بتلاوة القرآن في شهر

---

(١) في سنن أبي داود٤: ١٩٩، وسنن النسائي الكبرىٰ٧: ٢٨٩، وصحيح ابن حبان١: ٢٧٥.
(٢) في معالم السنن٤: ٢٩٧.
(٣) في سنن النسائي الكبرىٰ٩: ٢٦٧، ومسند البزار٥: ١١٥.
(٤) في صحيح البخاري٦: ١٩٣، وصحيح مسلم١: ٥٤٤.
(٥) في صحيح مسلم١: ٥٤٣، ومسند أحمد٤١: ٥١٥.

رمضان، وفي العشر آكد، ولياليِ الوتر منه آكد، ومن ذلك العشر الأول من ذي الحجة، ويوم عرفة ويوم الجمعة، وبعد الصبح، وفي الليل، وينبغي أن يُحافظ على قراءة يس والواقعة، وتبارك الملك.

فالسنة أن يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة بعد الفاتحة في الركعة الأولى سورة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة:٢] بكمالها، وفي الثانية: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ [الإنسان:١]، ولا يفعل ما يفعله كثير من أئمة المساجد من الاقتصار على آيات من كلّ واحدة منهما مع تمطيط القراءة، بل ينبغي أن يقرأهما بكمالهما، ويدرج قراءته مع ترتيل.

والسنة أن يقرأ في صلاة الجمعة في الركعة الأولى سورة الجمعة بكمالها، وإن شاء ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى:١]، وفي الثانية: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية:١] فكلاهما صحيح عن رسول الله ﷺ، وليتجنب الاقتصار على البعض.

والسُّنةُ في صلاة العيد في الركعة الأولى سورة ﴿قٓ﴾ [ق:١]، وفي الثانية: سورة الساعة بكمالها، وإن شاء سبح، وهل أتاك فكلاهما صحيح عن رسول الله ﷺ، وليجتنب الاقتصار على البعض.

ويقرأ في ركعتي سنة الفجر بعد الفاتحة الأولى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١]، وفي الثانية: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، وإن شاء قرأ في الأولى ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة:١٣٦] الآية، وفي الثانية: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ [آل عمران:٦٤]، ويقرأ في سنة المغرب: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، ويقرأ بهما أيضاً في ركعتي الطواف وركعتي الاستخارة.

ويقرأ من أوتر بثلاث ركعات في الركعة الأولى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ ، وفي الثانية: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾، وفي الثالثة: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، والمعوذتين.

ويستحبُّ أن يقرأ سورة الكهف يوم الجمعة ، فعن أبي سعيد ﷺ، قال ﷺ: «إن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»[١]، وعن أبي سعيد ﷺ: «مَن قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له النور فيما بينه وبين البيت العتيق»[٢].

ويستحبُّ الإكثار من تلاوة آية الكرسي في جميع المواطن، وأن يقرأها كلَّ ليلة إذا أوىٰ إلىٰ فراشه، وأن يقرأ المعوذتين عَقِب كلِّ صلاة، فعن عقبة بن عامر ﷺ قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوذتين دبر كلِّ صلاة»[٣].

ويُستحبُّ أن يقرأ عند النوم: آية الكرسي، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ والمعوذتين، وآخر سورة البقرة، فهذا مما يهتم له، ويتأكد الاعتناء به.

فعن أبي مسعود ﷺ، قال ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة، مَن قرأهما في ليلة كفتاه»[٤]، قال جماعة من أهل العلم: كفتاه عن قيام الليل، وقال آخرون: كفتاه المكروه في ليلته.

وعن عائشة رضي الله عنها: «أنّ النبيَّ ﷺ كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه كلَّ ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾ [الفلق:١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾ [الناس:١]، ثمّ يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما علىٰ رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات»[٥].

وعن علي ﷺ: «ما كنت أرىٰ أحداً يعقل دخل في الإسلام ينام حتىٰ يقرأ آية الكرسي».

---

(١) في المستدرك٢: ٣٩٩.
(٢) في سنن الدارمي٤: ٢١٤٣.
(٣) في سنن أبي داود٢: ٨٦، ومسند أحمد٢٩: ٣٣٠، وصححه النووي.
(٤) في صحيح البخاري٥: ٨٤.
(٥) في صحيح البخاري٦: ١٩٠.

وعن علي ﷺ: «ما كنت أرىٰ أحداً يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة»[١].

وعن إبراهيم النخعي: كانوا يستحبون أن يقرؤوا هذه السور كل ليلة ثلاث مرات، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ والمعوذتين.

وعن عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ لا ينام حتىٰ يقرأ الزمر وبني اسرائيل»[٢].

ويستحبُّ أن يقرأ إذا استيقظ من النَّوم كلَّ ليلة آخر آل عمران، فعن عباس ﷺ: «أنه رقد عند رسول الله ﷺ، فاستيقظ فتسوك وتوضأ، وهو يقول: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠﴾ [آل عمران:١٩٠] فقرأ هؤلاء الآيات حتىٰ ختم السورة»[٣].

ويستحبُّ أن يقرأ عند المريض بالفاتحة، فعن أبي سعيد ﷺ: أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا علىٰ حي من أحياء العرب فلم يقروهم، فبينما هم كذلك، إذ لدغ سيد أولئك، فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا، ولا نفعل حتىٰ تجعلوا لنا جعلاً، فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء، فجعل يقرأ بأم القرآن، ويجمع بزاقه ويتفل، فبرأ فأتوا بالشاء، فقالوا: لا نأخذه حتىٰ نسأل النبي ﷺ، فسألوه فضحك وقال: «وما أدراك أنها رقية، خذوها واضربوا لي بسهم»[٤].

ويستحب أن يقرأ عنده: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ مع النفث في اليدين.

---

(١) في سنن الدارمي٤: ٢١٣٠، وقال النووي: إسناده صحيح علىٰ شرط البخاري ومسلم.
(٢) في سنن الترمذي٥: ١٨١، وحسنه.
(٣) في صحيح مسلم١: ٥٣٠.
(٤) في صحيح البخاري٧: ١٣١.

وعن طلحة بن مطرف رضي الله عنه قال: «كان المريض إذا قرئ عنده القرآن وجد لذلك خفة، فدخلت على خيمته، وهو مريض، فقلت: إني أراك اليوم صالحاً، فقال: إني قرئ عندي القرآن»(١).

وعن محمد بن مخلد: «أنّ الرمادي كان إذا اشتكى شيئاً، قال: هاتوا أصحاب الحديث، فإذا حضروا قال: اقرؤوا على الحديث»(٢)، فهذا في الحديث فالقرآن أولى(٣).

* * *

(١) في شعب الإيمان ٤: ١٧١.
(٢) في تاريخ دمشق ٦: ٢٧.
(٣) ينظر: التبيان ص١٧٦ـ ١٨٣.

# المراجع

١. أبو حنيفة النعمان بن ثابت طبقته، توثيقه، ثناء العلماء عليه: لعبد الحي اللكنوي (١٢٦٤-١٣٠٤هـ)، جمع وترتيب وتعليق: الدكتور صلاح محمد أبو الحاج، تحت الطبع.
٢. الإتقان في علوم القرآن: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي جلال الدين (٨٤٩-٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣. الأحاديث المختارة: لمحمد بن عبد الواحد المقدسي(٥٦٧-٦٤٣هـ)، تحقيق: عبد الملك عبد الله، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ.
٤. إحياء علوم الدين: لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٥. الاستذكار: للإمام يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (ت٤٦٣)، تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعه جي، دار قتيبة ودار الوعي، ط١، ١٤١٣هـ.
٦. الأسماء والصفات: للبيهقي، ت: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٧. أصول البزدوي: لعلي بن محمد بن حسين البزدوي (٤٠٠-٤٨٢هـ)، دار الكتاب الإسلامي، مطبوع مع شرحه كشف الأسرار.
٨. الاعتقاد: لأحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.
٩. آكام النفائس في أداء الأذكار بلسان فارس: لعبد الحي اللكنوي (ت١٣٠٤هـ)، المطبع المصطفائي، لكنو، ١٣٠٠هـ، وأيضاً: ت: د: صلاح أبو الحاج، المكتبة الشاملة.
١٠. الأموال لابن زنجويه: لأبي أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه (ت: ٢٥١هـ)، ت: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١١. إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل: للكناني، ت: وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار السلام للطباعة والنشر – مصر، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
١٢. البحر المحيط في أصول الفقه: لمحمد بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، ت: الدكتور عمر الأشقر، ط١، ١٩٨٩م، الكويت، وأيضاً: طبعة دار الكتبي.
١٣. البداية والنهاية: لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف، بيروت.
١٤. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: لأبي بكر بن مسعود الكاساني (ت٥٨٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت. ط٢، ١٤٠٢هـ، وأيضاً: طبعة دار الكتب العلمية.
١٥. الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف لعبد الله بن محمد البطليوسي (ت٥٢١هـ)، ت: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣.
١٦. تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والفقهاء والمحدثين: للقشيري (ت: ٣٣٤هـ)، ت: إبراهيم صالح، دار البشائر، ط١، ١٤١٩هـ.
١٧. تاريخ المدينة لابن شبة النميري (ت: ٢٦٢هـ)، ت: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد، جدة، ١٣٩٩هـ.
١٨. تاريخ دمشق: لعلي بن الحسن أبي محمد بن هبة الله، المعروف بـ(ابن عساكر)(٤٩٩-٥٧١هـ)، دار الفكر، دمشق.
١٩. التبيان في آداب حملة القرآن: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النَّوَوِيّ الشَّافِعِيّ(٦٣١-٦٧٦هـ)، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ.
٢٠. تبيين الحقائق شرح كَنْز الدقائق: لعثمان بن علي الزيلعي فخر الدين (ت٧٤٣هـ)، المطبعة الأميرية، مصر، ط١، ١٣١٣هـ.
٢١. تفسير القرطبي: لمحمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ.
٢٢. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (٣٦٨-٤٦٣هـ)، ت: مصطفى العلوي ومحمد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.
٢٣. التنقيح: لعبيد الله بن مسعود المحبوبي صدر الشريعة (ت٧٤٧هـ)، دار الكتب العربية الكبرى، مطبوع مع شرحه التوضيح، ١٣٢٧هـ.

٢٤. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار: لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
٢٥. التوضيح شرح التنقيح: لعبيد الله بن مسعود المحبوبي صدر الشريعة (ت٧٤٧هـ)، دار الكتب العربية الكبرى، ١٣٢٧هـ، وأيضاً: المطبعة الخيرية، مصر، ط١، ١٣٢٤هـ.
٢٦. جمال القراء وكمال الإقراء: للسخاوي (ت: ٦٤٣هـ)، ت: د. مروان العطيَّة - د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٢٧. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي: لعلي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، ت: علي محمد وعادل أحمد ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ، وأيضاً: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٢٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نُعَيْم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، وأيضاً: طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.
٢٩. الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات: لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، ت: دغش بن شبيب العجمي، دار الإمام أحمد، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ.
٣٠. الزهد: لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، ت: ياسر ابراهيم، دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، ط١، ١٤١٤ هـ.
٣١. الزهد: لعبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الله الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٢. الزيادة والإحسان في علوم القرآن؛ لمحمد بن أحمد الحنفي المكيّ، المعروف بعقيلة (ت١١٥٠ هـ)، ت: محمد صفاء حقي وآخرون، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، ط١، ١٤٢٧ هـ
٣٣. سنن ابن ماجه: لمحمد بن يزيد بن ماجه القزويني (٢٠٧-٢٧٣هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
٣٤. سنن أبي داود: لسليمان بن أشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

٣٥. سنن البَيْهَقِي الكبير: لأحمد بن الحسين بن علي البَيْهَقِي (ت٤٥٨هـ)، ت: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.
٣٦. سنن الترمذي: لمحمد بن عيسىٰ الترمذي (٢٠٩-٢٧٩هـ)، ت: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٧. سنن الدَّارَقُطْنِي: لأبي الحسن علي بن عمر الدَّارَقُطْنِي (٣٠٦-٣٨٥هـ)، ت: السيد عبد الله هاشم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ.
٣٨. سنن الدارمي: لعبد الله بن عبد الرحمن أبي محمد الدارمي (ت٢٥٥هـ)، ت: فواز أحمد وخالد العلمي، ط١، ١٤٠٧هـ، دار التراث العربي، بيروت.
٣٩. سير أعلام النبلاء: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذَّهَبِي شمس الدين (٦٧٣-٧٤٨هـ)، ت: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ.
٤٠. شرح ابن العيني علىٰ المنار: لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (٨٣٧-٨٩٣هـ)، المطبعة العثمانية في دار الخلافة، بهامش شرح المنار، ١٣١٦هـ.
٤١. شرح السنة: لحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٤٢. شرح صحيح مسلم: ليحيىٰ بن شرف النَّوَوِيّ الشَّافِعِيّ(ت٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢.
٤٣. شرح معاني الآثار: لأحمد بن محمد بن سلامة الطَّحَاوي (٢٢٩-٣٢١هـ)، ت: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.
٤٤. شعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسن البيهقي (٣٨٤-٤٥٨هـ)، ت: محمد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
٤٥. الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ: للقاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ)، دار الفيحاء، عمان، ط٢، ١٤٠٧ هـ.
٤٦. صحيح ابن خزيمة: لمحمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي (ت٣١١هـ)، ت: الدكتور محمد مصطفىٰ الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ.
٤٧. صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البُخَارِيّ (١٩٤-٢٥٦هـ)، ت: الدكتور مصطفىٰ البغا، دار ابن كثير واليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٤٨. صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج القُشَيْرِيّ النَّيْسَابوريّ (ت٢٦١هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٩. صحيح ابن حبَّان بترتيب ابن بلبان: لمحمد بن حِبَّان التميمي (٣٥٤هـ)، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.
٥٠. علوم القرآن لنور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح، دمشق، ط١، ١٤١٤ هـ.
٥١. فتاوىٰ الازهر، موقع وزارة الأوقاف المصرية.
٥٢. فتاوىٰ ابن تيمية: لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية تقي الدين (٦٦١-٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية.
٥٣. فتح الباري شرح صحيح البُخَاري: لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حَجَر العَسْقَلانِي (٧٧٣-٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٥٤. فتح الغفار بشرح المنار: لإبراهيم ابن نجيم المصري زين الدين (ت٩٧٠هـ)، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٥٥هـ.
٥٥. فتح القدير: لمحمد بن عبد الواحد كمال الدين الشهير بـ(ابن الهمام)(٧٩٠-٨٦١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وأيضاً: طبعة دار الفكر.
٥٦. فضائل الصحابة: لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: الدكتور وصي الدين محمد عباس، ط١، ١٤٠٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٥٧. فضائل القرآن: للمستغفري النسفي (ت: ٤٣٢هـ)، ت: أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، ط: ١، ٢٠٠٨م.
٥٨. القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط: لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي مجد الدين (ت٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ.
٥٩. كشف الأسرار شرح أصول البَزْدَوي: لعبد العزيز بن أحمد البخاري الحنفي علاء الدين (٧٣٠١هـ)، طبعة اسطنبول، ١٣٠٨هـ، وأيضاً: طبعة دار الكتاب الإسلامي.
٦٠. كشف الأسرار شرح المنار: لأبي البركات عبد الله بن أحمد النَّسَفِي حافظ الدين (ت٧٠١هـ)، المطبعة الكبرىٰ الأميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٣١٦هـ، وأيضاً: طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٦١. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي (١٠١٧-١٠٦٧)، دار الفكر.
٦٢. كنْز الدقائق: لأبي البركات عبد الله بن أحمد النَّسَفِي حافظ الدين (ت٧٠١هـ)، اعتنى به: إبراهيم الحنفي الأزهري، طبع بالمطبعة الحميدية المصرية بالمناصرة بمصر، ١٣٢٨هـ.
٦٣. لسان العرب: لأبي الفضل محمد بن مكرم الإفريقي المصري المشهور بـ(ابن منظور)(ت٧١١هـ)، ت: عبْد الله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف.
٦٤. المجالسة وجواهر العلم: للدينوري القاضي المالكي، دار ابن حزم - لبنان – بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٦٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ، ودار الكتاب العربي، بيروت.
٦٦. المجموع شرح المهذب: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النَّوَوِيّ الشَّافِعِيّ(٦٣١-٦٧٦هـ)، ت: محمود مطرحي، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤١٧هـ.
٦٧. مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر: لمحمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (ت: ٢٩٤هـ)، اختصرها: العلامة أحمد بن علي المقريزي، حديث أكادمي، فيصل اباد – باكستان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٦٨. المدخل لدراسة الفقه واصوله للدكتور صلاح ابو الحاج وآخرون، جامعة آل البيت، مخطوط.
٦٩. مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول: لمحمد بن فرامُوز بن علي ملا خسرو (ت٨٨٥هـ)، مطبعة الحاج محرم أفندي البوسنوي، ١٢٩١هـ.
٧٠. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: لأبي شامة (ت: ٦٦٥هـ)، ت: طيار آلتي قولاج، ت: دار صادر – بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٧١. مرقاة الوصول: لمحمد بن فرامُوز بن علي الحنفي المعروف بـ(مُلا خسرو)(ت٨٨٥هـ)، مطبوع مع مرآة الأصول، مطبعة الحاج محرم أفندي البوسنوي، ١٢٩١هـ.
٧٢. مسار الوصول إلى علم الأصول للدكتور صلاح أبو الحاج، دار الفتح، عمان، ط١: ٢٠١٦م.
٧٣. المستدرك على الصحيحين: لمحمد بن عبد الله الحاكم (ت٤٠٥هـ)، ت: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٧٤. مسند ابن الجعد: لأبي الحسن علي بن الجعد الجوهري (ت٢٣٠هـ)، ت: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت.
٧٥. مسند أحمد بن حنبل: لأحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر.
٧٦. مسند البَزَّار (البحر الزخار): لأبي بكر أحمد بن عمرو البَزَّار (٢١٥-٢٩٢هـ)، ت: الدكتور محفوظ الرحمن، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.
٧٧. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (مسند الحارث): الحارث بن أبي أسامة (١٨٦-٢٨٢هـ): للحافظ نور الدين الهيثمي، ت: الدكتور حسين أحمد الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ.
٧٨. مسند الشافعي: لمحمد بن إدريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٩. مسند الشاميين: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطَّبَرَاني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، ت: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
٨٠. مسند الشهاب: لأبي عبد الله محمد بن سلامة القُضَاعي (ت٤٥٤هـ)، ت: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.
٨١. مسند سعد بن أبي وقاص: للدَّوْرَقي (ت: ٢٤٦هـ)، ت: عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط١، ١٤٠٧.
٨٢. المصاحف: لأبي داود، ت: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٨٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠هـ)، المطبعة الأميرية، ط٢، ١٩٠٩م.
٨٤. المصنف في الأحاديث والآثار: لعبد الله بن محمد بن أبي شَيْبَةَ (١٥٩-٢٣٥هـ)، ت: كمال الحوت، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.
٨٥. المصنف: لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦-٢١١هـ)، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٨٦. معالم السنن (شرح سنن أبي داود): لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بـ(الخطابي)(ت٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.
٨٧. المعجم الأوسط: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، ت: طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
٨٨. المعجم الكبير: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطَّبَرَاني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، ت: حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ.
٨٩. المغني: لعبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي الحنبلي، (ت: ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
٩٠. المنار في أصول الفقه: لأبي البركات عبد الله بن أحمد النَّسَفِي حافظ الدين (ت٧٠١هـ)، در سعادت، ١٣٢٦هـ.
٩١. مناقب أبي حنيفة: لأبي الحسن علي بن سلطان محمد القاري الهروي (٩٣٠-١٠١٤هـ)، مطبوع في نهاية الجواهر المضية، حيدر آباد. ١٣٣٢هـ.
٩٢. المنامات: لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، ت: عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط١، ١٤١٣ – ١٩٩٣.
٩٣. المنتقى من سماعات محمد بن عبد الرحيم المقدسي: لابن الكمال الحنبلي (ت: ٦٨٨هـ)، المكتبة الشاملة.
٩٤. منحة السلوك في شرح تحفة الملوك: لأبي محمد محمود بن أحمد العَيْنِي بدر الدين (٧٦٢-٨٥٥هـ)، ت: محمد فاروق البدري، بإشراف: د. محيي هلال السرحان، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٤٢١هـ.
٩٥. موطأ مالك: لمالك بن أنس الأصبحي (٩٣-١٧٩هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
٩٦. نور الأنوار شرح المنار: لأحمد بن أبي سعيد الصديقي الميهوي الحنفي المعروف بـ(ملا جيون) (ت١١٣٠هـ)، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، ١٣١٦هـ.
٩٧. هذا القران للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، ط١.
٩٨. الهم والحزن: لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، ت: مجدي فتحي السيد، دار السلام – القاهرة، ط١، ١٤١٢.

# فهرس الموضوعات